

من منشورات جامعة اصفهان

انتشارات دانشگاه اصفهان

۱۳۶

صوت أبی الریحان

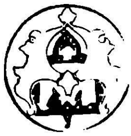
آوای ابوریحان

باللغتین العربیة والفارسیة

الدکتور غلامعلی کریمی
رئیس قسم اللغة العربیة
وآدابها

بمناسبة الاحتفال بذکری مرور ألف عام علی مولد
الاستاذ أبی الریحان البیرونی . أکتوبر ۱۹۷۳

بمناسبت هزارمین سال تولد استاد ابوریحان بیرونی - مهرماه ۱۳۵۲



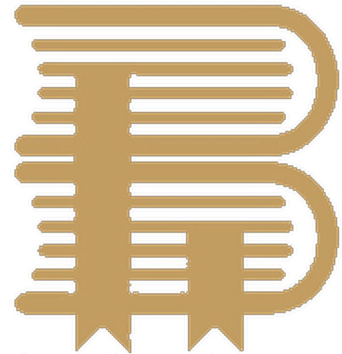
من منشورات جامعة اصفهان

انتشارات دانشگاه اصفهان

۱۳۶

صوت أبي الريحان

آوای ابوریحان



باللغتين العربية والفارسية

الدكتور غلامعلی كريمي
رئيس قسم اللغة العربية
وآدابها

بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور ألف عام على مولد

الاستاذ أبي الريحان البيروني . اكتوبر : ١٩٧٣

بمناسبت هزارمین سال تولد استاد ابوریحان بیرونی ـ مهرماه : ۱۳۵۲

مقدمة بقلم رئيس الجامعة

إنّ معرفة عظماء العلم و الثقافة و التعريف بهم و الكشف عن الجهود التي بذلوها لمعرفة أسرار العلوم والفنون ونشر التجارب والأفكار التي حصلوا عليها و بيان تأثيرهم في بناء ثقافة و حضارة عصرهم يعدّ بلاشك من أهم العوامل التي تقوّي و تحفظ الصلة بين الجيل الجديد و بين الثقافة و السنن القديمة ؛ لأنّ معرفة الشباب الشاملة بكبار علماء و أدباء أمتهم - و خاصة أنّ لبعض هؤلاء الأجلّاء تأثيراً كبيراً، في العلم والثقافة على الصعيد العالمي - من دون شك تجعلهم يشعرون بصلة متينة بينهم و بين تراثهم القومي العريق وتهزّ شعورهم الوطني و تقوّي إرادتهم وإيمانهم للذود عن ذكريات الماضيين كما أنها ستكون دافعاً تلقائيّاً و دليلاً طبيعياً لازدياد رغبة هذه الطبقة النشيطة في اكتساب العلم على أمل أن يأتي اليوم الذي سيستطيعون فيه أن يحتلّوا منزلة أجدادهم المرموقة . و بناءً على ما ذكرنا، فقد أصدر جلالة شاهنشاه ايران المشجع للعلم أوامره المؤكدة بعقد المؤتمرات والاجتماعات الوطنية والعالمية بغية احياء ذكرى تلك الأسماء الخالدة لمشاهير العلم والأدب و الثقافة من ابناء هذه البلاد ولكي تتاح الفرصة للعلماء والمحققين الايرانيين والأجانب ليجتمعوا و يتبادلوا نتائج دراساتهم و تحقيقاتهم حول حياة هؤلاء العلماء و مميزات آرائهم وآثارهم وليُبيّنوا مكانتهم العلمية العالية للعالم اكثر فأكثر.

إنّ الكلمات الحكيمة التى وجّهها جلالته إلى المؤتمرين إبّان مراسيم افتتاح المؤتمرات و الاجتماعات ـ بغض النظر عن اثباتهالأهمية الموضوع ـ لهىدروس بالغة الأهمية لكل الايرانيين لكى يبذلوا قصارى جهودهم الصادقة متحدين قلباً و لساناً للاحتفاء بمفاخرهم الوطنية و ليلفتوا أنظار أبناء ايران اليوم إلى مفاخرهم التليدة :

كما أن الاحتفالات بالذكريات الألفية و السنوية المتعددة بمناسبات مختلفة و تأسيس و ترميم و إعادة بناءالمراقد و تأليف و ترجمة و طبع و نشر مئات الكتب و الرسائل التحقيقية حول عظماء العلوم و الفنون الايرانيين الأقدمين لهى شواهد بارزة على العناية الدائبة التى يوليها جلالته الحضارة و الثقافة الايرانية وقادة قافلة هذا التراث العريق .

و مما يبرز هذه العناية انعقاد المؤتمر الدولى بطهران فى شهر شهريور ١٣٥٢/ سبتمبر١٩٧٣ الذى اشترك فيه عددكبير منأساتذة ومحققى ايران وسائر دول العالم لتجليل أبىالريحان البيرونى ، نابغةالعلم ، بمناسبة الذكرى الالفية لمولده .

و لقد اتيحت الفرصة فى هذا المؤتمر لمن عرفوا منزلة أبىالريحان العلمية و الفلسفية الشامخة لكى يعلنوا نتيجة دراساتهم و تحقيقاتهم المثمرة لدنيا العلم و ليعرّفوا نابغة آخر من نوابغ الفكر ، سطع نورعلمه منذ عشرة قرون و أنارالطريق أمام المحققين و المفكرين فىالعالم .

كان ابوالريحان انساناً نادراً و فذاً ؛ فقد وقف حياته الطويلة نسبياًعلى التعلم و التفكير و التحقيق و إجراء التجارب و تأليف المصنفات و عن هذا الطريق أدّى خدماتٍ جليلة ليس لها نظير فىسبيل دفع عجلة العلوم والمعارف

و كان هـذا الرجـل العظيم استاذاً لايجـارى فى اكثر علوم زمانه و له نظريات مبتكرة فى مختلف العلوم كالتاريخ و الجغرافيا و الطب و الطبيعيات و الصيدلة و الادب والحكمة و غيرها حتى صار قدوة لعلماء عصره و قد وفق إلى اكتشاف نتائج مذهلة فى ميادين الرياضيات والفيزياء والهيئة والنجوم .

و قـد علّم الباحثين ، بشجاعته العلميه ، منـذ الف عـام و قبـل « بيكن » و « ديكارت » بقرون عديده أن لايخضعوا لآراء الأقدمين ، و أرشدهم إلى الدراسة والتحقيق و جعل الملاحظة العلمية والتجربة والاستدلال أساساً لعملهم بدلاً من الاعتماد على نظريات الماضيين .

كان ابوالريحـان يعشق تربة ايران المقدسة و تتضح وطنيته هـذه بجلاء من خلال مؤلفاته و تصانيفه القيمة ؛ فقد ذكر فى كتابه « الآثار الباقية » ، مسقط رأسه خوارزم بأنها «غصن من دوحة فارس» ، وكانت له علاقة خاصة بالآداب والسنن الوطنية الايرانية و بالرغم من انشغاله بالتأليف و التصنيف و التحقيق طيلة أيام السنة فقد كان يضع القلم جانباً فى يومى النوروز و المهرجان تاركاً كل عمل ليحتفل ، كما ينبغى ، بهذين العيدين كباقى الايرانيين .

كان ابوالريحان ايرانياً و انتسابه إلى ايران أمر لايقبل الشك ولكننا إذا نظرنا بمنظار انسانى شامل نرى أن هـذا العالم و العلمـاء المشابهين له لايمكن أن ننسبهم إلى أمة واحدة لأنهم قد نشأوا و ترعرعوا فى مراتع العلم ومن البديهى أنّ رقعة العلم الواسعة التى لاتخضع لحد، هى ملك المجتمع الانسانى بأجمعه . إذن فتجليل مثل هؤلاء الرجال فى الحقيقة تجليل لمنزلة العلم و هل لاحترام و تجليل العلم معنى إلاّ إكرام الانسانية ؟

و بناءً على ماتقدم ، و فى الوقت الذى كانت فيه مقدمات انعقاد مؤتمر

طهران فی أوائل عام ۱۳۵۲ قائمة علی قدم وساق ، قامت جامعة اصفهان بتنظیم سلسلة من المحاضرات للتعریف بأبی‌الریحان و إطلاع المحبین بقیمة مصنفات و افکار و عقائد ابن‌الانسانیة البار هذا .

وكان السید الدكتور غلام‌علی كریمی الاستاذ المساعد فی كلیة الآداب و العلوم الانسانیة اوّل من القی محاضرته فی هذه السلسلة و استطاع بأسلوب سلس رائع أن یكشف لمستمعیه عن جوانب مختلفة من حیاة أبی‌الریحان .

و قد ذُكر آنذاك أنّ هناك كتباً و رسالات عدیدة حول ابی‌الریحان نشرها العدید من‌المحققین والعلماء الایرانیین والأجانب إلاّ أنهّا فی مستوی تفید خاصة اهل العلم و ما كان أجمله أن یؤلّف كتاب بأسلوب سهل تقوم جامعه اصفهان بطبعه لیكون موضع استفادة الجمیع و من حسن الحظ أخذالسید الدكتور غلام علی كریمی علی عاتقه هذه المهمة و بادر إلی تكمیل دراساته السابقة و بذل قصاری جهوده فی مدة قصیرة نسبیاً لتألیف هذا الكتاب باللغتین العربیة والفارسیة و قد وفق فی ذلك أیما توفیق .

لقد قام المؤلف الفاضل فی هذا الكتاب بدراسة النواحی المختلفة لشخصیة ابی‌الریحان الادبیة و العلمیة والفلسفیة و الانسانیة من خلال بحوث موثوق بها و بأسلوب سهل و جذّاب یفهمه الجمیع ؛ و فی‌الفصل الأخیر من الكتاب (الذی أخذ منه العنوان) استطاع المؤلف ، بمقدرة تصوره الخیالی ، ان‌یجعل‌القارئ **یسمع صوت أبی‌الریحان** الذی‌یتكلّم‌من‌وراء القرون‌والأعصار موجّهاً نصائحه الثمینة إلی مسامع شباب و طلاب و أساتذة ایران و البلاد الاسلامیة الأخری .

فأتمنی للزمیل العزیز ، مؤلف الكتاب ، مزیداً من النجاح و التوفیق

و بحكم اشتغالى سنوات طويلة بالشؤون الجامعية و معرفتى بالمشاكل الحقيقة للجامعات والجامعيين ، أرى أن **صوت ابى الريحان** علاج ناجع لهذه المشاكل وأوصى الطلاب و الاساتذة و الشباب الاعزاء بالاستماع إليه باخلاص و روية

الدكتور قاسم معتمدى

رئيس جامعة اصفهان

مهرماه ١٣٥٢/اكتوبر ١٩٧٣

* * * *

ابوالريحان البيرونى

مولده و نسبته

يُعد ابوالريحان ، محمدبن احمدالبيرونى الخوارزمى من اكبر العلماء الايرانيين الذين ظهروا علىمسرح الحياة فىاوآخر القرن الرابع و أوائل القرن الخامس الهجرى .

رأت عيناه نور الحياة ، على وجه التحقيق فىاليوم الثالث من شهر ذىالحجة عام ثلاثمائة و اثنين و ستين للهجرة المصادف لشهر سيبتامبر عام تسعمائة و ثلاثة و سبعين ميلادى ، فى أسرة ايرانية . و هناك أقوال مختلفة حول مسقط رأسه و نسبته إلى بيرون ، و هل جاءته هذه النسبة لكونه ولد فى بيرون ، و إذا كان الامر كذلك فما هو موقعها الجغرافى ؟

كما أن هناك اختلافاً فى ضبط كلمة « بيرون » بين المؤرخين العرب الذين يتلفظون «بيرون» بفتح الباء و بين الايرانيين الذين يتلفظونهابكسر الباء.

فحول موقع بيرون الجغرافى يذكر الشهر زورى فى كتابه نزهةالارواح و روضة الافراح فى تواريخ الحكماء ... مايلى : «... و بيرون مدينة بالسند ... و هى التى منشأه و مولده بلدة طيبة فيها غرائب و عجائب و لاغرو فان الدر ساكن الصدف ...» (١)

و يذهب ابن أبى أصيبعة أيضاً مذهب الشهر زورى فيقرر أن بيرون

---

١ ـ أنظرمقدمة الاثار الباقية للمستشرق ادوارد زاخائو ص LIII .

مدينة تقع في السند (١)

أما ياقوت الحموى فمع أنه يعتقد بأنّ أباالريحان كان ينتسب إلى احدى قرى خوارزم ، إلا أنه يذكر نقلا عن أحد العلماء أنّ أهل خوارزم كانوا يسمون الغريب عن مدينتهم « بالبيرونى » . و حيث إن أباالريحان عاش قليلا فى خوارزم وطالت غربته عنها لقب لذلك بالبيرونى(٢) ويرى جلال الدين السيوطى أيضاً أن سبب نسبة أبى الريحان بالبيرونى تعود إلى طول إقامته خارج خوارزم حيث يقول فى كتابه بغية الوعاة :

« ... و هم يسمون الغريب بهذا الاسم فلما طالت غربته عنهم صار غريبا ...» (٣)

مناقشة هذه الاراء

الرأى الذى ذهب إليه الشهرزورى وابن أبى أصيبعة فى أنّ بيرون اسم مدينة واقعة فى السند لاشك غير مصيب . ذلك ؛ لانّه لم يكن لمثل هذه المدينة بهذا الاسم وجود فى السند مطلقاً « و إنّ ما فى السند هى مدينة نيرون بالنون وليس بالباء و تسمى به (نيرون كوت) و حيدر آباد »(٤)

أما ما ذهب اليه بعض المؤرخين من أنّ طول غربة أبى الريحان عن خوارزم هو السبب فى نسبته الى «بيرون» فلا يبدو صحيحاً أيضاً لان هذه النسبة

١ ـ أنظر عيون الابناء ، الجزء الثالث، القسم الاول ص٢٩ ، طبعة دار الفكر بيروت عام ١٩٥٧ .

(٢) جاء في معجم الادباء الجزء ١٧ ص ١٨٠ طبعة مصر مانصه :« وهذه النسبة معناها البرانى لان بيرون بالفارسية معناه براً ، و سألت بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قليلا، و أهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم ، كانه لما طالت غربته عنهم صار غريباً ، وما أظنه يراد به الا انه من أهل الرستاق يعنى أنه من برالبلد » .... »

٣ ـ انظر بغية الوعاة للسيوطى طبعة القاهرة عام ١٤٢٦ هـ . ص ٢٠

٤ ـ انظر كتاب « شرح حال نابغه شهير ايران » للعلامة دهخدا ص ١

فيما نعلم ، كانت ملازمة لاسمه دائماً ولم تلحقه فى فترة معينة من حياته .

والذى تطمئن اليه النفس فى شرح نسبة البيرونى الى أبى الريحان وبيان مسقط رأسه هو ما ذكره السمعانى فى كتابه الشهير « الأنساب »، الذى ألفه بعد مرور قرن وأحد على وفاة أبى الريحان ؛ حيث يقول :

« البيرونى بفتح الباءِ الموحدة و سكون الياءِ آخر الحروف و ضم الراءِ بعدها الواو و فى آخرها نون هذه النسبة إلى خارج خوارزم فانّ بها من يكون من خارج البلد و لايكون من نفسها يقال له فلان بيرونى ست و يقال بلغتهم انبيژك ست والمشهور بهذه النسبة أبوريحان المنجم» (١)

و رأى السمعانى هذا ، الذى يوافق ما ذهب إليه ياقوت أيضاً ، كما أشرنا من قبل ؛ يوضح أنّ مسقط رأس أبى الريحان كان إحدى القرى التابعة لمدينة خوارزم .

أما فيما يتعلق بضبط كلمة بيرون بفتح الباءِ كما يتلقطها العرب فيبدو أنّ رأى البروفيسور ادوارد زاخائو أقرب إلى الصحة حيث يقول إنّ ياء كلمة بيرون كانت تُلفظ كالكسرة المشبعة فى الأزمنة الماضية فى اللغة الفارسية و بما أنّ هذا الصوت فى العربية أشبه مايكون بياء ساكن ما قبله حرف مفتوح ، لذلك ضبط الكتاب العرب هذه الكلمة بفتح الباء (٢)

---

١ ـ انظر مقدمة الاثار الباقيه ص XVIII ولم نعثر على الطبعة التى استفاد منها المستشرق زاخائو فى مقدمته للاثار الباقيه و الطبعة التى بين أيدينا وهى طبعة حيدر آباد عام ١٩٦٣ المطبوعة فى مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، تذكر فى الجزء الثانى الصفحه ٣٩٢: « البيرونى بكسر الباء ... » و فى الهامش استدراك يبين أن كلمة البيرونى ذكرت فى بعض النسخ بكسر الباء و فى بعضها الاخر بفتح الباء .

٢ ـ انظر كتاب « شرح حال نابغة شهير ايران » للعلامة دهخدا ص ٢ و ٣

بيئة أبي الريحان

ليست لدنيا معلومات قاطعة حول فترة طفولة أبي‌الريحان و لاحول دراساته الأولية و لأجل أن نقف على العوامل التى ساعدت على ظهور أبي‌الريحان و العلماء الشهيرين الآخرين فى ذلك العصر لابدلنا من القاء نظرة سريعة على الاحوال السياسية و الاجتماعية و الثقافية فى ايران فى القرن الرابع والنصف الاول من القرن الخامس الهجرى .

بدأت سيادة الأتراك على بغداد و سيطرتهم على أجهزة الخلافة ؛ كما نعرف ، منذخلافة المعتصم (٢١٨-٢٢١هـ) و ازداد نفوذهم منذ أواسط القرن الثالث الهجرى شيئاً فشيئاً حتى وصل الأمر إلى حد أصبح الخليفة العوبة بيدالقادة الأتراك و نتيجة لذلك أصبحت بغداد ، التى كانت مناراً للعلم و مشعلا للثقافة الاسلامية ، تلك المنزلة التى حصلت عليها بفضل و همة الايرانيين و غيرهم من الشعوب الاسلامية ، أصبحت مسرحاً للخصومات والتعصبات و الاضطرابات فضعفت السلطة المركزية للامبراطورية الاسلامية و بدأت الولايات الشرقية و الغربية تشق عصا الطاعة و تعلن الاستقلال .

استطاع الايرانيون ، الذين حاولوا منذالقرن الاول الهجرى الحصول على استقلال بلادهم المسلوب بالفداء والتضحية ، حتى وصل كفاحهم الذروة فى‌القرنين الثانى والثالث ، استطاعوا الحصول بالتدريج على ذلك الاستقلال و إحياء لغتهم و أدبهم و ثقافتهم .

و مع أنّ تجزئة الامبراطورية الاسلامية و استقلال اقاليمها أدّى الى إضعاف الحكومة المركزية الاسلامية الاّ أن هـــــذا الامر كان سببا مباشراً فى تقدم العلم و الأدب و تحرك عجلة الثقافة . ذلك ، أنّ التنافس العلمى بين الأقاليم و مركز الخلافة بلغ أوجه فى ذلك العصر فكان كل أمير

يسعى إلى جذب آكبر عدد من العلماء والشعراء و الأدباء إلى بلاطه و بهذا أصبح كل بلاط موئلا لأهل العلم و الأدب و محط أنظارهم .

ولئن لم تتح الفرصة للصفاريين، بسبب قصر حكمهم وضيق حدودهم وتعدد و استمرار حروبهم، أن يخدموا العلم والأدب كما ينبغي فان السامانيين الذين امتد حكمهم فترة طويلة من الزمن وانبسط نفوذهم على خراسان و سجستان و ماوراءالنهر و جرجان ، استطاعوا أن يجعلوا من بخارا و سمرقند مركزين للعلم و الأدب بفضل وزرائهم العلماء كالجيهاني و البلعمي ، فبتشجيعهم العلماء أدوا خدمة كبيرة إلى الانسانية و العلم و باغراقهم الشعراء و الكتاب بالهدايا و العطاء ازدهر الأدب الفارسي و اينعت ثماره .

و لا شك أن سرّ نجاح السامانيين و الحكومات الايرانية الأخرى المعاصرة لهم في توسيع مجال الأدب و الثقافة يكمن في أن هؤلاء أرسوا قواعد حكمهم على حبّهم لايران و إحياء آدابهم و رسومهم القديمه . ذلك لأنهم عن هذا الطريق استطاعوا أن يجلبوا تأييد وحب واندفاع الأمة الايرانية اليهم و هذا ما أعانهم على تثبيت حكمهم و ازدياد نفوذهم و دوام سلطتهم .

ان الايرانيين الذين لم ينسوا بعد جور و ظلم حكام بني امية و خداع و معاملة العباسيين اللاانسانية لهم والذين كانوا يتمنون الخلاص من قيود و ربقة الحكم الأجنبي، تجسدت، في الحقيقة ، أمانيهم الوطنية كلها في حكومة السامانيين الذين حلوا محل الحكام الظالمين الغرباء عنهم وافتخروا بايرانيتهم وجعلوا انصب اعينهم احياء السُّنن والاداب و التقاليد الايرانية واقاموا اعيدي السدة(١)

---

١ ـ السدة : هو عيد كان يحتفل به في ايران قبل الاسلام و في القرون الاسلاميه الاولى ويقع في اليوم العاشر من شهر بهمن حسب التقويم الايراني ويوافق لليوم الثلاثين من شهر كانون الاول ، وكان الايرانيون قديماً يحتفلون باشعال النيران فيه وهذه العادة لازالت باقيه عند الزرادشتيين الى اليوم .

و المهرجان (١) بما يليق مقامهما من الأُبهة و العظمة .

فلاغرواذن أن نرى، فى هذا العصر، تجديد حياة القصص الحماسية الوطنية الايرانية القديمة وأن نرى فى الشهنامة صرحاً شامخاً من النظم لن تضره الرياح والأمطار(٢)

و من بين السُّنن و التقاليد الايرانية القديمة التى أحياها السامانيون احترام العلماء واشتراك الامراء فى مجالس بحثهم ومناظراتهم(٣) فكان ألامراء السامانيون يخصصون يوماً فى الأسبوع لاستقبال العلماء و انعقاد مجالس البحث و المناظرة بحضورهم و بذلك رفعوا منزلة العلما و عظموا شأنهم و من الواضح أن لهذا النوع من التشجيع و الاهتمام بهذه السُّنة التى خلفها انوشروان (٤) ـ و التى اقتبسها بعض الخلفاء العباسيين ، مقلدين

---

١ ـ مهرگان (المهرجان) هو أكبر أعياد الايرانيين القدماء . وكانوا يخصون اليوم السادس عشر من كل شهر باله النور «مهر» ويسمونه مهرروز (يوم الشمس) وفى اليوم السادس عشر من شهر «مهر» (اكتوبر) كان الايرانيون يقيمون احتفالاً كبيراً يسمونه بمهرگان وقد عربت هذه الكلمة وأصبحت تعرف بالمهرجان. وجاء فى كتاب « بند هشن » وهو من الكتب لزرادشتية الدينية القديمة أن (مشيا) و (مشيانة) وهما بمنزلة آدم وحوا للآريين قد ولدا فى هذا اليوم وكان هذا الاحتفال الكبير يستمر ستة أيام من اليوم السادس عشر من شهر مهر الى اليوم الحادى والعشرين الذى كان يسمى بـ « رام روز » أما السنة الايرانية القديمة فكانت تقسم الى قسمين هما فصل الصيف و فصل الشتاء فالنوروز كان يوم الاحتفال ببدء الصيف و المهرجان يوم الاحتفال ببدء الشتاء .

انظر كتاب « فرهنك فارسى معين »

٢ ـ اشارة الى بيت مشهور من شهنامة الفردوسى

پى افكندم از نظم كاخى بلند　　　كه از باد و باران نيابد گزند

و معناه :

بنيت قصراً شامخاً من النظم　　　لن تضره الرياح والامطار

٣ ـ انظر كتاب « تاريخ ادبيات در ايران» للدكتور ذبيح‌الله صفا ج١ص٢٨٠

٤ ـ أنظر كتاب « تاريخ علوم عقلى » للدكتور ذبيح‌اله صفا ص ٢٣

سنن الساسانيين (١) - تأثيراً كبيراً على تقدم العلوم و الفنون .

و بما أنّ صلة السامانيين بالشعب كانت صلة أحاسيس وطنية - لاكما كانت صلة الأتراك الغزنويين و السلجوقيين بالشعب الايرانى اذ لم تكن تربطهم بهذه الأمة سوى صلة الدين - لذلك تركوا الحرية للشعب فيما يتعلق بمعتقداتهم الدينية والمذهبية و لهذا ، لانرى التعصب الاعمى فى عصرهم كما نراه فى عهد الاتراك بل عاشت الفئات الدينية الاخرى الى جانب المسلمين فى سلام و وئام يجمعهم اخلاصهم لايران فنرى مثلا أنّ أباعبدالله الجيهانى قد تقلد الوزارة و هوكما يبدو مانوى المذهب (٢) ونرى أيضاً الدقيقى، الشاعر الشهير يعلن صراحة انتماءه الىالمذهب الزرادشتى(٣) كما أنّ نصر بن أحمد السامانى اعتنق العقائد الاسماعيلية (٤) و ذلك دليل واضح على تغلغل الحكمة و المنطق فىبيئة السامانيين و صفوة القول ، ان الطوائف الدينية كالمسيحية و الزرادشتية و الشيعية والسنية وغيرها علىاختلاف نزعاتها و معتقداتها عاشت بحرية فى كنف السامانيين . و منالواضح أنّ

---

١ - انظر ظهرالاسلام ص٢٢٩-٢٣١ و تاريخ الاسلام السياسى للدكتور حسنابراهيم حسن ج ٣ ص ٥١٨ وما بعدها و انظر مروج الذهب للمسعودى طبعة مصر ج ۴ ص ٢۴٥

٢ - انظر كتاب « مانى و دين او » للسيد حسن تقى زاده هامش الصفحه ١۶٣ .

٣ - اشارة الى البيتين التاليين .

دقيقى چهار خصلت بركزيدة   بگيتى از همه خوبى و زشتى

لب ياقوت رنگ و ناله چنگ   مىخون رنگ وكيش زردهشتى

والمعنى

اختار الدقيقى من الدنيا جميلها و قبيحها أربع خصائل :

الشفة الوردية ونغمة العود والخمر الاحمر (كلون الدم) والديانة الزرادشتية .

انظركتاب « تاريخ ادبيات درايران » ج ١ ص ۴٠٩

۴ - انظرالمصدرنفسه ج ١ ص ٢۴٧

لبعد نظر السامانيين هذا ، و تفكيرهم السليم و سعة صدورهم أيضاً تأثيراً كبيراً على تقدم العلوم و الفنون و اعداد العلماء في شتى مناحي العلم و المعرفة . وحذت الأسر الايرانية الحاكمة على الاقاليم الايرانية الاخرى و التي عاصرت السامانيين ، حذوهم فكان كل أمير يعتزّ بما في بلاطه من علماء و مفكرين و كان يبذل لهم العطاء و يشجعهم على المضيّ قُدماً في سبيل العلم والمعرفة . في مثل تلك البيئة الخصبة عاش أبوالريحان البيروني و ترعرع في كنف حماة العلم و الادب و تكونت شخصيته العالمية و اكتملت معارفه الواسعة ، تلك البيئة التي شهدت بزوغ شمس العديد من العلماء الايرانيين من أمثال محمدبن زكريا الرازي و أبي نصر الفارابي و علي بن العباس المجوسي الاهوازي (١) و من بعدهم ابن سينا وأبوسهل المسيحي (٢) و غيرهم الذين أسدوا خدمة كبرى للعلم و قدموا عصارة أفكارهم هدية للعالم أجمع .

ولكن ما العمل ، و قد رفضت الاقدار الا أن تزيل بعدالنظر ذلك و رحابة الصدر التي تمتع بها الايرانيون في عصر السامانيين ، و من المؤسف حقا ان يظهر الاتراك على مسرح الحياة الايرانية ـ هؤلاء الذين لم تكن تربطهم

---

(١) يعد علي بن عباس المجوسي الاهوازي المتوفي حوالي عام ٤٠٠ للهجرة من أكبر أطباء العالم الاسلامي و تتلمذ لابي ماهر موسى بن سيارالقمي وكان الاهوازي الطبيب الخاص لعضدالدولة الديلمي و من أهم مؤلفاته كتاب «كامل الصناعة» انظر فرهنك معين المجلد الخاص بالاعلام .

٢ ـ ابوسهل المسيحي ، هوالطبيب المشهور الذي عاصر ابن سينا كان يعيش في بلاط آل المامون في خوارزم و في عام (٤٠٣ هـ.ق) توفاه الاجل في صحراء خوارزم حينما كان بصحبة ابن سينا و هما في طريقهما الى خراسان وقدخلف لنا ابوسهل كتاباً شهيراً هو «المائة في الصناعة الطبية» وهو كتاب كبير يشتمل على جميع الابواب الطبية و خلف لنا عدة رسائل أخرى اضافة الى الكتاب المذكور وكان أبوسهل مضطلعاً في الهندسة والنجوم والحكمة و له في هذه العلوم آثار و مصنفات .

انظر «فرهنك معين» المجلد الخاص بالاعلام .

بالايرانيين صلة سوى رابطة الدين الظاهرية ـ ليمسكوا زمام الامور بأيديهم و يبدأوا سياستهم التعسفية ، تلك السياسة الدينية التى اعتمدت على التعصب الاعمى و التمسك بقشور الدين و التى حلت محل السياسة الوطنية التى اتبعها السامانيون ثم بدأت مع حكم الاتراك بذور العداوة للعلوم العقلية و العلماء بالنمو و لم تلبث حركة العلماء طويلا بل انزوت واختفت عن مسرح الحياة العلمية بحيث لم‌نر فى‌الشرق عالماً بعدالقرن الخامس الهجرى يحاكى العلماء الكبار الذين عاشوا فى‌ذلك العصر .

حياة أبى‌الريحان و آثاره :

بدأ ابوالريحان بتعلم العلوم منذ صغر سنه فى خوارزم و بقى هناك حتى الخامسة و العشرين من عمره وفى تلك الحقبة من الزمن درس العلوم على يد أساتذة كبار من أمثال أبى‌نصرمنصو ربن على‌بن عراق الرياضى الكبير (١) ، و ابونصر هذا ينتمى إلى أسرة آل عراق التى حكمت خوارزم منذالفترة التى سبقت الاسلام و حتى عام ٣٨٥ للهجرة حيث قتل آخر ابنائها على يد المامون ابن محمد مؤسس السلسلة المامونية فى خوارزم و أحاطت هذه الاسرة المحبة للعلم و الادب أباالريحان بالرعاية و حسن المعاملة (٢)

بدأ أبوالريحان بتأليف عدة كتب فى خوارزم بالذات وفتح باب المكاتبة فى الامور الفلسفية مع أبى على‌بن سينا نابغة بخارا الشاب الذى يكبره ابوالريحان بسبع سنين (٣)

---

(١) كان ابونصر منصور بن على‌بن عراق من‌اكبر الرياضيين والمنجمين فى عصره و له مؤلفات عديده فى‌هذه العلوم . انظر «تاريخ ادبيات در ايران» للدكتور ذبيح‌اله صفا ج ١ ص٢٠٧

(٢) انظر المصدر نفسه ج ١ ص ٢٠٧

(٣) أنظر l'Articlede D. J Boilot dansl,Encyclopedie de l،Islam .T. 1 P. 1273 – 1275

و يبدو أن أباالريحان اتصل بالمنصور بن نوح السامانى (٣٨٧-٣٨٩هـ) شخصياً لانه تحدث عنه كاول مشجع له (١) و يبدو أيضاً ان اباالريحان ذهب فى عام ٣٨٨ هـ إلى جرجان ليلتحق بخدمة شمس المعالى قابوس بن وشمگير عند عودته من منفاه الى عاصمة حكمه. وقد اكرم شمس المعالى وفادة ابى الريحان خير إكرام (٢) و شمس المعالى هذا ، كما نعلم ، ابن وشمگير و ابن أخى مردآويج رأس سلسلة آل زيار ، هذه السلسلة الايرانية التى كانت تحكم فى ذلك الوقت جرجان و كان مردآويج مشهوراً بوطنيته و باحيائه السنن و الآداب الايرانية وفى عام ٣٢٣ للهجرة أراد أن يحتل بغداد و يقضى على الخلافة العباسية أى أنه أراد أن يتمم ما كان قد عزم عليه البطل الايرانى يعقوب بن ليث الصفارى قبل وفاته الا أن عبيده الاتراك اغتالوه فى الحمام فى مدينة اصفهان والقصة شهيرة (٣)

يعد شمس المعالى قابوس ، الذى كان يرعى أباالريحان ، من الكتاب و الشعراء الايرانيين الكبار و كان ينظم الشعر باللغتين الفارسية والعربية و كتابه « كمال البلاغة » دليل ناصع على غزارة علمه و أدبه ، فلا عجب أن يخصص شمس المعالى مرتباً للشاعر خسروى السرخسى (٤) وأن يكرم أمثال أبى الفرج

---

(١) ـ المصدر السابق

(٢) ـ المصدر نفسه

(٣) ـ انظر «تاريخ ادبيات در ايران» للدكتور ذبيح اله صفا ج١ ص ٢١١-٢١٢

(٤)ـ خسروى السرخسى هو أبو بكر محمد بن على الشاعر العالم الذى عاش فى القرن الرابع وقد لقبوه بالحكيم أحياناً لاستخدامه المصطلحات الحكمية فى أشعاره وكان السرخسى يمدح قابوس بن وشمگير و الصاحب بن عباد و ناصر الدولة أباالحسن محمـد سيمجور و كان ينال مرتباً سنويا من قابوس و الصاحب بن عباد . و للسرخسى قصائد شعرية باللغتين الفارسية و العربية . انظر «فرهنك معين» المجلد الخاص بالاعلام

علی‌بن‌الحسین‌بن هندو الادیب و الحکیم‌الکبیر (۱) و أبی‌الریحان البیرونی(۲)
لقد أمضى أبوالریحان فترة لیست بالقصیرة من عمره فی بلاط قابوس وهناك ألف أول کتاب کبیرله (الآثارالباقیة عن القرون‌الخالیة) باسم الامیر قابوس ومن المحتمل أنه أتم هذا السفر الخالد فی عام ۳۹۰ للهجرة (۳)

و قد قام بطبع هذا الکتاب القیم الذی یضم مباحث مختلفة کالتقویم و بعض البحوث الریاضیة المهمة و البحوث التاریخیة وفصول عن النجوم ، المستشرق‌الالمانی البروفیسور ادوارد زاخائولاول مرة عام (۱۸۷۸م) فی‌مدینة لایبزیج فی آلماینا (٤)

ومع أن أباالریحان کان إیرانیاً خوارزمی اللهجة الا أنه کتب مؤلفاتة باللغة العربیة ، تلك اللغة التی أصبحت لغة التألیف والعلم فی العالم الاسلامی آنذاك ثم کتب بعد ذلك بعض مؤلفاته بالفارسیة أیضاً (۵) أو بالفـارسیة و العربیة معاً .

عاد أبو الریحان الی موطنه خوارزم قبل عام ۳۹۹ للهجرة حیث حل موضع احترام و اکرام خوارزمشاه أبی‌الحسن علی‌بن المامون بن المامون و بعد وفاة خوارزمشاه هذا ، احتفى به أخوه أبوالعباس المامون بن المامون و

---

۱ ــ ابوالفرج علی‌بن‌الحسین بن هندو : من‌المتمیزین فی علوم‌الحکمة و الادب وله شعر جیدنشأ بنیشابور و کان من‌کتاب الانشاء فی‌دیوان عضدالدولة و لبس‌الدراعة علی رسم الکتاب فی‌ذلك العصر و توفی بجرجان ، له‌کتب منها «الکلم الروحانیة من‌الحکم‌الیونانیة» و « مفتاح الطب » و «المقالة المشوقة فی‌المدخل الی علم الفلك» و «دیوان شعر» . انظر الاعلام للزرکلی

۲ ــ انظر «تاریخ ادبیات در ایران» للدکتور صفا ج۱ ص۲۱۲

۳ ــ انظر . Encyclopedie de l' Islam T. 1. P. 1273-1275

٤ ــ انظر المصدر نفسه

۵ ــ انظر المصدر نفسه

بقى ابوالريحان في بلاطه مدة سبع سنين و خلال هذه المدة ، فضلا عن منزلته العلمية لعب دوراً بارزاً في السياسة كما سنرى و بعد أن قتل خوارزمشاه أبوالعباس المامون بن المامون في عام ٤٠٧ ه على يد قواده المتمردين وخضعت بلاده للسلطان القدير الغزنوى محمود بن سبكتكين أسر أبوالريحان و نقل بأمر من محمود الغرنوى الى غزنة مع عدد كبير من الاسرى في ربيع عام ٤٠٨ ه (١)

وكان بين الاسرى عدد من العلماء و الادباء كأبي نصر منصور بن على ابن عراق استاذ أبي الريحان و أبي الخير الحسين بن بابا الخمار البغدادى (٢)

و يبدو أن أبا على بن سينا كان قد ترك خوارزم بمعية ابى سهل عيسى بن يحيى المسيحى الطبيب المعروف الى جرجان قبل هذا التاريخ أى قبل عام ٤٠٧ للهجرة .

لم يجد ابوالريحان بداً من البقاء في بلاط غزنة و يبدو أنه شغل منصب منجم البلاط الرسمى و قد صحب محموداً الغزنوى خلال حملته على شمال غربى الهند .

و في الهند اشتغل ابوالريحان بتدريس العلوم اليونانية (٣) و في مقابل ذلك انكب على دراسة اللغة السنسكريتية و لهجاتها و عن هذا الطريق حصل على معلومات قيمة تدور حول عقائد و علوم و آداب الهنود و قد جمع

---

١ - انظر Encyclodie de l' Islam T,I,p, 1273-1275

٢ - «ابن الخمار وهو ابوالخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام في زماننا من أفاضل المنطقيين ممن قرأ على يحيى بن عدى ، في نهاية الذكاء والفطنة و الاضلاع بعلوم أصحابه و مولده في شهر ربيع الاول سنة احدى وثلاثين وثلاثمائه وله من الكتب كتاب الهيولى ، مقالة. كتاب الوفاق بين رأى الفلاسفة والنصارى، ثلاث مقالات . كتاب تفسير ايساغوجى، مشروح. كتاب تفسير ايساغوجى، مختصر كتاب الصديق والصداقة، مقالة، كتاب سيرة الفيلسوف، مقالة، كتاب الحوامل ، مقالة في الطب ...» انظر الفهرست لابن النديم تحقيق رضا تجدد ص ٣٢٣

٣ - انظر Encyclopedie de l' Islam T,I,P, 1273-1275

تلك المعلومات فی کتابه القیم فی «تحقیق ماللهند من مقولة مقبولة فی العقل او مرذولة »

و قد انتهی ابوالریحان من تألیف کتابه المذکور بعد وفاة محمود الغزنوی بقلیل أی فی عام ٤٢١ ه (١) و قد طبع المستشرق الالمانی ادوارد زاخائو الکتاب أیضاً فی لندن سنة ١٨٨٧م و بعد عام ترجم الکتاب إلی اللغة الانجلیزیة و طبعه فی نفس البلد .

و کان ابوالریحان قد ألف کتاباً مهماً لریحانة بنت الحسین الخوارزمی قبل هذا الکتاب بسنة ضمنه خلاصة لعلوم الهندسة و الحساب و الهیئة و أحکام النجوم بالعربیة والفارسیة (٢) سماه بـ (التفهیم لاوائل صناعة التنجیم)

و قد طبع R . Ramsy فی لندن عام ١٩٣٤ م النسخة العربیة للکتاب المذکور مع ترجمة له باللغة الانجلیزیة اما النسخة الفارسیة فقد حققها وقدمها الاستاذ القدیر جلال الدین همائی الاستاذ بجامعة طهران عام ١٩٤٠ میلادی .

و بعد هذین الکتابین القیمین الف ابوالریحان سفره الکبیر (القانون المسعودی فی الهیئة و النجوم) للسلطان مسعود الغزنوی (٤٢١ - ٤٣٢هـ) و فی خلال حکم مودودبن مسعود (٤٣٢ - ٤٤١هـ) الف ابوالریحان کتاباً مهماً آخر فی معرفة المعادن سماه بـ (الجماهر فی معرفة الجواهر) و قد طبع هذا الکتاب F . Frenkew فی حیدرآباد سنة ١٩٣٦ م .

---

١ - انظر EncycloPedie de l,Islam,T,I,P,1273-1275

٢ - لانعرف بالضبط هل أن أباالریحان الف الکتاب اولا باللغة العربیة ام باللغة الفارسیة و الذی لانشك فیه هو ان احد الکتابین ترجمة للکتاب الاخر وهناك بعض الدلائل منها ان ابالریحان قد الف الکتاب لریحانة بنت الحسین الخوارزمی الایرانیة (و ان کنا لانعلم الیوم شیئاً عنهـا و لاعن ابیها) تشیر الی ان الکتاب قد الف بالفارسیة اولا و من ثم ترجم الی العربیة ، انظر مقدمة الاستاذ جلال الدین همائی لکتاب التفهیم النسخة الفارسیة

و يذكر ابوالريحان فى كتابه القيم الذى الفه فى الطب و الصيدلة و الذى يعرف بـ (الصيدلة فى الطب) او (الصيدنة فى الطب) ، انه قدجاوز سن الثمانين (١) و على هذا يجب ان يكون ابوالريحان قد توفى بعد عام ٤٤٠ هجرى ـ وهوالتاريخ الذى يذكر عادة لوفاته ـ بقليل ، اى عام ٤٤٢هـ و من المحتمل انه توفى فى غزنين (٢)

إن كثرة تصانيف و مؤلفات أبى الريحان ، التى تدل على طول باعه و عمله المضنى المستمر تثير العجب حقاً :

فقد كتب ابوالريحان عام ٤٢٧ هـ رسالة فى فهرست الكتب التى ألفها محمدبن زكريا الرازى اجابة لطلب صديق له سماها (رسالة فى فهرست كتب محمد بن زكريا الرازى) (٣) و ذكر فى ذيل هذه الرسالة بطلب من صديقه المذكور أيضاً فهرستاً لمؤلفاته هو، التى بلغت مائة و ثلاثة كتب كاملة و عشرة مصنفات لم ينته من تأليفها ألى تاريخ كتابته الرسالة.

ونلاحظ فى الرسالة أيضاً أن كلا من ابى نصر منصور بن على بن عراق (٤) و أبى سهل المسيحى قد ألف اثنى عشر مجلداً باسم أبى الريحان كما ألف أبو- على الحسن بن على الجيلى مجلداً واحداً باسمه أيضاً و ذلك يدل على رفعة منزلة

---

١ ـ انظر l,article de D·J· Boilot dans l,encycloyedie de l, Islam · T 1 · P 1273 – 1275

٢ ـ انظر المصدر نفسه

٣ ـ طبع هذه الرسالة پل كراوس P·kraus لاول مرة عام ١٩٣٦ م فى باريس.

٤ ـ فى عام ١٩٤٨ م طبع كتاب فى حيدرآباد تحت عنوان (رسائل ابى نصر الى البيرونى) وقد تضمن احدى عشرة رسالة فى الرياضيات و النجوم بالاضافة الى الرسالات التى كتبها باسم ابى الريحان .

أبي الريحان و سمو مقامه بين علماء عصره (١)

و إذا أخذنا بنظر الاعتبار المؤلفات التي صنفها بعد تاريخ كتابة الرسالة

---

١ ـ نظراً لان هذه الرسالة تجمع القسم الاعظم من مؤلفات ومصنفات البيروني وبما أنها تعتبر أقدم و ثيقة كتبها البيروني نفسه للتعريف بما ألفه ، لذا نذكرها كما جاءت في المقدمة التي كتبها المستشرق الالماني زاخاو لكتاب الاثار الباقية عن القرون الخالية :
وكما افتتحت كلامي بكتب أبي بكر فاني أختمه بما شاهد تك وقتاً تطلب مني من أسماء الكتب التي اتفق لي عملها الى تمام سنة سبع و عشرين و اربعمائة و قد تم من عمري خمس وستون سنة قمرية و ثلث و ستون شمسية وما تعجبت ان يصدق تأويل رؤياي وان لم يصدق حرصي عليه .

الف ـ قد عملت لزيج الخوارزمي علله ووسمت المسائل المفيدة والجوابات السديدة في ٢٥٠ ورقة ،

ب ـ وعمل ابو طلحة الطبيب في ذلك شيئاً يوجب مناقضته فعملت ابطال البهتان بايراد البرهان على أعمال الخوارزمي في زيجه ٣٦٠ ورقة .

ج ـ و عثرت لابي الحسن الاهوازي على كتاب في هذا الباب ظلم فيه الخوارزمي فاضطررت الى عمل كتاب الوساطة بينهما في ٦٠٠ ورقة .

د ـ و عملت كتاباً و سميته بتكميل زيج حبش بالعلل وتهذيب أعماله من الزلل جاء ثلثه في ٢٥٠ ورقة .

هـ ـ وكذلك عملت في السند هند كتاباً وسميته بجوامع الموجود لخواطر الهنود في حساب التنجيم جاء ماتم منه في ٥٥٠ ورقة .

و ـ و هذبت زيج الاركند وجعلته بألفاظي اذ كانت الترجمة الموجودة منه غير مفهومة و ألفاظ الهند فيها لحالها متروكة .

ز ـ و كتاب مقاليد علم الهيئة مايحدث في بسيط الكرة ١٥٥ ورقة للاصفهبد جيلجيلان مرزبان بن رستم .

ح ـ وعملت كتاباً في المدارين المتحدين والمتساويين بخيال الكسوفين عند الهند و هو معنى مشتهر فيما بينهم لا يخلو منه زيج من أز يا جهم وليس بمعلوم عند أصحابنا .

ط ـ وعملت كتاباً و سميته في أمر الممتحن وتبصير ابن كيسوم المفتتن اذ كان تعدى طوره و جهل نفسه في هذا الباب فجاء الكتاب في ١٠٠ ورقة .

ى ـ و عملت بسئوال أحد المتبحرين في التحاويل مقالة وسميتها باختلاف الا قاويل لاستخراج التحاويل في ٣٠ ورقة ،

يا ـ و بسئوال أحد من شك فى جداول تعديل الشمس ولم يهتد لطريق تحليل حبش لها مقالة فى التحليل و التقطيع للتعديل فى ٧٠ ورقة .

يب ـ فى تهذيب الطرق المحتاج اليها فى استخراج هيئة الفلك عند المواليد وتحاويل السنين و غيرها من الاوقات مقالة فى ٦٠ ورقة .

يج ـ وللقاضى أبى القسم العامرى مفتاح علم الهيئة فى ٣٠ ورقة تضمن المبادىء مجردة عن الاشكال .

يد ـ و عملت على هيئة فصول الفرغانى لا بى الحسن المسافر كتاباً سميته تهذيب فصول الفرغانى فى ٢٠٠ ورقة .

يه ـ وله كتاباً فى افراد المقال فى أمر الاضلال استغرق هذا الفن فى ٢٠٠ ورقة .

يو ـ و له عندما بحث عن تسوية البيوت كتاباً فى استعمال دوائر السموات لاستخراج مراكز البيوت فى أكثر من ١٠٠ ورقة .

يز ـ و لبعض منجمى جرجان مقالة فى طالع قبة الارض و حالات الثوابت ذوات العروض فى ٣٠ ورقة .

يح ـ ومقالة صغيرة فى اعتبار مقدار الليل و النهار فى جميع الارض لتعريف كون السنة يوماً تحت القطب بغير تشكيل .

ثم عملت فيما اتصل بأطوال البلاد وعروضها وسموت بعضها من بعض:

الف ـ كتاب تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن فى ١٠٠ ورقة :

ب ـ وكتاب تهذيب الاقوال فى تصحيح العروض و الاطوال فى ٢٠٠ ورقة .

ج ـ وكتاب تصحيف المنقول من العرض والطول فى ٤٠ ورقة .

د ـ ومقالة فى تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمور من الارض .

ه ـ وأخرى فى تعيين البلد من العرض والطول كلاهما فى ٢٠ ورقة .

و ـ ومقالة فى استخراج قدر الارض برصد انحاط الافق عن قلل الجبال فى ٦٠ ورقة .

ز ـ فى غروب الشمس عند منارة اسكندرية فى ٤٠ ورقة

ح ـ فى الاختلاف الواقع فى تقاسيم الاقاليم فى ٢٠ ورقة .

ط ـ فى اختلاف ذوى الفضل فى استخراج العرض والميل .

ى ـ و كتاب الاجوبة والاسئلة لتصحيح سمت القبلة فى ٣٠ ورقة

يا ـ و ايضاح الادلة على كيفية سمت القبلة فى ٢٥ ورقة

يب ـ و تهذيب شروط العمل لتصحيح سموت القبل فى ٤٠ ورقة

خليفة فى كتابه كشف الظنون منسوباً إلى ابى الريحان (خمسة عشر كتاباً)

يجـ و فى تقويم القبلة ببست بتصحيح طولها وعرضها فى ١٥ ورقة

يدـ فى الانبعاث لتصحيح القبلة كان فى ٤٥ ورقة

يهـ و تلافى عوارض الزلة فى كتاب دلائل القبلة

وعملت فيما اتصل بالحساب:

الفـ تذكرة فى الحساب والعد بارقام السند والهند فى ٣٠ ورقة

ب ـ كلاماً يتبعها فى استخراج الكعاب و اضلاع ماوراءه من مراتب الحساب فى ١٠٠ ورقة

ج ـ وكيفية رسوم الهند فى تعلم الحساب

د ـ فى أن رأى العرب فى مراتب العدد أصوب من رأى الهند فيها فى ١٥ ورقة

ﻫ ـ وفى راشيكات الهند فى ١٥ ورقة

وـ و فى سكب الاعداد جاء نصفه فى ٣٠ ورقة

زـ ترجمة ما فى براهم سدهاند من طرق الحساب فى ٤٠ ورقة

ح ـ منصوبات الضرب

و عملت فى الشعاعات و الممر :

الف ـ كتاباً سميته بتجريد الشعاعات والانوار عن الفضائح المدونة فى الاسفار فى ٥٥ ورقة

ب ـ ومقالة فى تحصيل الشعاعات بأبعد الطرق عن الساعات فى ١٠ أوراق

ج ـ و اخرى فى مطرح الشعاع ثابتاً على تغير البقاع فى ١٥ ورقة

د ـ و تمهيد المستقر لتحقيق معنى الممر فى ٦٠ ورقة

وعملت فيما اتصل بالالات والعمل بها:

الف ـ كتابا فى استيعاب الوجوه الممكنة فى صنعة الاصطرلاب فى ٨٠ ورقة

ب ـ وفى تسهيل التصحيح الاصطرلابى والعمل بمركباته من الشمالى والجنوبى فى ١٠ أوراق

ج ـ و فى تسطيح الصور و تبطيح الكور فى ١٠ أوراق

د ـ و فيما أخرج ما فى قوة الاصطرلاب الى الفعل فى ٣٠ ورقة

ﻫ ـ و فى استعمال الاصطرلاب الكرى ١٠ أوراق

وعمل فيما اتصل بالازمنة والاوقات:

الفـ مقالة فى تعبير الميزان لتقدير الازمان فى ١٥ ورقة

بـ فى تحصيل الآن من الزمان عند الهند فى ١٠٠ ورقة

ج ـ و تذكرة فى الارشاد الى صوم النصارى و الاعياد فى ٢٠ ورقة

لوجدنا ان مجموع مؤلفاته يبلغ مائة و ثمانين كتاباً و رسالة مختلفة الحجمو

د- فيالاعتذار عما سبق لي فيتاريخ الاسكندر في ١٠ أوراق
هـ- و في تكميل حكايات عبدالملك الطبيب البستي في مبدأ العالم و انتهائه في قريب من ١٠٠ ورقة

وعملت فيالمذنبات والذوائب:

الف- مقالة فيدلالة الاثارالعلوية علىالاحداث السفلية في٣٠ ورقة
ب- فيابطال ظنون فاسدة خطرت على قلوب بعضالاطباء فيأمر الكواكب الحادثة فيالجو في ٧٠ ورقة
ج- و مقالة فيالكلام علىالكواكب ذوات الاذناب و الذوائب في ٦٥ ورقة
د- ومقاله في مضيئات الجو الحادثة فيالعلو
هـ- و مقاله فيتصفح كلام أبي سهلالقوهي فيالكواكب المنقضة في ١٥ ورقة

و عملت :

الف- كتابا في تحقيق منازل القمر في ١٨٠ ورقة
ب- فيالفحص عن نوادر أبيحفص عمربنالفرخان في ٢٤٠ ورقة
ج- و مقالة فيالنسب التي بين الفلزات والجواهر فيالحجم في ٣٠ ورقة
د- و مقالة في استخراج الاوتار في الدائرةبخواص الخط المنحنى فيها في ٨٠ورقة
هـ- و تذكرة فيالمساحة للمسافرالمقوى في ١٠ أوراق
و- و مقالة في نقل خواصالشكل القطاع الى مايغنى عنه في ٢٠ ورقة
ز- و مقالة في أن لوازم تجزى المقادير لاالى نهاية قريبة من أمرالخطين الذين يقربان و لايلتقيان فيالاستبعاد في ١٠ أوراق
ح- و مقالة في صفة أسباب السخونة الموجودة فيالعالم و اختلاف فصول السنة في ٤٥ ورقة
ط- ومقالة فيالبحث عنالطريقة المتعرفة المذكورة فيكتاب الاثار العلوية في٤٠ ورقة
ى- المسائل البلخية فيالمعانيالمتعلقة بانكسار الصناعة في ٧٠ ورقة
يا- الجوابات عنالمسائل الواردة من منجمي الهند في ١٢٠ ورقة
يب- و الجوابات عنالمسائلالعشرالكشميرية

وعملت فيما اتصل باحكام النجوم:

الف- كتاب التفهيم لاوائلصناعة التنجيم
ب- و مقالة في تقسيط القوى والدلالات بين أجزاء البيوت الاثنيعشر في ١٥ ورقة
ج- ومقالة في حكاية طريق الهند في استخراج العمر

الموضوع و بالاضافة الى الكتب المطبوعة التى اشرنا اليها آنفاً طبع عام

د ـ و مقالة فى سير سهمى السعادة والغيب

هـ ـ فىالارشاد الى تصحيح المبادى اشتمل على النموذارات فى ٥٠ ورقة

و ـ و مقالة فى تبيين رأى بطلميوس فىالسالخداه فى ٧ أوراق

ز ـ وترجمه كتاب المواليد الصغير لبراهيميهير

و أما مايجرى مجرى الاحماض منالهزل والسخف فقد ترجمت :

الف ـ قصة وامق و عذراء

ب ـ و حديث اورمزديار و مهريار

و ـ و حديث صنمى الباميان

هـ ـ و حديث داذمه وكرامى دخت جهلىالوادى (كذا)

و ـ و حديث نيلوفر فى قصة دبيستى و بربهاگر

ز ـ و قافية الالف من الاتمام فى شعر أبى تمام

ح ـ و مقالة فىالاستخبار عن قدالاشجار

ط ـ و تحصيل الراحة بتصحيح المساحة

ى ـ و التخذير من قبل الترك

يا ـ و القرعة المصرحة بالعواقب

يب ـ والقرعة المثمنة لاستنباط الضمائر المخمنة وشرح مزامير القرعة المثمنة

يج ـ و ترجمة كلب يارة و هو مقالة للهتد فى الامراض التى تجرى مجرى العفونة

و أما فيما اتصل بالعقائد فعملت :

الف ـ كتاباً فى تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فىالعقل او مرذولة فى ٧٠٠ ورقة

ب ـ و مقالة فى علة علامات البروج فىالزيجات من حروف الجمل فى ١٥ ورقة

ج ـ و كلام فىالمستقر و المستودع فى ١٠ أوراق

د ـ و مقالة فىناسديو الهند عندمجيئهالادنى

هـ ـ و ترجمة كتاب شامل فىالموجودات المحسوسة والمعقولة

و ـ و ترجمة كتاب باتنجل فىالخلاص من الارتباك

فأما ما عملته و ذهبت عنى نسخته أوسواده فكثير مثل:

الف ـ التنبيه على صناعة التمويه وهى أحكام النجوم

ب ـ و تنويرالمنهاج الى تحليل الازياج

ج ـ و التطبيق الى تحقيق حركة الشمس

١٩٤٨ م فى حيدر آباد اربع رسائل له فى الرياضيات والنجوم فى مجلد واحد .

د ـ والبرهان المنير فى اعمال التسيير

هـ ـ وكتاب تنقيح التواريخ و أمثال ذلك

والذى ذكرته مـن تأويل رؤياى فاعلم ان للانسان فى محنه و نكائبه و ان كان أعقل الناس و أكيسهم لايزال يتوقع الفرج فيستروح الى البشائر و ينقبض عما يكره ويتطير به و يسر بالاحلام فيركن الى الفأل والاحكام و قدكنت ببشريتى على هذا فى مثل تلك الاوقات أطالب المنجمين بالنظر فى العواقب من مولدى و يبتدئون باستخراج العمر علـى اختلاف شديد بينهم فيه فمن آخذ له ست عشرة سنة و من آخذ له نيفاً و أربعين سنة مكذبا نفسه فقد كنت مجاوزا للخمسين و أما غيرهم فزادوا على الستين زيادة نزرة لما شارقت ذلك الوقت اكتنفتنى أعلال مهلكة اجتمع بعضها فى وقت واحد و ترادفت بعضها فى وقت دون وقت حتى رضت العظام وهدت البدن وأقعدت عن الحركة و أفسدت الحواس ثم أخذت بالانجلاء بعد أن خارت القوى بالشيخوخة و رأيت ليلة تحويل السنة الحادية والستين فى المنام كأنى مترصد للهلال أطلبه فى مواضعه و أتأمله على مساقطه فيعجزنى رؤيته فقال لى قائل خله فانك ابنه مائة وسبعين مرة وانتبهت بعقبه و حولت الاربع عشرة سنة قمرية مع شهرين الى الشمسية فنقصت خمسة أشهر و نصف شهر و قاربت الجملة سنى عطارد الكبرى الذى ذكروا أنه المستولى على وقت الولادة و مع هذا فلم أهش فيما ذكرته فكان قد فنى ولم يبق منه غير الجرة والقصعة الالشيء واحد و هو اتمام ما على اليد من النواقص و تبييض المسود فى التعاليق:

الف ـ كالقانون المسعودى

ب ـ و كالاثار الباقية عن القرون الخالية

ج ـ وكالارشاد الى مايدرك و لاينال من الابعاد

د ـ وكالكتابة فى المكاييل و الموازين و شرائط الطيار والشواهين

هـ ـ وكجمع الطرق السائرة فى معرفة أوتار الدائرة

و ـ وكتصور أمر الفجر والشفق فى جهتى الشرق والغرب من الافق

ز ـ وكتكميل صناعة التسطيح

ح ـ وكجلاء الاذهان فى زيج البتانى

ط ـ وكتحديد المعمورة و تصحيحها فى الصورة

ى ـ و كعلل زيج جعفر المكنى بأبى معشر فسائر المقالات و مـا أنويه من ترجمة كتب الهند ولايعين عليها بعدعون الله و الامان عن مقسمات الفكر غير انفساح المدة و تأخر الاجل و سلامة الحواس و صحة البدن بحسب السن و يجب عليك أن تعلم فيما عددته

من كتبى مما عملته فى حداثتى و ازدادت المعرفة بفنه بعد ذلك فلم أطرحه ولم استزدله فانها جميعاً أبنائى والاكثر بابنه و بشعره مفتون . و ما عمله غيرى باسمى فهـو بمنزلة الربائب فى الحجور والقلائد على النحور لاأميز بينها و بين الانهار فمما تولاه باسمى أبو نصر منصور بن على بن عراق مولى اميرالمؤمنين اناراالله برهانه:

الف ـ كتابه فى السموات

ب ـ وكتابه فى علة تنصيف التعديل عند أصحاب السند هند

ج ـ وكتابه فى تصحيح كتاب ابراهيم بن سنان فى تصحيح اختلاف الكواكب العلوية

د ـ و رسالته فى براهين اعمال حبش بجدول التقويم

هـ ـ و رسالته فى تصحيح ما وقع لابى جعفر الخازن من السهو فى زيج الصفائح

و ـ و رسالته فى مجازات دوائر السموت فى الاصطرلاب

ز ـ و رسالته فى جدول الدقائق

ح ـ و رسالته فى براهين على عمل محمد بن الصباح فى امتحان الشمس

ط ـ و رسالته فى الدوائر التى تحدالساعات الزمانية

ى ـ و رسالته فى البرهان على عمل حبش فى مطالع السمت فى زيجه

يا ـ و رسالته فى معرفة القسى الفلكية بطريق غيرطريق النسبة المؤلفة

يب ـ و رسالته فى حل شبهة عرضت فى الثالثة عشر من كتاب الاصول

والذى تولاه أبوسهل عيسى بن يحيى المسيحى باسمى:

الف ـ كتابه فى مبادى الهندسة

ب ـ وكتابه فى رسوم الحركات فى الاشياء ذوات الوضع

ج ـ وكتابه فى سكون الارض أو حركتها

د ـ وكتابه فى التوسط بين أرسطو طاليس و جالينوس فى المحرك الاول

هـ ـ و رسالته فى دلالة اللفظ على المعنى

و ـ و رسالته فى سبب برد أيام العجوز

ز ـ و رسالته فى علة الترسة (كذا) التى تستعمل فى أحكام النجوم

ح ـ و رسالته فى آداب صحبة الملوك

ط ـ و رسالته فى قوانين الصناعة

ى ـ و رسالته فى دستور الخط

يا ـ و رسالته فى الغزليات الشمسية

تطبع ابداً منها كتاب «تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن » و كتاب « استيعاب الوجوه الممكنة فى صنعة الاصطرلاب»

شخصية أبى الريحان

نستطيع أن نتناول الجوانب المختلفة لشخصية أبى الريحان بمالدينا من معلومات حول حياته و بما ذكرته الكتب القديمة حول هذه الشخصية الفذة و بما خلّفه لنا أبو الريحان نفسه من الكتب القيمة لكى نقف على حقيقة شخصيته الكبيرة .

و للوصول إلى تحقيق هذه الدراسة سنتناول بالبحث أولا دورأبى الريحان السياسى - لانه ، كماسنرى ، لعب دوراً هاماً فى السياسة فى فترة من حياته - و فى نهاية البحث سنحاول أن نعرف دوافع تدخله فى السياسة .

و سندرس ثانياً شخصيته الادبية و شاعريته باختصار وبعد ذلك سنتحدث ثالثاً ، عن أبى الريحان العالم والفيلسوف و منزلته العلمية .

وفى الختام سنحاول أن نصور الوجه المعنوى لابى الريحان الانسان و نجسّده أمام أعين قرائنا الاعزاء

اولا ، ابو الريحان السياسى :

نشاهد فى فهرست كتب البيرونى كتاباً تحت عنوان «المسامرة فى أخبار خوارزم » إلا أن هذا الكتاب لم يسلم ، لسوء الحظ ، من تصاريف الدهر و لم

← **يب** ـ و رسالته النرجسية

و مما عمله ابو على الحسن بن على الجيلى باسمى الرسالة المعنونة بمن و عن . و قد عرضت عليك ما معى من هذه الكتب لتعلمنى موقع اشتهائك منها لاقربه منك و أنزهك به والسلام . تمت الرسالة للاستاذ المعروفة بالفهرست .

يعثر على أثر له إلا ما نقل منه ابوالفضل البيهقى (١) فـىنهاية تاريخه الشهير و يتضح من تلك الخلاصة التى ذكرها البيهقى أن أباالريحـان ، بغض النظر عن منزلته و شخصيته العلمية ،حظى بمركز سياسّى خطير ، و ان كان لم يتقلد منصبا رسمياً كالوزير مثلا :

كان محمود الغـزنوى ، كما نعلم ، فـى صدد القضاء علـى الاسر الايرانية الحاكمة (٢) ومن بينها أسرة خوارزمشاه ليضم أقاليمهم الى مملكته الواسعة.

و أبوالريحان الذى اقام سبع سنوات فى بلاط ابىالعباس المـامون بن المامون اميرخوارزم و عاش الاحداث التى مرت علىابىالعباس و شهد نهاية حكم هذه الاسرة يذكر لنا بدقة تلك الوقائع ؛ و من خلال ماكتبه يتضح لنا دوره السياسى الهام فىبلاط ابىالعباس .

يخبرنا البيرونى عنخوف ابىالعباس خـوارزمشاه من محمود الغزنوى

---

(١) ـ هـو ابوالفضل محمدبنالحسين المتوفى عام ٤٧٠ ﻫ . كان من كبارالكتاب المعاصرين للغزنويين فىالقرن الخامس . ولد فى بيهق و أتم دراساته فى نيسابور ثماشتغل كاتبـا فى ديوان الرسائل لمحمود الغـزنوى الذى كان يشرف عليه الكاتب الشهير أبونصر مشكان . و بقى يعمل فىالديوان مدة تسعة عشر عاماً اى الى عهدالسلطان عبدالرشيد الذى ولاه ديوان الرسائل. و قد ألقى به فىالسجن بعد أن و شى به بعض أعدائه وحساده وحينما خرج منالسجن انزوى عنالناس . ومن مولفاته «زينةالكتاب» فى فن الكتابة الذى لم يسلم من تصاريف الدهر و كتاب « تاريخ آل سبكتكين » الذى هوالآخر لم يبق منه سوى قسم يعرف بالتاريخ المسعودى أو تاريخ البيهقى . و منهج البيهقى فى نقل الوقائع والاحداث و دقته فى استقصاءالامـور و رجوعه الى الوثائق و المستندات الصحيحة قد أعطى لكتابه قيمة علمية كبيرة كما أن أسلوبه فىالكتابة و قوة و دقة تعبيره قد أضفيا على الكتاب قيمة أدبية بالغة فىالادب الفارسى . و ترجم الاستاذ يحيى الخشاب بمساعـدة المرحـوم صادق نشأت تاريخ البيهقى الى اللغة العربية عام ١٩٥٦ ميلادى .

(٢) ـ انظر كتاب «فرخى سيستانى» للاستاذ الدكتور غلامحسين يوسفى ص١٨٠ و ما بعدها

قائلا : «... و ابوالعباس كان يبحث عما يرضى محموداً الغزنوى فى كل امر و يظهر تواضعا لاحد له .. » (١) ثم يشرح لنا بدقة كيف كان خوارزمشاه يقف في مجلس الخمر و يامر حـاشيته بالوقوف ايضاً ليذكـروا الامير محموداً الغزنوى و يشربوا نخب صحته (٢) ثم يأتى البيرونى بنموذج آخر يصور فيه خوف ابى‌العباس من محمود الغزنوى فينقل لنا ان الخليفة العباسى القادر بالله (٣٨١-٤٢٢) ارسل الى ابى العباس خوارزمشاه بواسطة اميرالحاج خلعة مع العهد واللواء مع لقب « عين‌الدولة » و « زين‌الملة » و يضيف البيرونى ان اباالعباس ارسلنى سراً الى رسول الخليفة ، قبل وصوله الى خوارزم لاستلم هدايا الخليفة العباسى لكى لايعلم احد بها خوفاً من معرفة محمود الغزنوى بامر الرسول و يضيف .

« استلمت خفية هـدايا الخليفة العبـاسى من رسولـه و جئت بهـا إلى خوارزم و سلمتها إلى ابى‌العباس فامر باخفائها ؛ ولم يظهروها طالمااستقام لهم الدهر و حينما حل الزمان الذى كان لابد من أن تضمحل فيه هذه‌الاسرة أظهروا عطايا الخليفة فكان ماكان وحدث ماحدث » (٣) .

يتبين لنا من هـذه الواقعة مدى اعتماد أبى‌العباس خـوارزمشاه على أبى‌الريحان لان إطلاع أبى‌الريحان على هذا السر الخطير و إرساله لمقابلة رسول الخليفة العباسى كتماناً لامره ، لايدل إلا على ثقة أبى العباس‌الكبيرة بأبى‌الريحان كما يدلنا على اشتغال أبى‌الريحـان بالامـور السياسية الخطيرة إلى جانب اشتغاله بالعلم .

---

١ ـ انظر تاريخ البيهقى طبعة كلية‌الآداب بمشهد (دانشكده ادبيات مشهد) ص٩٠٧

٢ ـ انظرالمصدر نفسه ص ٩٠٨

٣ ـ انظر المصدر نفسه ص٩٠٨

ثم نقرأ أيضا فى تاريخ البيهقى ، نقلا عن أبى الريحان أن محموداً الغزنوى ، الذى كان يبحث ـ كما أشرنا ـ عن الحجج و الاعذار للايقاع بابى العباس ، طمعاً فى ملكه ، قال لوزيره أحمدبن حسن الميمندى: «ان اباالعباس خوارزمشاه لايصدقنا فى نواياه ...» (١) فطلب الوزيرمنه أن يمنحه الفرصة لاختبارأبى العباس، وشرح له خطةالاختبار، فقبل محمودذلك،فأرسل الوزير من يوصل الى ابى العباس « انّه إذا كان يرغب فى كف أطماع الناس عن ملكه فلماذا لايخطب باسم السلطان ؟ (أى محمودالغزنوى) » ويضيف الوزير أنه يقول ذلك على سبيل اسداء النصيحة والسلطان لايعلم عنها شيئاً . (٢)

و يحكى لنا ابوالريحان قائلا: وحينما وصل هذا الكلام الى خوارزمشاه « أحضرنى و اختلى بى ثم أطلعنى على قول الوزير أحمدبن حسن الميمندى فى هذا الخصوص » (٣) فقلت له : «انس هذا الحديث ، أعرض عن العواء و لا تسمعها فماكل خطاب محوج الى جواب و اغتنم قول الوزير انه متبرع بهذا القول ، و أنه يسديه نصيحة منه ، و أن سلطانه لايدرى عنها شيئاً ، و اكتم هذا الحديث ولاتفض بهلأحد لأن فى الافضاء به شراً عظيماً. فقال خوارزمشاه ما هذا الذى تقول ، ان هذاكلام لايقال بغير أمرالسلطان و ليس محمود ممن يلعب معهم بمثل هذا ، و أخشى اذا لم أجعل الخطبة باسمه طوعاً أن يحملنى عليهاكرهاً ، والصواب أن نبعث سفيراً على عجل يتحدث الى الوزير فى هذا الأمر ، على نحو يحملهم على أن يطلبوا منا الخطبة بأنفسهم فتكون منّة منا ، و لايجوز أن نقهر على هذا ، فقلت الامر للامير » (٤)

---

١ ـ انظر تاريخ البيهقى ، طبعة كلية الاداب بمشهد ص٩١١

٢ ـ انظر المصدر نفسه ص ٩١٠ ـ ٩١١

٣ ـ انظر المصدر نفسه ص ٩١١

٤ ـ انظر الترجمة العربية لتاريخ البيهقى ص ٧٣٧

كان ابوالريحـان ، كمانلاحظ ، يعلم جيداً بأن قواد و رؤسـاء جيش ابىالعباس خوارزمشاه لايطيقون أن يذكر اسم محمود الغزنوى فى الخطبة واذا ما سمعوا بذلك فانهم سيثورون علىابىالعباس، و هو ما انتهى اليهالامر كما نعرف .

تدل هذه الحـادثة بصورة أوضح عـلى أن اباالعباس خـوارزمشاه كان يختلى بأبىالريحان و يستشيره فى الامور السياسية الهامة و يطلب منه الحلول لمشاكله ، و إن كان لم يأخذ برأى أبىالريحان الصائب بشأن الخطبة

و أخيراً نرى أباالريحـان ، فى الاحـداث التى أدّت إلى اضمحلال وانقراض أسرة خوارزمشاه المأمونية،يحـّل موضع المستشار القريب و الرفيق الصديق لابى العباس ؛ فقد كان يستميل قلوب قوادالجيش الذين لميقبلوا بأى ثمن ذكر اسم محمودالغزنوى فى الخطبة من جهة ؛ (١) و من جهة أخرى بذل جهـوداً كبيرة لعقد حلف بين خانات تركستان و خوارزمشاه للوقوف بوجه محمودالغزنوى بعد أن اتضح له عداء محمود لابىالعباس (٢)

---

١ ـ انظر تاريخ البيهقى طبعة كليةالآداب بمشهد ص ٩١٣ ـ ٩١٤

٢ ـ يذكرابوالريحان القصة بقوله: «قلت ان خانات تركستان ساخطون علىالاميروهم أصدقاء للسلطان محمود و منالصعب التغلب على خصم واحد ، فاذا اتحد الخصمان فان أمر مقاومتهما يطول ، فلابدمناستمالة الخانيين فانهمالیوم مشتغلون بحرب على حدود «اوزكند» وعلينا بذل الجهد لاقرار الصلح بين الخان والايلك بواسطة الامير، فانهمسيقدرون هذاكثيرا ويقبلونالصلح،ويفيدالامير بذلك فائدة عظيمة،واذا تصالحوا فانهم لنيثيرواخصومة ابداً.قال: أرجىءهذا حتى اتفكر فيه، فقدأرادأن يظهر بأنه وحده صاحب هذه الفكرة، ثمانه صمم على هذا الرأى وجـد فيه ، و بعث الرسل مـع الهدايا الغالية حتـى يتم الصلح بين المتقاتلين على يديه ، فاصطلحوا، وحفظوا له هذا الجميل، فقدكان حديثه أطيب أثراً فىتهدئة الحرب من حديث السلطان محمود و أوفدوا اليه الرسل و قالوا له ان هـذا الصلح من بركات اهتمامه و شفقته ، و عقدوا معه العهد وتبادلوا و اياه الصلات ، فلما بلغ هذا الخبرالسلطان محموداً أعمل فيه خياله و أساء الظن بكل من خوارزمشاه و خانات تركستان ، و سار حتى بلغ بلخ ، و بعث برسله معاتباً الخان والايلك عما جرى ... » انظر الترجمة العربيةلتاريخ البيهقى ص ٧٣٩ ـ ٧٤٠

صحيح أن هذه التدابير لم تؤدّ إلى نتيجة مثمرة لكنّها تشير بوضوح إلى أنّ أباالريحان كان يلعب دوراً بارزاً فى إدارة إمارة خوارزمشاه و تبين أيضاً أن اباالريحان كان العدو اللدود والخصم العنيد لمحمودالغزنوى فى الجهاز السياسى لابى العباس .

فلاعجب إذن أن نرى محموداً الغزنوى يأسر اباالريحان ، بعد فتحه خوارزم ، و يرسله مع الاسرى والسجناء الآخرين الى غزنة (١) وهناك ، كما يقول ياقوت الحموى ، يقتل استاذه ؛ عبدالصمد الاول بن عبدالصمد الحكيم بتهمة الكفر والقرمطة و يهمّ بقتل أبى الريحان أيضاً و لكن شفاعة بعضهم له و قولهم بأنّه فريد عصره فى علم النجوم و انه يصلح للعمل فى البلاط ينقذه من مصيره المحتوم . (٢)

ان ماجاء فى كتاب چهارمقالة (المقالات الاربعة) للعروضى (٣) حول معاملة محمود الغزنوى لابى الريحان يدل على حقد محمود لهذا العلامة الكبير الذى لانظير له فى عصره، لأن مايحاك حول حياة العظماء من أساطير ، لابد و أن تكون هناك رابطة بينها وبين حياتهم الحقيقية ؛ فقد جاء فى كتاب چهارمقالة أنّ محموداً الغزنوى حينما وجد أن اباالريحان أجاب عن جميع أسئلته

---

١ ـ انظر . Encyclopedie de l' Islam T. 1. P. 1273-1275

٢ ـ انظر معجم الادبا الجزء ١٧ ص ١٨٦

٣ ـ هو ابوالحسن نظام الدين أحمدبن عمر بن على النظامى العروضى السمرقندى وهو من شعراء وكتاب القرن السادس الهجرى . ولد فى سمرقند ثم سافر الى خراسان بعد اكتسابه العلوم والمعارف والتحق ببلاط آل شنسب ومدحهم و الف كتابه المعروف بـ «چهارمقالة» باسم ابى الحسن حسام الدين على بن فخرالدين مسعود الاميرالغورى سنة ٥٥١ هـ وكتابه هذا الذى يشتمل على مقدمة فى الحكمة و العلوم الطبيعية ثم على أربع مقالات فى فن الكتابة و فن الشعر و علم النجوم و علم الطب له أهمية تاريخية و جغرافية و أدبية أيضاً .

باجابات صحيحة و دقيقة غضب عليه و أمر بالقائه من على سطح قصره . (١)
ولعل خوف أبي‌الريحان من‌حقد محمود هوالذى دفعه الى‌نصيحة الملوك‌بقوله :

« جلّ خطر الملوك عن‌المجازاة بانتقام و ليس للملك أن يحسد الاّ على حسن التدبير والسياسة » (٢)

و لرب سائل يسأل لماذا انّ عالماً كأبى‌الريحان الذى وقف حياتة ، بصدق، على‌العلم والمعرفة والذى رفض ترفعاً اقتراح شمس‌المعالى قابوس‌بن وشمكير الذى اراد ان يسلّم اليه شؤون مملكته، (٣) لماذا ولاى سبب اشتغل بالسياسة فى خوارزم الى هذا الحدّ ؟

و اوّل سبب نلتمسه لتدخل ابى‌الريحان فى‌سياسة خوارزم هو اعترافه بالجميل و تقديره لمودّة ابى‌العباس له و لاحترامه العلم و العلماء ؛ فكمانعلم انّ اباالحسن على‌بن المأمون خوارزمشاه واخاه اباالعباس من‌بعده و وزيرهما اباالحسين السهلى او (السهيلى) كانوا من المحبين و الحماة للعلماء الكبارفى بلاطهم كابن‌سينا و ابى‌نصر منصوربن على بن عراق و ابى سهل المسيحى و ابى‌الريحان . (٤)

---

١ ـ انظر كتاب چهارمقالة (المقالات الاربعة) للعروضى‌طبعة الدكتور معين ، مقالة النجوم ، الحكايتين الثانية والثالثة ص ٩١ و ما بعدها .

٢ ـ انظر المقدمة التى كتبها المستشرق زاخائو للاثار الباقية ص L١١ ، و انظر ايضاً ترجمة تتمة صوان الحكمة ، ملحق مجلة مهر طهران السنة الخامسة عام ١٩٤٠ ذيل الحكيم ابوالريحان

٣ ـ جاء فى كتاب معجم‌الادباء مانصه : « ... و اما بناهة قدره و جلالة خطره عندالملوك فقد بلغنى من حظوظه لديهم أن شمس‌المعالى قابوس‌بن‌وشمكير أراد أن يستخلصه لصحبته و يرتبطه فى داره على‌أن تكون له الامرة (الولاية) المطاعة فى‌جميع مايحويه ملكه و يشتمل عليه ملكه فأبى عليه و لم يطاوعه و لما سمحت قرونته بمثل ذلك أسكنه فى داره و أنزله معه فى قصرة ...» انظر معجم‌الادباء الجزء ١٧ ص ١٨٢ .

٤ ـ أنظر « تاريخ ادبيات در ايران » للدكتور صفا ج١ ص٢٠٧ ـ ٢٠٨

جاء فی تاريخ البيهقی قول أبی‌الريحان عن معاملة أبی‌العباس المأمون ابن‌المأمون خوارزمشاه له كما يلی :

« ركب خوارزمشاه يوماً فرسه و هو يشرب الخمر فلما صار قريباً من حجرتی أرسل فی طلبی فتأخرت قليلا فی‌الحضور فساق فرسه حتی وصل إلی باب حجرة نوبتی و أراد أن يترجل عن ظهر فرسه فقبلت الارض بين يديه و أقسمت عليه أيماناً مغلّظة فلم يترجل و قال :

العلم من أشرف‌الولايات يأتيه كل الوری ولاياتی

ثم قال : لولاالرسوم الدنياوية لما إستدعيتك فالعلم يعلو ولا يعلی » (١)

و تكشف هذه‌القصة لنا النقاب عن مدی اهتمام خوارزمشاه بالعلماء عامة و بأبی‌الريحان خاصة كما تبين عطفه و محبته له ، فمن الطبيعی إذن أن نشاهد إنساناً كابی‌الريحان يهرع إلی مساعدة أبی‌العباس ـ صديقه وحاميه ـ فی وقت الشدة والضيق و يبحث له عن حلّ للازمة التی حاقت به .

و هناك سبب منطقی آخر يبدو لنا لدفع أبی‌الريحان إلی تعاطيه السياسة و هو ، أنّ عالماً حكيماً كأبی‌الريحان لم‌يكن بمقدوره إلا أن يخالف سياسة التعصب المذهبی الاعمی التی‌كان ينتهجها محمود الغزنوی فی حكمه ، تلك السياسة التی‌كانت تخالف العلوم العقلية و تكنّ العداء والحقد للعلماء (٢) ؛

---

١ ـ انظر تاريخ البيهقی طبعة كلية الاداب بمشهد ص ٩٠٩ . و ذكر ياقوت فی معجم‌الادباء (الجزء ١٧ ص ١٧٢-١٨٣) كما يلی : «... و دخل خوارزمشاه يوماً و هو يشرب علی ظهرالدابة فأمر باستدعائه (أی باستدعاء أبی‌الريحان) من‌الحجرة فأبطأ قليلا فتصور الامر علی غيرصورته . و ثنی‌العنان نحوه و رام النزول فسبقه أبوالريحان الی‌البروز و ناشده‌الله ألا يفعل فتمثل خوارزمشاه :

.. العلم من أشرف الولايات يأتيه كل‌الوری ولاياتی

ثم قال : لولا الرسوم الدنيا وية لما استدعيتك فالعلم يعلو ولا يعلی وكانه سمع هذا فی‌أخبارالمتضد . . . . »

٢ـ انظركتاب «فرخی‌سيستانی» للاستاذ الدكتور يوسفی ص ١٧٠ و مابعدها

فكان أبوالريحان يـرى بأم عينه كيف كان محمود الغـزنوى يسعى للقبض على الفيلسوف الاسلامى الكبير ابن‌سينا (١) ليقتله بتهمة الكفر والزندقة و كان يرى أيضاً بعين ذكائه ماسيؤول إليه مصير العلماء كامثال عبدالصمدالاول بن‌عبدالصمد الحكيم (٢) و ابن‌فورك (٣) و أبى‌نصر منصوربن على‌بن عراق (٤) و ابى‌عبدالله

١ـ انظر «تاريخ ادبيات در ايران» للدكتور صفا ج١ ص٣٠٤

٢ـ يذكر ياقوت الحموى فى‌كتابه معجم‌الادباء (الجزء ١٧ ص ١٨٦) :

« وحدثنى بعض أهل الفضل أن السبب فى مصيره (أى مصير أبى‌الريحان) الى غزنة أن السلطان محموداً لما استولى علـى خوارزم قبض عليه و على استاذه عبدالصمد الاول‌بن عبدالصمد الحكيم و اتهمه بالقرمطة والكفـر فأذاقه الحمام و هـم أن يلحق به أباالريحان فساعده فسحة الاجل بسبب خلصه من‌القتل وقيل له: انه امام وقته فى‌علم النجوم و ان‌الملوك لايستغنون عن مثله ...»

٣ـ ابن‌فورك هو الاستاذ أبوبكر محمـدبن‌الحسن‌بن فورك المتكلم الاصولى الاديب النحوى الواعظ الاصفهانى،درس العلوم فى‌العراق ثم ذهب الى الرى و من هناك الى‌نيسابور حيث درس العلوم على جماعة من‌المتفقهة . له تصانيف متعددة فى‌أصول الفقه والدين ومعانى القرآن،قريبة من مائة مصنف،كمايقول ابن‌خلكان ، و «كان رجلا صالحاً ، سمع الحديث ، و روى عنه أبوبكرالبيهقى و أبوالقاسم القشيرى وغيرهما، قتله محمودبن سبكتكين بالسم» كما يقول ابن‌تغرى بردى . انظر وفيات الاعيان ج ٣ ص٤٠٢ ، و النجـوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٤٠

٤ ـ ينقل تاج‌الدين السبكى عن مقدمة لتاريخ خوارزم الذى ألفه صاحب الكافى ، جانباً من أخبار أبى‌نصر منصوربن على‌بن عراق و يذكر أنه «كان مقيماً بقرية على‌باب‌البلد و له بها قصر مشيد ...» ثم يعرج على‌ذكر مقتله على يدمحمود الغزنوى فيقول : «وأبونصر هذا هوالذى نزل عنده السلطان أبوالقاسم محمود حين دخل خوارزم فى‌ضيعته هذه فأضافه و و أضاف جنده و لم‌يحتج فى ضيافتهم الى احضار شىء من موضع‌آخر . قال وسمعت الثقات أنه أخرج لكل فرس كان معهم وقت العشاء مخلاة بالشعير و عذاران جديدان . قال غير أن السلطان اتهمه بسوء الاعتقاد فانه لم يرفى ضيعته مسجداً فلما دخل الجرجانية أمر بصلبه فصلب مع من‌صلب من‌المتهمين بسوءالاعتقاد فى سنة ثمان و أربعمائـة ... » . انظر طبقـات الشافعية الكبرى ج٤ ص٣٠٦

الفقيه المعصومی (١) الذين شربوا كأس الردی علی يد محمود الغزنوی فيما بعد ؛ لهذا ، بذل البيرونی كل طاقاته و إمكانياته و سعی جاهداً فی سبيل صون خوارزم من براثن تعصب قـوم قال فيهم الفـردوسی الشاعـر الايرانـی الكبير :

«يبحثون عن ضرر الناس لتحقيق مآربهم ويأخذون من الدين عذراً » (٢) .

صحيح أنّ أباالريحان بقی حيّاً بعد فتح خوارزم و عاش سنوات عديدة فی بلاط غزنة ، و اصل فيها دراساته العلمية و ألّف كتباً قيمّة خلّدته ولكن ، كما أوضح الاستاذ الدكتور ذبيح‌الله صفا فی كتابه القيم «تاريخ العلوم العقلية فی الحضارة الاسلامية » لم يحظ أبوالريحان فی بلاط محمود الغزنوی بحرية كافية وسط تلك البيئة المتعصبة ليعبّر عن أفكاره و يبين عقائده . (٣)

ثانياً ، أبو الريحان الاديب :

مع أنّ أباالريحان كان مضطلعاً فی النجوم و العلوم الرياضية و الطبيعية والميادين العلمية الاخری ، و قد كتب أكثر آثاره فی هذه المجالات ، الا أنه كان علی جانب كبير من المعرفة باللغات المتعددة كالفارسية والعربية والسنسكريتية و العبرية و السريانية (٤) التی منحته ذوقاً لغوياً خاصاً نری تأثيره فی اختياره

---

١ ـ هو أبوعبدالله أحمدبن عبدالله بن أحمد ، الفقيه‌المعصومی . كان من أشهر تلاميذ ابن‌سينا و أقواهم و نقل عن ابن‌سينا أنه قال فيه : « هو منی بمنزلة أرسطو من أفلاطون » و قد ألف أستاذه ، ابن‌سينا « رسالة العشق » باسمه برجاء منه وكان المعصومی واحداً ممن قتلهم محمود الغزنوی . انظر «تاريخ علوم عقلی» للدكتور صفا ج١ ص٢٩١

٢ـ اشارة الی بيت الفردوسی‌المشهور :

بيان كسان از پی سود خويش　　　بجـويند و دين اندر آرند پيش

٣ـ انظر كتاب « تاريخ علوم عقلی » للدكتور صفا ج١ ص٢٨٢

٤ـ انظر كتاب « شرح احوال نابغه شهير ايران » للعلامة دهخدا ص ١٩

الكلمات الدقيقة والعبارات الرصينة وفى أسلوبه التعبيرى الدقيق الذى ظهر فى كتاباته و ترجماته ؛ و بالاضافة الى ذلك لابى الريحان تصانيف أدبية رائعة ارتفعت به الى عداد الادباء الكبار . فلاعجب أن نرى ياقوتاً الحموى يأتى بترجمته فى كتابه معجم الادباء و يذكر سبب ذلك بقوله :

«... انما ذكرته أناههنا لانّ الرجل كان أديباً أريباً لغوياً له تصانيف فى ذلك» (١) ثم يشير ياقوت الى كتب أبى الريحان الادبية و التى شاهدها بنفسه فيقول :

«رأيت أنامنها كتاب شرح شعر أبى تمام ، رأيته بخطه لم يتممه ، كتاب التعلل باحالة الوهم فى معانى نظم اولى الفضل ، كتاب تاريخ أيام السلطان محمود و أخبار أبية ، كتاب المسامرة فى أخبار خوارزم، كتاب مختار الاشعار والآثار » (٢)

إنّ كتابة شرح على شعر شاعر ، صعب الاسلوب ، معقد الخيال ؛ كأبى تمام ، لايدل إلاّ على وسعة الاطلاع والمعرفة بخفايا و دقائق الشعر العربى كما أنّ تأليف منتخب من زبدة النظم و النثر العربى (كتاب مختار الاشعار والآثار) يوضح لنامدى اطلاع و ذوق وحب أبى الريحان للادب العربى .

والطريف أنه كان يقرض الشعر بالعربية أحياناً و كان يقول بعض أبيات فى مناسبات مختلفة .

فمن شعره قوله ردّاً على شاعر جاء يمدحه متملقاً فينتفض أبو الريحان و يرد عليه بعنف مستنكراً الفخر بالآباء و مستهزئاً به ويستعمل فى ذلك كلمات ركيكة المعنى إمعاناً فى السخرية :

١ــ انظر معجم الادباء ج١٧ ص١٨٥

٢ــ انظر المصدر نفسه

يا شاعراً جاء نى يخرى على الأدب وافى ليمدحنى و الذم من أدبى
وجدته ضارطاً فى لحيتى سفهاً كلا فلحيته عثنونها ذنبى
و ذاكراً فى قوافى شعره حسبى و لست والله حقا عارفاً نسبى
إذلست أعرف جدى حق معرفة وكيف أعرف جدى إذجهلت أبى
إنى أبولهب شيخ بلا أدب نعم ، و والدتى حمالة الحطب
و المدح و الذم عندى يا أباحسن سيان مثل استواء الجد واللعب
فاعفنى عنها لا تشتغل بهما بالله لاتوقعن مفساك فى التعب(١)

و يرى أنّ المجد الحقيقى لا يُكتسب إلاّ ببذل الجهود

و من حامَ حولَ المجد غير مجاهد ثوى طاعماً للمكرمات و كاسيا
و بات قريرَ العين فى ظل راحة ولكنه عن حلة المجد عاريا (٢)

و يرى أن طلب العلم لاينبغى أن يكون ذريعة للتقاعس عن الدفاع ؛ و صنعة الجناس الشعرية واضحة فى البيتين

فلا يغررك منى لين مس تراه فى دروس و اقتباس
فانى أسرع الثقلين طراً إلى خوض الردى فى وقت باس(٣)

و يقول فى علاقاته بالملوك ومعاملتهم له :

مضى اكثر الأيام فى ظل نعمة على رتب فيها علوت كراسيا
فآلُ عراق قد غذونى بدرّهم و منصورُ منهم قد تولى غراسيا
و شمس المعالى كان يرتاد خدمتى على نفرة منى و قد كان قاسيا
و أولاد مأمون و منهم عليّهم تبدّى بصنع صار للحال آسيا

---

١ ـ انظر معجم الادباء ج١٧ ص ١٨٩
٢ ـ انظر المصدر نفسه
٣ ـ انظر المصدر نفسه

و آخرهم مأمون رفّه حالتي و نوّه باسمي ثم رأّس راسيا
و لم ينقبض محمود عني بنعمة فاغنى واقنى مغضيا عن مكاسيا
عفا عن جهالاتي و أبدى تكرّماً و طرّى بجاه رونقي و لباسيا
عفاءً على دنياى بعد فراقهم و واحزنى إن لم أزرقبلُ آسيا
ولمّا مضوا واعتضت منهم عصابة دعوا بالتناسى فاغتنمت التناسيا
و خلّفت فى غزنين لحماً كمضغة علـى وضم للطير للعلم ناسيا
فأبدلتُ أقواماً و ليسوا كمثلهم معاذ الـهى أن يكونوا سواسيا
بجهـد شـأوتُ الجـالبين ائمّة فما اقتبسوا فى العلم مثل اقتباسيا
فما بركوا للبحث عنـد معالم و لا احتسبوا فى عقدة كاحتباسيا
فسائل بمقدارى هنـوداً بمشرق و بالغرب من قدقاس قدر عماسيا
فلم يثنهم عن شكر جهدى نفاسة بل اعترفوا طراً و عافوا انتكاسيا
أبوالفتح فى دنياى مالك ربقتي فهات بذكراه الحميدة كاسيا
فلا زال للدنيا و للدين عامراً و لا زال فيها للغواة مواسيا (١)

و يبدو أن رأى ياقوت فى شاعرية أبي الريحان رأى صائب حيث قال:

« ... وكان يقول شعراً إن لم يكن فى الطبقة العليا فانّه من مثله حسن.» (٢)

ومن أعماله الأدبية الأخرى ترجمته لعدة قصص فارسية إلى اللغة العربية منها قصة « شادبهر و عين الحياة » التي سماها بـ « قسيم السرور و عين الحياة » و قصة « سرخ بت و خنك بت » ؛ و هى حكاية تدور حول صنمى الباميان الواقعة فى بلخ و قد سماها بـ « حديث صنمى الباميان » و الجدير بالذكر أنّ العنصرى الشاعر الفارسى نظم هاتين القصتين كما يقول العوفى فى كتابه

---

١ ـ انظر معجم الادباء ج١٧ ص١٨٦
٢ ـ انظر المصدر نفسه

لباب الألباب (١)

لم يحفظ لنا الزمن من تصانيف و مؤلفات أبي الريحان الفارسية سوى كتابه القيم (التفهيم لأوائل صناعة التنجيم) الا أنّ هذا السفر الفريد يوضح لنا معرفة الأستاذ أبي الريحان بدقائق و خصائص اللغة الفارسية و خاصة فيما يتعلق باستعماله المفردات و المصطلحات الدقيقة المقابله للمصطلحات العلمية العربية وكتابه هذا يُعدّ مصدراً غنياً للمصطلحات والمفردات العلمية الفارسية، و في الحقيقة ، أنّ بعض المصطلحات التي اختارها ابوالريحان بدلاً من المصطلحات العلمية العربية تصل إلى درجة من السهولة و الوضوح يتقبلها الذوق الفارسي لأول وهلة و يفهم القارئي معناها و ربما عاهد نفسه على استعمالها . (٢)

ونرى من المناسب أن نختم بحث أبي الريحان الأديب بما ذكره الأستاذ العلامة جلال الدين همائي في مقدمته لكتاب التفهيم هذا :

«كان أبوالريحان أستاذا ماهراً في اللغتين الفارسية و العربية و كان أبلغ وافصح علماء عصره في الكتابة بهاتين اللغتين ، إن إحاطته بدقائق اللغتين الفارسية و العربية ، و ان لم يكن له فضل سواه ، تكفي لوضعه في مصاف الأدباء الكبار العرب والفرس و جعله مفخرة من مفاخرنا القومية ؛ فما بالك

١ ـ انظر كتاب « تاريخ ادبيات در ايران » ج١ ص ٦٥

٢ ـ كنموذج لتلك المصطلحات نورد بعضاً منها :

ـ « بسيار پهلو» بدلا من «كثير الاضلاع» المستعمل في الفارسية

ـ «بيمارناك» بدلا من «عليل المزاج» المستعمل في الفارسية

ـ «اندام بريده» بدلا من «مقطوع الاعضاء» المستعمل في الفارسية

ـ «برسو» بدلا من « سمت فوقاني» (الجهة العليا) المستعمل في الفارسية

ـ « بايستها» بدلا من «الشروط اللازمة» .

انظر مقدمة الاستاذ جلال الدين همائي لكتاب التفهيم لاوائل صناعة التنجيم

به و قدجمع فی‌شخصبته الفریدة کثیراً من‌العلوم والفضائل » (۱)

ثالثاً ، **ابو الريحان العالم**

كان أبوالريحان ، بلاشك ، أعمق العلماء الاسلاميين و أكثرهم ابداعاً خلال‌القرون الوسطى ،(۲) فقد كان متبحراً فی مختلف العلوم کالحساب والهندسة والنجوم والطبيعيات والفيزياء والجغرافيا والتأريخ ويمتاز خاصة بكونه ناظراً محايداً لآداب و تقاليد و معتقدات الأمم الأخرى. فلاغروأن منحه معاصروه لقب الأستاذ . أو الأستاذ الرئيس (۳)

كان كتابه التفهيم يعد منذ تأليفه و إلى عهد قريب مصدراً مهماً لعلوم الحساب والهندسة والهيئة والنجوم حتى أنّ أغلب العلماء الذين ألفوا فی هذه الميادين اقتبسوا منه معلوماتهم أو قلّدوه (٤)

و قد بدأ النظامی العروضی مقالة النجوم فی‌کتابه الشهير « چهارمقالة » باسم أبی‌الريحان كما نقل شروط المنجم عن‌كتاب التفهيم . (٥)

أما كتاب أبی‌الريحان « القانون المسعودی » الذی يبحث فی‌النجوم و الرياضيات فقد نال شهرة و اعتباراً لانظير لهما . فيقول ياقوت الحموی

---

۱ ـ انظر مقدمة الاستاذ همائی لكتاب التفهيم ص (كو)

۲ ـ يصفه المستشرق الكبير كارل بروكلمان بقوله: «...ففی‌السنوات‌الاخيرة من‌حياته (أی حياة محمود الغزنوی) كان فی خدمته عالم عصره‌العظيم و أحد كبارالعلماء فی الدنيا الاسلامية برمتها ، ابوالريحان البيرونی ..» انظر « تاريخ الشعوب الاسلامية » الترجمة العربية ج۲ ص۱۲۱

۳ ـ كان تلميذه ألحكيم اللبيبی يسميه بالاستاذ الرئيس . انظر مقدمة زاخائو لكتاب الاثارالباقية ص Lxx

۴ ـ انظر مقدمة الاستاذ جلال‌الدين همائی لكتاب التفهيم ص (ما) و ما بعدها .

۵ ـ انظر كتاب «چهارمقالة» بتحقيق المرحوم الدكتور معين ص ۸۷

و اصفاً الكتاب :

« ... و كتابه المترجم بالقانون المسعودى يُعَفِّى (يغطى) على أثر كل كتاب صنف فى التنجيم أو الحساب » (١)

و يرى البروفيسور هنرى كوربن أن كتاب أبى الريحان هذا ، (القانون المسعودى) ، فى الهيئة و النجوم ، يوازى كتاب القانون لابن سينا فى الطب ؛ و لو ترجم الكتاب المذكور الى اللاتينية ككتاب القانون لابن سينا لحظى بنفس الشهرة والاهتمام فى الغرب . (٢)

كمايرى آلدوميلى أنّ هذا الكتاب يعتبر دائرة معارف ذات قيمة حقيقية تشتمل على معلومات جديدة حقاً . (٣)

ان مؤلفات أبى الريحان فى الهيئة و النجوم كثيرة جداً بحيث ان قسماً منها لم يدرس بعد دراسةً دقيقة الاّ أنّ بعض المستشرقين من أمثال نالينو (Nallino) و شوى (Schoy) و ويدمان (Widmann) فى بداية قرننا الحاضر درسوا بعض كتب أبى الريحان فى النجوم دراسة عميقة (٤)

إن آراء ابى الريحان العلمية التى تدلّ على عبقريته الفذة لتثير عجب من لاينسى أنه عاش قبل عشرة قرون. فمع أنه كان فى عداد الذين اعتقدوا بمركزية الأرض الاّ أنه كان على علم بالنظرية المخالفة لها و القائلة بأنّ الشمس هى مركز السيارات و الأرض جرم يدور حولها ؛ و بيّن أن ردّ هذه النظرية أمر صعب للغاية (٥)

---

١ ـ انظر معجم الادباء ج ١٧ ص١٨٥

٢ ـ انظر Histoire de la Philosophie Islamique /P · 209

٣ ـ انظر la Sience Arabe et son role dans l'evolution scientifique mondiale ·p·98

٤ ـ انظر كتاب «نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت» للدكتور نصر ص ١٨٠

٥ ـ انظر كتاب «شرح حال نابغه شهير ايران» للعلامة دهخدا ص ١٢

لئن كان الاستاذ الدكتور نصر يذكر فى كتابه عقائد مفكرى الاسلام فى الطبيعة ؛ أن أباالريحان ، كما يبدو كان مردداً فى اختيار احدى النظريتين حتى آخرعمره (١) فاننانرى من الممكن أن ابا الريحان لم يبد برأيه الحقيقى صراحةً فى الموضوع خوفاً من المتعصبين. ولعلّ نقل عين ما ذكره أبوالريحان نفسه بهذا الشأن يبين لنا رأيه الحقيقى بوضوح فهو يقول :

« وقدرأيت لابى السعيد السجزى اسطرلاباً من نوع واحد بسيط غيرمركب من شمالى و جنوبى سمّاه الزورقى فاستحسنته جداً لاختراعه اياه على أصل قائم بذاته مستخرج مما يعتقده بعض الناس من أن الحركة المرئية من الارض دون الفلك ولعمرى هو شبهة عسرة التحليل صعبة المحق ليس للمعولين على الخطوط المساحية من نقضها شىء ... » (٢) .

انّ ميزة أبى الريحان الكبرى فى أعماله العلمية هى دقة نظره العجيبة فى الدراسات والتحقيقات التى قام بها :

فنراه فى دراساته و أبحاثه حول النجوم و الطبيعيات والجغرافيا، يعتمد فى تجاربه على الملاحظة العلمية بدلاً من قبول عقائد القدماء تعبداً و بهذا استطاع أن يحقق نتائج عجيبة فى هذه الميادين فمثلا أثبت فى كتابه «تحقيق ما للهند ..» بطريق الاستدلال المبنى على الملاحظة الدقيقة أن صخور وادى الهند هى صخور رسوبية (٣) .

كما أدرك أنّ تغييرات كبرى قد طرأت على سطح الارض كاستحالة البحر الى اليابسة و بالعكس وأنّ بعض هذه التغييرات قد تعود الى قبل وجود

١ـ انظر «نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت» للدكتور نصر ص ١٨٥

٢ـ نقل العلامة دهخدا النص عن كتاب الاستيعاب لابى الريحان . انظر « شرح حال نابغه شهير ايران» ص١٢

٣ ـ انظر «تحقيق ماللهند»، طبعة حيدرآباد سنه ١٩٥٨م ص١٥٧

الانسان . (١)

وأدرك أيضاً أن المتحجرات (Fossiles) ،التى بقيت مجهولة فى أو ربا حتى عصر النهضة ،هى بقايا حيوانات بحرية (٢)

ومن دقة نظر أبى الريحان العلمية هذه ؛ يأتى شكّه فى صحة بعض القواعد التى وضعها أرسطو فى الطبيعيات ؛ فسؤاله السادس الذى وجّهه إلى ابن سينا هو نموذج واضح لدقة نظره فى ملاحظاته العلمية :

« اذا كنا قدقررنا ان وجود الفراغ « الخلأ » خارج و داخل العالم أمر مستحيل فلماذا اذاً نشاهد صعود الماء فى قنينة مفرغة من الهواء « ممصوصة » حينما نغطسها وهى مقلوبة فى الماء ؟ » (٣) .

لايكتفى أبو الريحان فى دراساته العلمية بالملاحظة فقط وانما يقوم بالتجربة العلمية و القياس أيضاً وبعبارة أخرى يستخدم علمه فى الرياضيات فى دراساته للطبيعة وتجاربه الفيزيائية ؛ فمثلا يستخدم علومه الرياضية فى تحقيقاته ودراساته الجغرافية لقياس محيط الارض وبهذا يعدّ بحق المؤسس الاول لعلم المساحة (Gèodesie) .

ولاجل الحصول على قياسٍ لمحيط الارض اخترع طريقة فريدة من نوعها تتلخص فى صعود قمة جبل مشرف على بحر أو بريّة ملساء و رصد

---

١ ـ جاء فى كتاب تحديدنهايات الاماكن : «وعلى مثله ينقل البحر الى البر والبر الى البحر فى أزمنة ان كانت قبل كون الناس فى العالم فغير ملموسة وان كانت بعده فغير محفوظة لان الاخبار تنقطع اذا طال عليها الامد و خاصة فى الاشياء الكائنة جزواً بعد جزو » انظر كتاب «نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت» ص ١٩٩

٢ ـ نقل الاستاذ الدكتور نصر ماكتبه ابوالريحـان فى هذا الموضوع عن كتاب « تحديد نهايات الاماكن .. » النسخة الخطية للسلطان الفاتح استانبول رقم ٣٣٨٦ انظر كتاب «نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت» ص ٢٠٠

٣ ـ انظر كتاب «شرح حال نابغه شهير ايران» للعلامة دهخدا ص٥٧

غروب الشمس ثم اجراء سلسلة من العمليات الحسابية (١) و لما لم تكن عنده المعدّات الهندسية الكافية في جرجان ، لذا ، فانه لم يحصل على نتيجة من هذه التجربة ولكنه لم ييأس من عمله هذا ولم يترك نظريته الجديدة تلك ، بل قام بعد عشر سنوات ، بالتجربة ذاتها في الهند وحصل على نتيجة مرضية كما يقول في كتابه « تحديد نهايات الاماكن » (٢) . و لو كانت الارض كرة هندسية ولم تكن بيضوية الشكل لما وجدنا أي فارق بين الارقام التي حصل عليها أبو الريحان والتي نحصل عليها اليوم (٣) .

---

١ ـ ذكر المستشرق الايطالي السينيور كرلو نلينو طريقة أبي الريحان تلك نقلا عن كتابه المسمى «في الاسطرلاب ..» ص٤٣ ب من النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة برلين عدد ٥٧٩٤ من الفهرست المطبوع كمايلي : «... و في معرفة ذلك طريق قائم في الوهم صحيح بالبرهان والوصول الى عمله صعب لصغر الاسطرلاب و قلة مقدار الشيء الذي يبنى عليه فيه و هو أن تصعد جبلا مشرفاً على بحر أو برية ملساء وترصد غروب الشمس فتجد فيه ما ذكرناه من الانحطاط ثم تعرف مقدار عمود ذلك الجبل و تضربه في الجيب المستوى لتمام الانحطاط الموجود و تقسم المجتمع على الجيب المنكوس لذلك الانحطاط نفسه ثم تضرب ضعف ما خرج من القسمة في اثنين و عشرين أبداً و تقسم المبلغ على سبعة فيخرج مقدار احاطة الارض بالمقدار الذي به قدرت عمود الجبل . ولم يقع لنا بهذا الانحطاط و كميته في المواضع العالية تجربة . و جرأنا على ذكر هذا الطريق ماحكاه ابوالعباس النيريزي عن ارسطولس أن أطول أعمدة الجبال خمسة أميال و نصف بالمقدار الذي به نصف قطر الارض ثلاثة آلاف و مائتاميل بالتقريب فان الحساب يقضي لهذه المقدمة أن يوجد الانحطاط في الجبل الذي عموده هذا القدر ثلاث درجات بالتقريب . و الى التجربة يلتجأ في مثل هذه الاشياء و على الامتحان فيها يعول و ما التوفيق الا من عندالله العزيز الحكيم» انظر كتاب «علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى » طبعة روما سنة ١٩١١م ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ . و الجدير بالذكر أن نالينو يشير الى أن كتاب البيروني « في الاسطرلاب » هو غير كتابه « استيعاب الوجوه الممكنة في صنعة الاصطراب » .

٢ ـ انظر كتاب « نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت » ص ١٧٦

٣ ـ انظر المصدر نفسه ص١٧٧

ومن النماذج الاخرى لاستفادة البيرونى من القياسات طريقته فى الحصول على الاوزان النوعية للاجسام وهى أنه وزن جسماً فى الهواء ثم وزنه فى الماء فوجد أن اختلاف الوزنين يساوى وزن الماء المساوى حجمه لحجم الجسم و بهذه الطريقة عيّن الوزن النوعى لتسعة معادن بالنسبة إلى الذهب و لتسعة جواهر بالنسبة إلى الياقوت و قد ذكر ذلك فى كتابه « الجماهر فى معرفة الجواهر » (١)

و الجدير بالذكر أن تلك الأوزان النوعية لاتختلف عن الاوزان المعتمد عليها اليوم إلاّ فى أعشار المرتبة الثالثة .

أدرك البيرونى خاصية الأوانى المستطرقة الفيزيائية (٢) كما تحدّث فى كتابه « الآثار الباقية» عن الآبار التى نسميها اليوم بالآبار الارتوازية قائلاً :

---

١ ـ انظر كتاب «نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت» ص ١٧٨ و انظر

J . J . Clement - Mullet ' (Pesenteur Spécifique de diverses substances minerales,Procédé Pour l'Obtenir d'apres Abou' L - Raihân Al - Bîrouny) Journal Asiatique(5) vol ' 11 ' 1858'P'384 .

و انظر Aldo Mieli (La Science arabe et son role dans l'evolution scientifique mondiale) P'99

طبعة ليدن عام ١٩٣٦

٢ ـ تحدث البيرونى فى الآثار الباقية عـن هذه الخـاصية شارحـاً الآلة التى تسمى «سارقة الماء» بقوله : «... فانك اذا ملاتهاماءا و وضعت كلا طرفيها فى آنيتين سطح مافيها من الماء سطح واحـد فان الذى فيها من الماء يقف ولو دهراً لاينصب الى احدى الآنيتين لانهاليست بأولى من الاخرى و لايمكن أن يتكافأ الانصباب الى الآنيتين كليهما لان الآلة تخلو حينئذ والخلا اما غير موجود ،كما عليه بعض الفلاسفة، واما موجود ممسك للاجسام، كما عليه بعضهم ،فاذا كان ممتنع الوجود لم يوجد واذا كان ممسكا للاجسام أمسك الماء ولم يتركه يسيل الا بعد أن يبادله جسم آخر ثم اذا صير أحد طرفيهـا فى موضع أسفل قليلا سال اليه ما فى الآنية ...» انظر الآثار الباقية ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣

« ... فان من مياه الآبار ما يجتمع بالرشح من الجوانب فذلك لايصعد و يكون مأخذها من المياه القريبة إليها ، و سطوح ما يجتمع منها موازية لتلك المياه التى هى مادّتها و منها مايفور فى القعر فذلك هو المرجو الممكن أن يفور إلى الأرض و يجرى على وجهها و أكثر ما يوجد هذا فى الأرضين القريبة من جبال بحيث لايتوسطها بُحيرات ولا أنهار مياه عميقة فاذا كان مأخذه من خزانة أعلى من سطح الأرض صعد الماء بالفوران إذا حُصر ، وإن كانت خزانته أسفل لم يتم ارتفاعه إليها و لم ينجح و ربما كانت الخزانة أعلى بألوف أذرع فى جبال فيمكن أن يصعد إلى القلاع و رؤوس المنارات مثلا...» (١)

و يرى البيرونى أنّ الضوء جسم ، بينما اعتقد أرسطو، وتبعه ابن سينا فى رأيه ، بأنّ الضوء جزء من الملزمات الذاتية للأجسام الشفافة ؛ و من الواضح أن نظرية أبى الريحان هذه ، أقرب إلى النظريات العلمية الحديثة الصحيحة. (٢)

لم يكن أبو الريحان ، بعقليته العلمية الناقدة ليستسلم أبداً للعقائد العامية و لم يكن يقبل شيئاً إلاّ بعد أن يُجرّبه و يحلّله تحليلاً علمياً بنفسه ؛ فمثلاً نراه يرفض الرأى العامى القائل : « ... إنّ فى السادس (من شهر كانون الآخر) ساعة تعذب فيها جميع مياه الأرض المالحة .. » (٣) و يُفنّد هذا الزعم بعد تحليل علمى قائلا :

« ... و الأعراض الموجودة فى المياه انما هى على حسب الأماكن من الأرض التى تنحصر فيها إن كانت راكدة و التى تجرى عليها إن كانت جارية و هى لازمة لها غير متغيرة إلاّ على مراتب الاستحالات من التدرج

---

١ ـ انظر الآثار الباقية ص ٢٦٣

٢ ـ انظر « تاريخ علوم عقلى ... » للدكتور صفا ج١ ص٢٨٦

٣ ـ انظر الآثار الباقية ص٢٥٠

بالوسائط ، فلا وجه لما ذكروه من كون المياه عذبة فى تلك الساعة والتجربة المتوالية فى أناة الزمان ستظهر للمجرب كذب ذلك ...» (١)

و كذلك يرفض فى كتابه « الجماهر فى معرفة الجواهر » الرأى العامى حول الشروط المناسبة لتكون اللؤلوء ، فيشك فى هذا الزعم بقوله : « و هذا البـاب المقصود فيمـا بلغناه شبيه بما عليه أصحـاب الكيمياء ؛ لا شاهد عليه سوى الامتحان و لادليل يؤدى اليه غير التجربة...» (٢)

لقد عانى البيرونى فى الطب والصيدلة أيضاً الشيء الكثير و جمع نتائج دراساته وأتعابه فى كتابه الشهير « الصيدلة » أو « الصيدنة فى الطب » إذ ذكر فيه خصائص العقاقير و الأدوية و أسماءها و آراء و أقوال الأطباء القدماء حولها . (٣)

و كان ابو الريحان مولعاً فى الأبحاث و الدراسات التاريخية و دراسة الأديان و المعتقدات و الآداب و التقاليد لمختلف الأمم وكان يقارن بينها؛ فنراه فى كتابه « ماللهند ... » يقارن بين عقائد الهنود و عقائد الأمم الاخرى كاليهود والنصارى والمسلمين (٤) كما نراه فى « الآثار الباقية » يقارن بين آداب و تقاليد الامـم المختلفة و بذلك يُعدّ مـن أقـدم العلماء الذين قاموا بالمقارنة بين المعتقدات الدينية و العادات والرسوم لدى الامم المتباينة .

---

١ ـ انظر الآثارالباقية ص٢٥٠

٢ ـ انظر «الجماهر فى معرفة الجواهر» طبعة حيدرآباد ص ١٣٥

٣ـ ذكر ابن أبى أصيبعة فى كتابه عيـون الانباء كتاب الصيدلة للبيرونى و قال : « ...كتاب الصيدلة فى الطب استقصى فيه معرفة ما هيات الادوية و معرفة أسمائها و اختلاف آراء المتقدمين و ما تكلم كل واحد من الاطباء و غيرهم فيه و قدرتبه على حروف المعجم » انظر عيون الابناء ج٣ القسم الاول ص٢٩ ، طبعة بيروت

٤ـ انظر ماللهند ص ٢٧ و مابعدها

إن ماحققه البيرونى من دراسات حول الاديان المانوية و الزرادشتية و اليهودية والمسيحية و البرهمائية و خاصةً فى مانقله عن كتب الدين البرهمائى قد أعطى مؤلفاته قيمة علمية بالغة .

يعتقد البروفيسور زاخائو فى المقدمة التى كتبها لكتاب «تحقيق ماللهند..» أنّ هذا الكتاب بمثابة رسالة تحقيقية و علمية كما نفهمها اليوم ؛ أو دائرة معارف قيّمة لمعرفة التأريخ القديم (١)

انّ تسمية الكتاب نفسها بهذا العنوان الطويل :

« تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة » لدليل على دقة نظر البيرونى و حياده فى البحوث العلمية وحبّه لاستقصاء الحقائق وحدها ، كما يرى البروفيسور زاخائو (٢) . ذلك ، لانه يحكى لنا بحياد تام (٣) كل ماشاهده و سمعه و قرأه فى باب علوم الهنود (٤) و عقائدهم و آدابهم و تقاليدهم سواء

---

١ ـ انظر ترجمة المقدمة بالفارسية فى كتاب « شرح حال نابغه شهير ايران » للعلامة دهخدا ص ٦٩

٢ـ انظر المصدر نفسه

٣ـ يشير الى منهجه الحيادى فى كتابه «تحقيق ماللهند..» قائلا :

« ... و ليس الكتاب كتاب حجاج و جدل حتى أستعمل فيه بايراد حجج الخصوم و مناقضة الزائغ منهم عن الحق ، و انما هو كتاب حكاية فأورد كلام الهند على وجهه و أضيف اليه ماللیونانيين من مثله لتعريف المقاربة بينهم .. » انظر « تحقيق ماللهند » ص ٥ طبعة حيدرآباد

٤ـ اهتم ابوالريحان بكتاب «السندهند» (سيدهانتا) المشهور الذى يبحث فى الرياضيات، أكثر من أى عالم اسلامى آخر و نتيجة لذلك ألف كتاب «جوامع الموجود لخواطر الهنود فى حساب التنجيم » ، (انظر هامش ص ١٥ من كتابنا هذا) ، كما أنه ترجم الى العربية كتابين للعالم الرياضى الهندى الشهير « و راهاميهيرا » الذى كان يعيش فى القرن السادس الميلادى و الذى كان يعتقد بكروية الارض . (انظر « تاريخ علوم عقلى ..» للدكتور صفا ج١ ص ١١٢ ـ ١١٣) و من الواضح أن لهذه التأليفات و الترجمات دوراً هاما فى تقدم العلوم الاسلامية و تطورها .

كان مقبولاً أو مرذولا ، و يحلّل لنا الامور بذوقة الرياضى والفلسفى بصورة تتفق و روح عصرنا الانتقادية فتجلب اعتمادنا و تثير اعجابنا .

لقد زار بلاد الهند الواسعة ، منذ قديم الزمان ، و قبل البيرونى بقرون عديدة سائحون آخرون وكتب كل منهم تقريراً حول مشاهداته لبلاد الهند وشعبها و قبل البيرونى بأربعمائة عـام زار بلاذ الهند رجل الدين الصينى هـون تسانك (Hwenthsang) و ألّف كتاباً ضمنه ماشاهد و سمع فى تلك البلاد (١)

انّ كتابات هولاء السائحين على جانب كبير من الاهمية لمعرفة الهند ، الاّ أنّ قيمة عمل البيرونى العلمية ؛ لاتقاس بتلك الكتابات مطلقاً ، كمايعتقد العلماء الاوربيون (٢) .

يقول البروفيسور زاخائو نقلاً عن بوهلر (Buhler) اكبر الاساتذة الاوربيين و اختصاصيهم فى معرفة أحوال الهند :

« ان الكتابات اليونانية و مانقله السائحون الصينيون ، أمام كتاب البيرونى يُشبه تماماً كتب الاطفال و مسوّدات عامة الناس و الخرافيين منهم و الذين وقعوا فى عالم مليءٍ بالعجائب فأصيبوا بالحيرة و العجب مماشاهدوه و لم يستطيعوا أن يدركوا من الحقائق الاّ الشيء اليسير ! » (٣)

و يقول زاخائو أيضاً حول فضل أبى الريحان على الهنود و ما قدّمه لهم من خدمة :

« اذا كان للمسلمين الحق فـى أن يفتخروا بأبى الريحـان فعلى الهنود أيضاً أن يعدّوا وجـوده لهـم العطية الكبرى التى استطاعت أن تصوّر ثقـافة

---

١ ـ انظر الترجمة الفارسية لمقدمة زاخائو ، فى كتاب «شرح حال نابغه شهير ايران» للعلامة دهخدا ص ٦٨

٢ ـ انظر المصدر نفسه

٣ ـ انظر المصدر نفسه ص ٦٨-٦٩

أجدادهم بحيادٍ تامٍ » (١)

و صفوة القول : ان اباالريحان كان رجل علمٍ حقاً ، وقف حياته كلّها على الدراسة و البحث و التأليف و الترجمة ؛ فنراه من خلال نشاطاته العلمية يشعر بمسؤوليةٍ تجعله يخدم العلم خدمة حقيقية ؛ فان رأى ، مثلاً ، كتاباً أُلّف بأسلوب غامض يصعب فهمه على الباحثين ، يعمد الى كتابته بلغةٍ يفهمها الجميع(٢)وان رأى ظلماً حاق بعالمٍ لابدائه رأيا صحيحاً جهد نفسه لردالظلم عنه بتأليف كتاب يفنّد مزاعم الخصم(٣) وان رأى كتاباً علمياً لم تكتمل فصوله أو خالطته الاخطاء يشمّر عن ساعد الجد لاكماله و اصلاحه . (٤)

و لعلّ من ألمع مميزاته ، فىدراساته العلمية ، مواصلته المستمرة للعمل و عدم استسلامه لعقائد و آراء القدماء . فقد علّم باحثى العلم أن يعتمدوا ، فى دراساتهم العلمية ، على الملاحظة و التجربة بدلاً من قبول آراء القدماء بصورة عمياء و بذلك قد سبق « بيكن » و « ديكارت» بقرون عديدة . و قد حقق

---

١ ـ انظر كتاب « شرح حال نابغه شهير ايران » للعلامة دهخدا ص ٧٠

٢ ـ ذكر ابوالريحان فى فهرسته لكتب الرازى :

« و ـ و هذبت زيج الاركند و جعلته بألفاظى اذكانت الترجمة الموجودة منه غير مفهومة و الفاظ الهند فيها لحالها متروكة » راجع هامش ص ١٥ منكتابنا هذا

٣ ـ اشار ابوالريحان الى ذلك بقوله :

« و عمل أبوطلحة الطبيب فى ذلك (زيج الخوارزمى) شيئاً يوجب مناقضته ، فعملت ابطال البهتان بايراد البرهان على أعمال الخوارزمى فىزيجه ..» كما أشار الى توسطه بين آراء ابىالحسن الاهوازى و الخوارزمى بتأليفه كتاب الوساطة . راجع هامش ص ١٥ من كتابنا هذا

٤ـ تحدث عن ذلك قائلا :

« د ـ و عملت كتاباً سميته بتكميل زيج حبش بالعلل و تهذيب أعماله منالزلل ... » انظر هامش ص ١٥ منكتابنا هذا

بما حباه‌الله من عبقرية و ذكاء وباستخدامه منهجه العلمى هذا ، نتائج باهرة فى دراساته العلمية ، و لهذا كله فانّ اباالريحان من حيث دقة نظره و اعتماده فى البحوث على الملاحظة و التجربة يُعدّ من الوجوه اللامعة النادرة و لم يرالعلم مثيله الاّ نادراً ، فلا عجب اذن ، أن يعتبره من تعرض لدراسته أكبر العلماء الاسلاميين . (١)

رابعاً ، ابوالريحان الفيلسوف :

هل كان أبوالريحان فيلسوفاً حقاً ؟ الجواب عن هذا السؤال يحتاج إلى شىء من‌الدقة والتمحيص لأنّنانراه يوجّه أسئلة إلى فيلسوف عصره‌الشهير ابن‌سينا تتضمّن اعتراضات على آراء أرسطو الفلسفية من ناحية و نرى أباالحسن على‌بن زيد البيهقى ، من ناحية أخرى ؛ يأخذ عليه خوضه فى مثل هذه المواضيع بقوله :

« ... و له مناظرات مع أبى‌على و لم يكن الخوض فى بحار المعقولات من شأنه وكلٌ ميسرٌ لما خُلق له ...» (٢)

كما نرى محمدبن محمود الشهرزورى يكرر ما ذكره‌البيهقى بعينه حول تدخّل ابى‌الريحان فى‌المباحث الفلسفية ، فى‌كتابه « نزهة الأرواح و روضة الأفراح فى‌تواريخ الحكماء ..» (٣)

ولانعرف لأبى‌الريحان تلاميذ فى‌الحقل الفلسفى يدلّوننا على أنّ‌الرجل كانت له مدرسة فلسفية ، كما هى الحال بالنسبة لابن‌سينا مثلاً ، و لم يصل إلينا أيضاً من مولفاته‌الفلسفية شىءٌ هام فى‌هذا المجال .

١ـ انظر « تاريخ الشعوب الاسلامية » لبروكلمان ج٢ ص١٢١

٢ـ انظر «تتمة صوان الحكمة» طبعة لاهور ص ٦٢ ـ٦٣

٣ـ انظر مقدمة زاخائو لكتاب الآثار الباقيه ص L١١١

فهل كان البيهقى محقّاً فى رأيه ؟ و لم يكن لعالم كأبى الريحان أن يخوض فى الفلسفة ؟

إن إلقاء نظرة على كتابه الشهير ، « ماللهند.. » يوضح لنا أن اباالريحان كان على معرفة كافية بالعقائد الفلسفية اليونانية والهندية والمانوية ؛ فقد تطرّق فى الباب الثانى من كتابه هذا ، مثلاً إلى عقائد الهنود حول ذات الله تعالى و اختلافات العامة و الخاصة فى ذلك (١) .

كما أنه أفرد الباب الثالث للبحث فى الموجودات العقلية و الحسيّة فذكر أوّلاً آراء القدماء اليونانيين ثم قارنها بعقائد الهنود فى وحدة الأشياء و الموجودات كما بيّن رأى الصوفية فى الوجود الحقيقى ثم تطرق إلى مبحث النفس و الروح و تسميتها بالآلهة عند اليونانيين و نقل أقوالاً عن جالينوس و افلاطن كما ذكر، فى نفس الباب، آراء البراهمة فى وحدة الوجود (٢) و نراه أيضاً فى الباب الثانى و الثلاثين يبحث فى خلق العالم و فنائه و ينقل رأى محمدبن زكريا الرازى و الفلاسفة الآخرين فى معنى الزمان كما ينقل آراء الهنود والبراهمة فى الموضوع ويشير إلى أنّ أبامعشر قداقتبس رأيه فى الطوفان من الهنود (٣)

فهل لايحق لمن يطرق مثل هذه الأبواب أن يخوض « فى بحار المعقولات » ؟! و «ماللهند..» مليءٌ بمثل هذه المباحث الفلسفية المحضةالتى تشير إلى معرفة ابى الريحان بالعقائد الفلسفية القديمه و المعاصرة له ، و ما ذكرناه آنفاً انّما هو على سبيل المثال لا الحصر .

١- انظر « ماللهند .. » طبعة حيدرآباد ص ٢٠ - ٢٣

٢- انظر المصدر نفسه ص ٢٤ - ٣٣

٣- انظر المصدر نفسه ص ٢٧٠ - ٢٧٩

و قد تحدّث البيرونى نفسه عن دراساته الفلسفية فى الفهرست الذى كتبه لمؤلفات محمدبن زكريا الرازى فأشار كيف أنه بقى مدةً تزيد على أربعين عاماً فى انتظار عثوره على كتاب «سفر الأسرار» للرازى(١)

أما فيما يتعلق بآثاره الفلسفية ، فمع أن الزمن لم يبق لنا منها شيئاً يُذكر إلاّ أنّنا نعلم أنّه ترجم كتاب «الشامل» فى الموجودات المحسوسة و المعقولة من السنسكريتية إلى اللغة العربية ؛ كما ذكر فى فهرسته لكتب الرازى . (٢) و هذا يثبت أنّ أباالريحان ، بالاضافة الى معرفته بالفلسفة اليونانية القديمة كان على اطلاع واسع بالفلسفة الهندية و نعلم أيضاً أنّه قد ألّف كتاباً فى التوسط بين أرسطوطاليس و جالينوس فى المحرك الأوّل ، و كتاب « رياضة الفكر والعقل» كما كتب مقالةً «فى البحث عن الآثار العلوية» و مقالةً «فى صفات أسباب السخونات الموجودة فى العالم و اختلاف فصول السنة» (٣)

من هذا كلّه يتضح أن البيهقى و الشهرزورى و من تبعهما لم يكونوا مصيبين فى ما ذهبوا اليه من أنّ أباالريحان لم يكن من حقه أن يتدخّل فى المباحث الفلسفية وعلى هذا لايمكن ان يخامرنا الشك فى أنّ اباالريحان كان فيلسوفاً الى جانب كونه عالما بمختلف العلوم ، و من المستحسن أن ننقل ما

١- يقول فى مقدمة فهرسته لكتب الرازى : «... و ذلك انى طالعت كتابه (أى كتاب الرازى) فى العلم الالهى و هو يبادى فيه بالدلالة على كتب مانى و خاصة كتابه الموسوم « بسفر الاسرار » فغرتنى السمة كما يغر المبيض والمصفر فى الكيمياء غيرى فحرصنى الحداثة بل خفاء الحقيقة على طلب تلك الاسرار من معارفى فى البلدان و الاقطار و بقيت فى تباريح الشوق نيفاً و أربعين سنة ...» انظر مقدمة زاخائو لكتاب الآثار الباقية ص XXXIX . يبدو أن اباالريحان ، بالرغم من حبه للرازى يهاجمه فى بعض آرائه خوفاً من المتعصبين كى لايتهم .

٢- انظر هامش ص ١٩ من كتابنا هذا

٣- انظر كتاب «نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت» ص١٤٨

ذكره المستشرق والعالم الفرنسي «هنری كوربن» اذ يقول :

«.. ان مكاتبات أبي الريحان مع ابن‌سينا تبين بوضوح أن البيرونی بالاضافة الی كونه رياضياً و منجماً و جغرافياً و عالماً باللغات و محدثاً لعلم المساحات كان فی عداد الفلاسفة أيضاً ..» (١)

بعد أن اتضح لنا أنّ البيرونی كان فی عداد الفلاسفة يجدر بنا أن نشير بعد ذلك الی اتجاهه الفلسفی ؛ وفی الحقيقة، لانستطيع القول بأنه كانت للبيرونی مدرسة فلسفية خاصة به و لكننا من خلال كتبه و آرائه نراه يعجب ، من بين الفلاسفة المسلمين ، ببعض نظريات الرازی و كتاباته الهرمسية ، و ان كان لايتفق معه فی بعض المسائل الأخری ، كما أنه يهاجم الفلسفة المشّائية وأهم مانلاحظه هو أنّ هذا العالم الكبير انتهج فی الفلسفة، كشأنه فی الرياضيات، أسلوب الاستقصاء العلمی الباحث و راء الحقائق اذ لم يستسلم قطّ للنظريات و العقائد التی كانت سائدة فی عصره كنظريات الكنـــدی (٢)

---

١ ـ انظر Histoire de la Philosophie Islamique /P. 209

٢ ـ الكندی، «يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندی ، أبو يوسف (المتوفی نحو ٢٦٠هـ): فيلسوف العرب فی عصره ، واحد أبناء الملوك من كندة . نشأ فی البصرة ، و انتقل الی بغداد فتعلم ، و اشتهر بالطب و الفلسفة و الموسيقی و الهندسة و الفلك . و الف و ترجم و شرح كتبا كثيرة يزيد عددها علی ثلاثمائة و لقی فی حياته مايلقاه امثاله من فلاسفة الامم، فوشی به الی المتوكل العباسی ، فضربه و أخذ كتبه ، ثم ردها اليه . و أصاب عند المأمون والمعتصم منزلة عظيمة واكراماً. من كتبه « رسالة فی التنجيم » و «اختيارات الايام» و «تحاويل السنين» و «الهيات ارسطو» و «رسالة فی الموسيقی» و «الادوية المركبة» ترجمت الی اللاتينية و طبعت بها ، و « المد والجزر » و « ذات الشعبتين » و هی آلة فلكية و «خمس رسائل ، أولاها فی ماهية العقل ، و ترجمت الی اللاتينية ؛ انظر الاعلام للزركلی ، طبعة مصر ص ١١٩٧ و انظر طبقات الاطباء ج١ ص٢٠٦ »

والفارابى(١) وامثالهما. فنراه يشك فى بعض نظريات وآراء المعلم الأول ،أرسطو و يبيّن شكه ذلك بشجاعةٍ تستحق التقدير غير مبالٍ بما سيحدث شكّه هذا من انكار ولوم و لعل هذا هو السبب الذى دفع بالبيهقى و الشهرزورى و من تبعهما الى ان يهاجموا البيرونى ؛ كما أشرنا من قبل .

و قد تجسدت شكوك البيرونى فى الأسئلة الثمانية عشرة التى وجّهها إلى فيلسوف عصره ابن‌سينا و أجاب ابن‌سينا عن تلك الأسئلة و أرسلها إلى ابى‌الريحان إلاّ أنّ تلك الاجابات لم تقنعه ، بل دفعته الى كتابة اعتراضات جديدة على أجوبة ابن‌سينا نفسها (٢)

لايمكن أن يفهم من اعتراضات أبى‌الريحان على بعض نظريات أرسطو أنه لم‌يكن يحترم المعلم الأوّل بل يفهم أنه كان يرى أن الاعتراض على رأى غير

١ـ الفارابى ، ابونصر محمدبن محمد (٢٦٠ ـ ٣٣٩ ه) و يعرف بالمعلم الثانى هو اكبر فلاسفة المسلمين . ولد فى فاراب ، على نهر سيحون ، و انتقل الى بغداد فنشأ فيها و رحل الى مصر والشام و اتصل بسيف‌الدولة بن حمدان و توفى فى دمشق . كان‌يحسن أكثر اللغات الشرقية المعروفة فى عصره و يقال ان الالة المعروفة بالقانون من وضعه . له نحو مائةكتاب منها «الفصوص» وترجم الى الالمانية و «احصاء العلوم والتعريف بأغراضها» و « مبادى‌آراء أهل المدينة الفاضلة » و «المدخل» فى الموسيقى ، و « الآداب الملوكية » و «السياسة‌المدنية» و «جوامع‌السياسة» رسالة ، و «النواميس» و «الخطابة» و «ديوان‌الادب» و «ماينبغى ان يتقدم الفلسفة» وكتاب فى‌أن «حركة الفلك سرمدية». انظر الاعلام للزركلى ص ٩٦٨ .

٢ ـ توجد عدد من‌النسخ فى مكتبات طهران و اسطنبول و برلين والقاهرة و ليدن و المتحف البريطانى تتعلق كلها بالاسئلة التى وجهها ابوالريحان الى ابن‌سينا و أجوبة ابن‌سينا عنها و تنقسم هذه الاجوبة الى مجموعتين الاولى تحت عنوان « أجوبة ست عشرة مسألة لابى‌الريحان » تشتمل على مواضيع مختلفة تتعلق بالعقل والوجود و الجزء الذى لايتجزأ ، و الثانية تحت عنوان « أجوبة عشر مسائل » انظر « تاريخ علوم عقلى » للدكتور صفا ج١ ص٢٣١

مصيب ، في رأيه ، لايتنافى مع احترامه لأرسطو كما كان يهاجم الذين يرون آن أرسطو مصون من الخطأ بقوله : النقص في هؤلاء القوم أنهم يغالون في تصديقهم لآراء أرسطو لأنهم يعتقدون بأن المعلم الأول لايمكن أن يخطىء في نظرياته أبداً ، مع علمهم بأن أرسطو دوّن نظرياته بقدر امكانه و استعداده و لم يدّع قطّ بأن الله قدصانه من الخطأ و الزلل (١)

و لم يقتصر الاعتراض على نظريات أرسطو و الفلسفة المشائية على أبي الريحان وحده بل انّ أصحاب الفلسفة الاشراقية اعترضوا على الفلسفة المشائية أيضاً لأنهم رأوا أن الاعتماد على البراهين الاستدلالية وحدها يقضي على الاشراق و الشهود و يخفي الحقيقة في ستار القياسات المنطقية (٢) كما أنّ المتكلمين والمتصوفين من أمثال ابي الحسن الاشعري وحجة الاسلام الغزالي والامام الفخر الرازي اعترضوا ايضاً على الفلسفة المشائية من خلال نطرتهم الكلامية والصوفية ممّا أدّى الى تضعيف قيمة الفلسفة المشائية وبالتالي الى فسح المجال أمام التصوف و الفلسفة الاشراقية (٣)

كما أنّ هناك نفراً قليلاً من الفلاسفة هاجموا نظريات أرسطو بالبراهين العقلية؛ أما البيروني ، فقد استخدم كلّ تلك الوسائل لتوجيه نقده الى نظريات ارسطو فنراه يلجأ الى الكتب السماوية والبراهين العقلية وملاحظاته للطبيعة (٤)

١ـ ترجمنا قول ابي الريحان من النص الفارسي الذي ذكره الاستاذ الدكتور نصر مترجماً عن :

S.H. Barani و «Al-Biruuis Scientific Achivements» Loc.Cit, ص۴١

انظر كتاب «نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت» ص ٢١۴

٢ ـ انظر المصدر نفسه ص ٢١٣

٣ ـ انظر المصدر نفسه ص٢١۴

۴ ـ انظر المصدر نفسه

وكان ابوالريحان على معرفة واسعة بعقائد وآراء الصوفية و ان تصوّر خطأً أنّ كلمة « الصوفى » ترجع الى أصل هندى (١) و تتضح لنا معرفته هذه ، أوّلاً من أنه ترجم كتاب «پاتنجل» (٢) الذى يبحث فى «تخليص النفس من رباط البدن» لانّ هذا الكتاب ، كما يقول المستشرق الالمانى «ريتر» (٣) الذى درس الكتاب وكتب حوله ـ يحتوى على عقائد تشبه ، فى بعض جوانبها ، عقائد المتصوفين فى الاسلام (٤) و يضيف « ريتر » أنّ أباالريحان قد ترجم الكتاب مستعملاً المصطلحات الصوفية الاسلامية للتعبير عن مفاهيم التصوف الهندى ممّا أدّى الى بعض الاخطاء فى الترجمة (٥)

فقيامه بترجمة كتابٍ فى التصوف الهندى و استعماله مصطلحات

---

١ ـ جاء فى «ماللهند:.» ص ٢٤–٢٥ مايلى :

«...هذا رأى السوفية وهم الحكماء فان «سوف» باليونانية الحكمة وبها سمى الفيلسوف « پيلاسوپا » أى محب الحكمة و لما ذهب فى الاسلام قوم الى قريب من رأيهم سموا باسمهم و لم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم للتوكل الى «الصفة» و أنهم أصحابها فى عصر النبى صلى‌الله عليه و سلم ثم صحف بعد ذلك فصير من صوف التيوس ؛ و عدل أبوالفتح البستى عن ذلك أحسن عدول فى قوله :

تنازع الناس فى الصوفى و اختلفوا ... قدماً و ظنوه مشتقاً من الصوف
و لست أنحل هذا الاسم غيرفتى ... صافى فصوفى حتى لقب الصوفى

٢ـ يشيرابوالريحان الى قيامه بترجمة هذا الكتاب بقوله : « وكنت نقلت الى العربى كتابين أحدهما فى المبادى و صفة الموجودات ، واسمه «سانك» والآخر فى تخليص النفس من رباط البدن ويعرف « بپاتنجل » و فيهما أكثرالاصول التى عليها مدار اعتقادهم دون فروع شرائعهم ... » انظر «ماللهند» طبعة حيدرآباد ص٦

٣ـ Prof . Helmût Ritter

٤ـ انظر المقالة الفارسية التى كتبها « ريتر « حول ترجمة كتاب پاتنجل » فى جشن‌نامه ابن‌سينا ج٢ ص ١٣٤–١٤٨

٥ـ انظرالمصدر نفسه ص١٤١

المتصوفين الاسلاميين فيها يشيران بوضوح الى حب أبى الريحان لهذه المباحث و معرفته بها .

و من خلال أوراق كتاب « ماللهند.. » تتجلّى معرفة أبى الريحان بعقائد الصوفيه ثانياً ، اذ انه قارن بين آراء الصوفية و آراء الهنود أكثر من مرّة (١) و يشير ابوالريحان نفسه الى ذلك ، فى مقدمة الكتاب بقوله :

« ... و لا أذكر مع كلامهم كلام غيرهم **الا أن يكون للصوفية** أو لاحد أصناف النصارى لتقارب الامر بين جميعهم فى الحلول والاتحاد...» (٢)

هذا ، و لم يكن ابوالريحان نفسه ، لاشك ، صوفيا و ان كان يحترم الصوفية و يعترف بفضلهم كالكثير من المسلمين ؛ و لعلّ معرفته بطرق تفكير المتصوفين الانسانية ، الذين يعتقدون بأنّ «الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق» والذين ينكرون التعصب بأى شكل كان ؛ هى التى أعطته رحابة الصدر وحرية

١ــ يتحدث فى الصفحه ٢٤ ، مثلا ، عن رأى الصوفية فى الوجود الحقيقى وفى الصفحة ٤٤ عن آرائهم فى التناسخ والحلول و الظهور الكلى وفى الصفحه ٥٢-٥٣ يقارن بين آرائهم و عقائد الهنود فيما يتعلق بكيفية الخلاص من الدنيا و صفة الطريق المؤدى اليه وهكذا فى الصفحه ٥٧ ؛ و فى الصفحة ٦٢ يقارن بين ماجاء فى كتاب پاتنجل و ما ذهب اليه الصوفية و هكذا فى الصفحة ٦٦ و ٦٧ حيث يقارن بين آراء الصوفية و پاتنجل و يذكر رأى أبى بكر الشبلى و ابى يزيد البسطامى بقوله : «... والى طريق «پاتنجل» ذهبت الصوفية فى الاشتغال بالحق فقالوا : مادمت تشير فلست بموحد حتى يستولى الحق علـى اشارتك بافنائهــا عنك فلايبقى مشير و لا اشارة و يوجد فى كلامهم مايدل على القول بالاتحاد كجواب أحدهم عن الحق : وكيف لاأتحقق من هو «انا» بالانية و «لاانا» بالاينية ، ان عدت فبالعودة فرقت وان أهملت فبالاهمال خففت و بالاتحاد ألفت ، وكقول ابى بكر الشبلى : اخلع الكل تصل الينا بالكلية فتكون و لاتكون أخبارك عنا و فعلك فعلنا ، وكجواب أبى يزيدالبسطامى وقدسئل بم نلت مانلت : انى انسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها ثم نظرت الى ذاتى فاذا اناهو ...» و الكتاب ملىء بهذه المقارنات

٢ــ انظر ماللهند ص٥و٦

التفكير اللتين استطاع بهما أن يجالس أصحاب الاديان الاخرى و حكماءها ليقف على علومهم و عقائدهم .

خامساً ، ابو الريحان الانسان :

تحدّثنا في ماسبق عن حياة أبي الريحان وعلومه ومصنفاته التي لاتحصى؛ فمن المناسب هنا أن نسعى قدر استطاعتنا لمعرفة وجه أبي الريحان المعنوى من خلال المعلومات التي لدينا حوله لنرى مَن الانسان الذى يكمن وراء ذلك العلم الغزير و تلك الكتب المتراكمة ؟

كيف يفكّر ؟ و بمن يؤمن ؟ و بأى دين يدين ؟ و كيف يعامل الناس ؟ و ماذا يعشق ؟ و ما سّر انتصاراته العلمية ؟ و هل له يا ترُى حديث معنا نحن شباب و طلاّب و أساتذة ايران والعالم الاسلامى ؟

١ـ ايمانه بدينه :

لاشك أن البيرونى كان يؤمن بوجود الخالق و الديانة الاسلامية ايماناً راسخاً . أما الوقوف على مذهبه و الفرقة التي ينتمى إليها فأمر يحتاج إلى دقة نظر : فنراه من جهة ، يسمّى آل الرسول (ص) « بأئمة الهدى و الحق » و يعتقد ان العالم لايخلو من امام عادل يفزع إليه الناس في النوائب (١) كما نراه يذكر يوم عاشوراء واستشهاد سيدالشهداء، كرواة الشيعة تقريباً (٢)؛ ومن جهة

١ـ يقول فى خطبة كتاب الآثار الباقية : الحمدلله المتعالى عن الاضداد و الاشباه والصلوة على محمد المصطفى خيرالخلق و على اله ائمة الهدى و الحق و من لطائف تدبيرالله تعالى في مصالح بريته و جلائل نعمه على كافة خليقته تقديره النافذ ان لايخلى فى عالمه زماناً عن امام عادل يجعله لخلقه أماناً ليفزعوا اليه فى النوائب والحوادث من السوءات والكوارث...» انظر الآثارالباقية ، طبعة زاخائو ص٣

٢ـ جاء فى الآثارالباقية فى معرض حديثه عن شهرالمحرم قوله : «.. وكانوا يعظمون هذا اليوم (يوم عاشوراء) الى أن اتفق فيه قتل الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم وفعل به و بهم ما لم يفعل فى جميع الامم بأشرار الخلق من القتل بالعطش و السيف والاحراق و صلب الرؤوس واجراء الخيول على الاجساد فتشآء موابه ... وأما الشيعة فانهم ينوحون و يبكون أسفاً لقتل سيدالشهداء فيه ويظهرون ذلك بمدينة السلام وأمثالها من المدن والبلاد ويزورون فيه التربة المسعودة بكربلاء...» انظر الآثارالباقية ص ٣٢٩

أهل

أخرى يستخـدم بعض مصطلحات السنة فى كتاباتـه ولعل هذا ماحمل المستشرق «الدوميلى» على الاعتقاد بأن البيرونى كان فى شبابه شيعيّاً ثم انتمى إلى مذهب أهل السّنة (١) و الذى نرّجحه هو أنّ اباالريحان كان أسمى و أعلى مـن أن يتعصب لفرقة مذهبية ، شيعية كانت أم سنية ؛ فهو عالم مسلم ينظر إلى الفريقين بنظرة واحدة و يحترم المسلمين جميعاً فمن الطبيعي إذن أن يكرّم آل الـرسول (ص) و ينعتهم بأئمة الهدى والحق و يحترمهـم كاحترام الشيعة لهم كما كان يحترم كبار العلماء المسلمين من الشيعة والسنة ؛ و أوضح دليل على عدم تعصبه لمذهب دون آخر هو ما ذكره فى كتابه « الجماهر فى معرفة الجواهر» عند حديثه عن حجرى «الخماهن» و «الكـرك» إذ يشير إلـى أن الشيعة كانوا يضعون بأصابعهم خواتم فيها فصوص من الكرك (حجر ابيض) بينما كان أهل السنة يلبسون خواتم فيها فصوص من الخماهن (حجر أسود) و يضيف ساخراً من الفريقين أنه كان يجمع بين هذين الفصين لثلّبايتهم بالانتماء إلى أحدهما (٢)

و علينا ألاّ ننسى أنّ ايمان البيرونى بالديـن شىء و ايمان المتعصبين القشريين شىء آخر ؛ و إذا كان المتعصبون قد حاربوا العلوم العقلية باسم الدين فانّ أباالريحان اعتقد بأنّ التعلم و التحقيق فى كافة الميادين العلمية واجب على كل مـن يؤمن بالاسلام (٣) و كان يستند فـى ذلك ، إلى قـوله تعالى :

١- انظر La Science Arabe , Leiden , P/98

٢- ورد النص فى كتاب « الجماهر فى معرفة الجواهر » طبعة حيـدرآباد ص ٢١٥ فى باب ذكر الخماهن والكرك كمايلى :

« هذان حجران لايكاد يكون لهما قيمة الا كقيمة الخرز لولا مناكدة الشيعة نواصبهم فى التختم بأبيضها و نواصبهم بأسودها للتمايز كتمايز الجيل عن جنبتى اسپيذ روذ (اسم نهر فى ايران) بذكر العلم الاسود والعلم الابيض مكان العقيدة والمذهب ـ و قد كنت أجمع بين هذين الفصين فى زوج خاتم كياداً للفريقين معاً »

٣ ـ انظر كتاب «نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت» للدكتور نصر ص٢٢٣

«ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك» (١) و يعتقد بأن الله تعالى أمر عباده بالتفكير فى خلق السموات و الأرض ليدركوا أنّ الله تعالى ما خلق ذلك اعتباطاً و عبثاً ؛ و ما التفكير فى ما خلقه الله إلاّ الخوض فى العلوم والبحث عن الحقائق ؟

و من هذا المنطلق حارب ابوالريحان هؤلاء المتمسكين بقشور الدين الذين يزعمون بأن العلم يختص بالله وحده و يتخذون من ذلك ذريعة واهية لجهلهم و يتقاعسون بذلك عن طلب العلم ؛ و قد انتقد هؤلاء القشريين الذين إذا جهلوا شيئاً اكتفوا بقولهم إن العلم عندالله وحده فذكر فى كتابه الآثار الباقية ذلك الفريق بقوله :

« ... و كثير من الناس ممن يعير علم الله ماجهلوه من علم الطبيعيات نازعونى...» (٢)

لم يفرق ابوالريحان ، فى الحقيقة ، بين العلوم الدينية و غير الدينية ذلك لأنّ العلوم كلها ، فى نظره ، تدرس ظواهر الطبيعة المختلفة و لابد أن تنتهى إلى معرفة قوة خلقها الله لادارة العالم و بناءً على ذلك يرى ابوالريحان أن التعلم واجب على كل مسلم (٣) .

و نتيجة لدراسته العميقة للأديان الأخرى توصل ابوالريحان إلى أنّ هناك حقيقة واحدة تكمن فى جميع الأديان و تتجلّى فى كل منها بصورة خاصة و كان يعتمد فى رأيه هذا على التعاليم الاسلامية التى تقول بأن الاسلام جاء

١ـ انظر كتاب « نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت » هامش الصفحة ١٥٤

٢ـ انظر الآثار الباقية ص٢٦٢

٣ـ انظر كتاب «نظر متفكران اسلامى..» ص ٢٢٣

للناس عامة ولم يختص بقوم دون الآخرين (١)؛ وعلى هذا إنّ إسلام أبي الريحان لم يدفعه أبداً إلى مخاصمة معتقدى الأديان الأخرى ولهذا نراه، كما يقول البروفيسور زاخائو، (٢) يعامل الفلاسفة الهنود الكفرة، رغم اسلامه، بعطفٍ و يجادلهم بلين و يقبل أو يرفض آراءهم و عقائدهم فى مختلف المواضيع و قد بلغ حيـاده، فى ذلك، درجةً تجعل القارئ يطالع كثيراً من صفحات كتابه دون أن يحسّ بأنّ مؤلفه رجل مسلم.

٢ـ حبه لوطنه:

كان ابو الريحان يعشق وطنه ويهتم، باحترام متزايد، بالآداب و التقاليد الايرانية، يذكر ياقوت فى ترجمته له:

«.. و كان ـ رحمه‌الله ـ مع الفسحة فى التعمير و جلالة الحال فى عامة الأمور مكبّا على تحصيل العلوم منصبّا على تصنيف الكتب يفتح أبوابها ويحيط بشواكلها و أقرابهـا و لايكاد يفارق يده القلمُ و عينه النظر و قلبه الفكر **الا فى يومى النيروز و المهرجان** من السنة لاعداد ما تمس إليه الحاجة من المعاش من بلغة الطعام و علقة الرياش ...» (٣)

إن انشغال ابى الريحان بتحصيل العلوم وتصنيف الكتب طوال ايام السنة إلاّ فى يومى النيروز و المهرجان لهو دليل على مدى اهتمامه بالتقاليد الايرانية

١ـ ذكر الاستاذ الدكتور نصر فى هامش الصفحة ١٥٣ من كتابه « نظر متفكران اسلامى..» نقلا عن «تحقيق ما للهند..» طبعة لايبزيك ١٩٢٥ ص ١٤٧، دعماً لرأيه الذى نقلناه آنفاً: «.. و لزم من قوله أن أهل الارض كلهم و الهندى فى لزوم التكليف شرع واحد»

٢ـ انظر كتاب « شرح حال نابغه شهير ايران » للعلامة دهخدا ص ٦٩ـ٧٠

٣ـ انظر معجم الادباء ج١٧ ص١٨١، ومثل هذا يذكر الشهرزورى، انظر مقدمة زاخائو للآثار الباقية L١١١

و رسومها . فلاعجب إذن أن نرى هذا الحبرالجليل يقول مفتخراً بأن خوارزم مسقط رأسه ، وأهلها غصن من دوحة فارس الكبيرة(١) .

و من مظاهر حبّه لبلاده ايران ردّه على مزاعم ابى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الجبلى الذى الّف كتاباً فى تفضيل العرب على العجم و زعم ان العرب أعلم الأمم بالكواكب ومطالعها و مساقطها ، و وصف الفرس بارذل الصفات و نسب إليهم الكفر ؛ و قد جاء ردّ ابى الريحان هذا ، فى كتابه « الآثار الباقية » (٢) حيث ذكر أنّ للكاتب ضغائن وأحقاداً ضدالفرس مشيراً إلى كراهية الفرس لجدّه قتيبة بن مسلم الذى قتل و عذّب كثيراً من الفرس فى

١ـ جاء فى كتاب الآثارالباقية ص٤٧ : « وأما أهل خوارزم و ان كانوا غصنا من دوحة الفرس و نبعة من سرحتهم فقدكانوا مقتدين بأهل السغد فى اول السنة ... »

٢ـ قال ابوالريحان فى معرض حديثه عن الكواكب و البروج . « ... و ان كان أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الجبلى يهول و يطول فى جميع كتبه و خاصة فى كتابه فى تفضيل العرب على العجم و زعم أن العرب أعلم الامم بالكواكب و مطالعها ومساقطها ولاأدرى أجهل ام تجاهل ما عليه الزراعون والاكرة فى كل موضع و بقعة من علم ابتداء الاعمال وغيرها و معرفة الاوقات على مثل ذلك فان من كان السماء سقفه و لم يكنه غيرها و دام عليه طلوع الكواكب و غروبها على نظام واحد علق مبادى أسبابه و معرفة الاوقات بها بل كان للعرب ما لم يكن لغيرهم و هو تخليد ماعرفوه أوحد سوه ،حقاً كان أو باطلا ، حمداً كان أو ذماً ، بالاشعار و الارجوزة و الاسجاع و كانوا يتوارثونها فتبقى عندهم أو بعدهم و لو تأملتها من كتب الانواء و خاصة كتابه الذى وسمه بعلم مناظر النجوم و مما أوردنا بعضه فى آخر الكتاب لعلمت أنهم لم يختصوا من ذلك باكثر مما اختص به فلاحو كل بقعة **ولكن الرجل مفرط فيما يخوض فيه و غير خال عن الاخلاق الجبلية فى الاستبداد بالرأى وكلامه فى هذا الكتاب المذكور يدل على احن و ترات بينه و بين الفرس اذلم يرض بتفضيل العرب عليهم حتى جعلهم أرذل الامم وأخسها وأنذلها و وصفهم بالكفر و معاندة الاسلام باكثر مما وصف الله به الاعراب فى سورة التوبة و نسب اليهم من القبائح ما لو تفكر قليلا و تذكر اوائل من فضل عليهم لكذب نفسه فى اكثر ماقاله فى الفريقين تفرطا و تعديا ... »**
انظر الآثارالباقية ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩

خوارزم خاصة .

٣ـ ايثاره للحقيقة :

كان أبوالريحان ، بحق ، مغرماً بالحقيقة ، الحقيقة وحدها وكان يتحمّل الآلام والمتاعب بصبرٍ و أناة فی سبيل الوصول إليها وكان يُبعد نفسه عن أية خصلةٍ قد تمنعه من دركها :

فقد رأيناه ، كما ذكرنا من قبل ، لايتعصب فی سلوكه الدينی بل كان يحترم المعتقدين بالأديان الأخرى لأجل الاستفادة من علومهم و معارفهم.

و كان يغضّ النظر عن المنصب و الجاه ، و كما أشرنا ، نراه يرفض اقتراح شمس المعالی قابوس لتقبل حكومة جرجان (١)

وكان لايهتم بالثروة وحطام الدنيا كما كان يرفض بشدة الكسل والتقاعس عن العمل ؛ فان رأى أنّ أخذ العلم و الوصول الى الحقيقة يتطلبان تعلم لغة اجنبية و لو فی سن الشيخوخة فلا يتردد فی ذلك ، و ان رأى أنّ تدريس علوم اليونان للهنود يتطلب بذل جهود مضنية فنراه يتحمّل العبء حرصاً منه على نشر العلم(٢) و اذا رأى أنّ تأليف كتابٍ قيّمٍ يتطلّب عملاً متواصلاً فلايترك يده القلمُ ، كما يقولُ ياقوت (٣) ، طوال ايام السنة الاّ فی عيدی النوروز و المهرجان

فهل يمكن أن يُتصوّر أنّ هناك ايثاراً للحقيقة أكبر ممّا فعله ابوالريحان من غضّ النظر عن المال و الجاه و المنصب ، و الميل عن الراحة ، التی

١ـ انظر معجم الادباء ج ١٧ ص١٨٢

٢ـ تحدث ابوالريحان عن هذا الموضوع بقوله :

« ... و اكثر كتبهم «شلوكات» و أنا منها فی بلايا فيما أمثله للهند من ترجمة كتاب اقليدس و المجسطی و أمليه فی صنعة الاسطرلاب عليهم حرصاً منی على نشر العلم .. » انظر « ماللهند.. » ص١٠٦

٣ـ انظر معجم الادباء ج١٧ ص١٨١

ينشدها الانسان بطبيعته ،وكذلك ، من كف النفس عن أيّ تعصب يُعمى الباحث عن رؤية الحق ؟

صوت ابى الريحان :

لأبى الريحان حديث معنا ، نحن شباب ايران ، والأمة الاسلامية، طلاباً و اساتذةً .

لكأنّنا نسمعه يحدثنا بصوته الهادئ من وراء القرون و الأعصار . و يظهر من نبراته أن اباالريحان ليس براضٍ عنا كما ينبغى ! فهو يقول لنا بشىءٍ من التأنيب :

لقدكانت بلادكم ايران قاعدة لرجال بعيدى الهمم أفنوا بشغف زهرة أعمارهم لخدمة العلم و البشرية فأحاطوا بجميع علوم زمانهم و ساهموا مساهمة فعالة فى بناء صروح الحضارة الانسانية ؛ و الان ، جاء دوركم و حان الاوان لكى تظهروا لياقتكم و مقدرتكم ! و لكم فى آبائكم قدوة حسنة،فعليكم أن تحافظوا على سمعة هذه البلاد العريقة التى نما و ترعرع فيها العلم عالياً بين الامم!

ثم يحدثنا عن سر انتصاره :

ان سر فوزى فى نيل العلم هو اننى لم اشتغل الا بالعلم وحده و لم أغفل لحظة واحدة عن الدراسة و التحقيق ؛ فاذا كنتم حقاً من أهل العلم و طلابه فعليكم أن تحذوا حذوى !

فأنا ، كما أخبركم ياقوت الحموى ، (١) رفضت اقتراح شمس المعالى قابوس بن وشمگير لاستلام منصب حاكم جرجان ، ذلك ، لان هذه الامور تتعارض و الاشتغال بالدرس والتحقيق !

١ـ انظر معجم الادباء ج ١٧ ص١٨٢

وكما نقل لكم السيوطى و ياقوت والاخرون ،(١) اعتذرت عن قبول فيل محمل بالنقود الفضية أرسله لى مسعود الغزنوى كجائزة لتأليفى كتاب القانون المسعودى ، ذلك ، لانني رأيت أن هذه الثروة الطائلة تناسب الصرافين والتجار ولا تناسب مقام أهل العلم !

انني لم أفرح قط بمدح هذا و ذاك كما يفرح ذوو العقول الصغيرة و لم أتألم من نقد الناقدين أبداً و لم أتخذ من آبائي موضوعاً لفخرى ، ذلك ، لان هذه الصفات لا تليق بأهل العلم .

ألم تسمعوا جوابى لشاعرٍ جاء يمدحنى و يعدد مناقب اجدادى ؟

لقد قلت له ساخراً :

أيها الشاعر الذى ذكرت فى شعرك مناقب أجدادى ، الله يعلم اننى لاأعرفهم كما ينبغى «وكيف أعرف جدى إذ جهلت أبى !؟»

أيها الشاعر ! لاتتعب نفسك لان المدح والذم عندى سيان !(٢)

١ـ جاء فى بغية الوعاة للسيوطى ، طبعة القاهرة ص ٢٠ :

«... و لما صنف القانون المسعودى أجازه السلطان بحمل فيل فضة فرده بعد الاستغناء عنه ...» و ذكر القصة ياقوت فى معجم الادباء (ج١٧ ص١٨١) بقوله : «وبلغنى أنه لما صنف القانون المسعودى أجازه السلطان بحمل فيل من نقده الفضى فرده الى الخزانة بعذر الاستغناء عنه ..» أما الشهرروزى فيقول :

« و بلغنى انه لما صنف القانون المسعودى أجازه السلطان الشهيد حمل فيل من النقرة فرده الى الخزانة فقد رأى الاستغناء عنه و رفض العادة فى الاستغناء.. » انظر مقدمة زاحائو لكتاب الاثار الباقية ص L١١١

٢ـ جاء أباالريحان شاعر (يكنى بأبى الحسن؟) فمدحه ذاكراً مناقب أجداده لينال منه عطاءه فلم يحفل به أبوالريحان بل رد عليه ببضعة أبيات مستخدماً فيها كلمات ركيكة و مضامين قبيحة امعاناً فى الاستهزاء و ليبين للشاعر أن الفخر بالاجداد والاباء لايزيد من قيمة المرء مهما بلغوا من مجد و عظمة و أن عدم انتساب المرء الى العظماء لايحط من قيمته أيضاً فقال :

البقيه فى هامش الصفحة التالية

و انتم ، اذاكنتم من محبي‌العلم حقاً ، و ترمون النجاح في‌اعمالكم العلمية فاياكم والانخداع بالالقاب والمناصب الزائلة وترجيحها علي‌العمل العلمـي المقدس ! و لاتتعبوا أنفسكم بالبحث عـن الامـوال كالصرافين و المنتفعين ،فذلك ،ليس‌من‌شأنكم !

اياكم و الانخـداع بالمدح و التألم من النقد ،فهما ، لاشك ، آفتا طالب العلم !

ثم اياكم اياكم و الكسل ! فالكسل عدو العلم اللدود ألم تقرأوا في معجم الادباء أنني لم أكن أغفل لحظة واحـدة عن‌العمل طوال ايام السنة الا في‌يومي‌النيروز والمهرجان ؟ (١)

أما علمتم أنني تعلمت اللغة السنسكريتية و أنا فـي سن الشيخوخة ؟ ثم ، ألم أخبركم كيف أنني كنت ادرس علـوم اليـونان و خـاصة كتابي اوقليدس و المجسطي و أمليه علـي الهنود بلغتهم الخاصة ؟ (٢) أبالكسل كان بأمكاني أن أنجز هذا كله ؟!

الويل‌لكم وانتم‌ترتدون‌لباس‌أهل العلم‌ولاتشتغلون‌بالدراسة‌والتحقيق الا أحيانا وحتي اشتغالكم هذا لايكون الامن أجل‌الحصول علي‌المكافأة!

لكأنكم لم تقرأوا ماكتبته في كتابي « تحديد نهايات الاماكن... » فلقد ذكرت :

يا شاعراً جاء ني يخـري علي الادب وافـي ليمدحني و الذم مـن أدبي
وجـدته ضارطـاً في لحيتي سفهـاً كـلا فلحيتـه عثنونهـا ذنبـي
و ذاكراً فـي قوافي شعره حسبي و لست والله حقـا عارفاً نسبي
اذ لست أعرف جدي حق معرفة وكيف أعرف جدي اذ جهلت أبي
انـي أبـولهـب شيخ بـلا أدب نعـم و والـدتي حمـالة الحطب
و المدح و الذم عنـدي يا أباحسن سيان مثل استواء الجد و اللعب
فأعفنـي عنهمـا لاتشتغـل بهمـا بالله لاتوقعـن مفساك فـي تعب

انظر معجم‌الادباء ج١٧ ص١٨٩

١ـ انظر معجم‌الادباء ج ١٧ ص١٨١

٢ـ انظر كتاب «تحقيق ماللهند..» ص١٠٦

« الفضيلة الذاتية للشيء غير المنفعة العارضة لاجله » (۱) فلاينبغي أن تزنوا قيمة العلم بميزان الربح والخسارة ، العارضين لاجله ، ويجدر بكم أن تحبوا العلم لاجل العلم وحده !

لاأعلـم هل حدثكم الفقيه العالـم أبوالحسن على بن عيسى الولوالجي عن آخر لقاءكان بيننا و أناعلى فراش الموت ؟

لقد كنت أعـاني من سكرات المـوت فعادنـي الولوالجي فسألته أن يشرح لي حساب الجدات الفاسده (۲) لاتعلمه ، فنظر الى مشدوها و قال: كيف تسألني هذا السؤال و أنت في هذه الحـال ؟ فأجبته : أيهما أفضل في رأيك ، أن أتعلم هذه المسألة و أمـوت أم أموت و أنا جـاهل بها ؟ فقبل و شرح لي المسألة فتعلمتها و ما ان خرج حتى فارقت الحياة ! (۳)

هذا هو سر نجاحي ، وما عرفني العالم بالاستاذ أبي الريحان الا لانني أحببت العلم من أجله وحـده ، و فـي سبيله انصرفت عن المال و الجاه والمنصب وابتعت الاتعاب بالراحة .

يا وراث الحضارة الاسلامية اللامعة !

لاتظنوا أنني أجهل أن الانسان بطبيعته محب للثروة و الجاه واللذة و الراحة ؛ أنا أعرف هذا ،كل المعرفة و لكنني أعلـم أيضاً أن رجـل العلم و الانسان المترفع بنفسه عن الدنايا ، و الذي يريد أن يجد طريقاً لتوصله الى جادة الحقيقة ، لابد له من أن يخرج من سجن طبيعته ؛ فاذا ثقل عليكم

۱ـ انظر كتاب «نظر متفكران اسلامى درباره طبيعت» للدكتور نصر هامش ص١٥۴

۲ـ الجدات الفاسدة : التى من قبل الام

۳ـ يذكر ياقوت الحكاية بقوله : « حدث القاضي كثير بن يعقوب البغدادى النحوى في الستور عن الفقيه أبي الحسن على بن عيسى الولوالجي قال دخلت على أبي ريحان و هو يجود بنفسه قد حشرج نفسه (تردد في ضيق) وضاق به صدره فقال لى فى تلك الحال : كيف قلت لى يوماً حساب الجدات الفاسدة ؟ فقلت له اشفاقا عليه : أفي هذه الحالة ؟ قال لى ياهذا أودع الدنيا و أنا عالم بهذه المسألة ألايكون خيراً من أن اخليها و أنا جاهل بها؟ فأعدت ذلك عليه و حفظ و علمنى ما وعد ، وخرجت من عنده و أنا في الطريق فسمعت الصراخ ... » انظر معجم الادباء ج۱۷ ص١٨٢ ، و انظر بغية الوعاة للسيوطى ، طبعة القاهرة ص ٢٠

قـولى هـذا فاستمعوا الى أمير شعراء العالم «حافظالشيرازى» وهو خير من تحدث بهذا الشأن :

« بمـا أنك لا تتـرك سجـن الطبيعـة »

« كيف تستطيع أن تمر بشارع الحقيقة ؟ » (١)

١ـ البيت بالفارسية :

توكز سراى طبيعت نميروى بيرون كجا بكوى حقيقت گذر توانى كرد

استدراك

بالرّغم من الجهود التى بذلناها لازالة العقبات و المشاكل الفنية لطبع القسم العربى من الكتاب ، و على ما بذله أصدقاؤنا العاملون فى المطبعة من عناية و دقة لترتيب حروف لغة ليست بلغتهم ، فقد وقعت أخطاءٌ مطبعية فى الكتاب حملتنا على أن نضع جدولاً لتصحيحها ، فنرجو من قرّائنا الأعزاء ، معتذرين إليهم ، أن يراجعوا جدول الخطأ والصواب و نشكر موظفى المطبعة المحترمين على ماقدموه من جهود لطبع هذا الكتيب . والله الموفق

****

جدول الخطأ و الصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١	١٢	يتلفطونها	يتلفظونها
٢	١٧	عيون الأبناء	عيون الأنباء
٣	١٢	يتلقطها	يتلفظها
٥	١٢	القديمه	القديمة
٦	٧	العلما	العلماء
٦	١٣	لزرادشتية	الزرادشتية
٦	٢٠	مشهور الفردوسى فى شهنامته	مشهور من شهنامة الفردوسى
٧	١٠	السامانى	السامانى
٧	١٤	انظر ظهر الاسلام	انظر ظهر الاسلام لأحمد أمين
٨	٧	الواسعة	الواسعة
٨	٨	اللتى	التى
٨	١٤	تربطهم	تربطهم
٨	٢٢	الصناعة	الصناعة
١٦	٢٣	ورقة	ورقة
١٧	٢٥	المعل	الفعل
١٧	٢٧	و عمل	وعملت
١٨	١٩	تجزى	تجزّىء
١٨	١٩	الذين	اللذين
١٩	٨	ب-وحديث اورمزديار ومهريار	ب-وحديث قسيم السرور وعين الحياة ج- و حديث اورمزديار و مهريار

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٩	٩	و ـ حديث	د ـ حديث
١٩	١٣	عن قد الأشجار	فى قد الأشجار
١٩	١٥	والتخذير	والتحذير
١٩	١٨	للهتد	للهند
٢٠	٢٩	عدهته	كذا فى طبعة زاخائو و قد تكون عدّدته
٢٣	١٧	مولفاته	مؤلفاته
٢٦	٢٥	آساء	أساء
٢٧	١٧	معجم الادبا	معجم الادباء
٢٨	٢٠	بناهة	نباهة
٢٨	٢١	آن	أن
٣٠	٢٠	باب	باب
٣٠	٢٢	نرل	نزل
٣٠	٢٥	بطلبه	بصلبه
٣٢	١٠	أخبار ابية	اخبار ابيه
٣٣	١٠	غرير العين	قرير العين
٣٤	٩	ولا احتسبوا	ولا احتبسوا
٣٦	١	فى شخصبته	فى شخصيته
٣٦	١٨	تاريخ الشعرب	تاريخ الشعوب

جدول الخطأ و الصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٧	٢	المسغودى	المسعودى
٤٠	١٨	أميأل	أميال
٤١	٤	لتسع	لتسعة
٤٣	٦	( )	(٢)
٤٣	٧	نتائج	نتائج
٤٣	٢٢	عيون الابناء	عيون الأنباء
٤٥	٥	بلاذالهند	بلادالهند
٤٦	١٦	والفاط	و ألفاظ
٤٧	١٥	تدخل ابوالريحان	تدخل أبىالريحان
٤٧	١٩	مولفاته	مؤلّفاته
٤٨	٤	بالعفائد	بالعقائد
٤٨	٦	والحاصة	والخاصة
٤٨	١٨	القديمه	القديمة
٥٦	١	مصطلحات السنة	مصطلحات أهل السنة
٦٢	١٦	الفصى	الفضى
٦٢	٢٠	زاحائو	زاخائو
٦٤	٩	بها	بها
٦٤	١١	لابى	لأننى

آوای ابوریحان

« پیشگفتار »

شناختن و شناساندن بزرگان دانش و فرهنگ، و روشن ساختن تلاش آنان در بازیافتن اسرار علوم وفنون واشاعه‌تجربیات و اندیشه‌ها و بیان اثر وجودی آنها در سازندگی فرهنگ و تمدن روزگارشان ، بدون تردید یکی از عوامل مؤثر پیوستگی و حفظ رابطهٔ نسل جوان با فرهنگ و سنن گذشته میباشد . آشنائی همه جانبه جوانان با بزرگان علم و ادب ملت خود و آگاهی آنها از مقام دانشمندان نامدار قوم ونژاد خویش‌مخصوصاً از این نظرکه نفوذ علمی برخی ازآنها دنیای دانش و فرهنگ را در سطح جهانی تحت تاثیر خود قرار داده است ، طبعاً در ایجاد دلبستگی این طبقه به مواریث‌گرانبهای ملی ومیهنی ، و برانگیختن غرور نژادی و حس میهن‌پرستی و تقویت اراده و ایمانشان به نگهبانی یادگارهای گذشتکان ، اثری فراوان خواهد داشت ، و مخصوصاً در ترغیب این قشر پرتوان بکسب دانش باین‌امید‌که روزی بتوانند جانشین‌شایسته‌ای برای‌پیشینیان خودگردند ، انگیزه‌ئی ناخودآگاه و راه‌گشائی سالم وطبیعی تواند بود .

شاهنشاه دانش‌پرور ایران ، باتوجه باین نکات ، ازنخستین موقعیت های مناسب ، برای احیاء نام و آثار مشاهیر جـاودانی علم و ادب وفرهنك این سرزمین ، اوامرموکدی مبنی برتشکیل کنگره‌ها و مجامع ملی وجهانی صادر فرمودند تا دانشمندان و پژوهشگران ایرانی و خارجی گردهم‌آیند و ببحث و گفتگو و مبادلهٔ تحقیقات واطلاعات در بارهٔ زندگی و ویژگیهای افکارو آثار این بزرگان بپردازند و مقام والای آنها را بیش از پیش بجهانیان روشن سازند . پیامهای حکیمانهٔ معظم‌له در مراسم افتتاح هر یك از این مجامع و کنگره‌ها ، صرفنظر از اثبات اهمیت موضوع ، درس بزرگی برای همهٔ ایرانیان بودکه یکدل و یکزبان در بزرگداشت مفاخر ملی خود همت بکار برند و فرزندان امروز ایران را متوجه افتخارات گذشته سازند. انعقاد جشنهای مداوم و متعدد بمناسبت هزاره‌ها وسالگردها ، احداث بقاع و تجدید و ترمیم آرامگاهها ، تألیف وترجمه وچاپ ونشر صدهاکتب و رسالات تحقیقی دربارهٔ بزرگان علوم وفنون گذشته ایران ، همگی شاهد توجه خاص و عنایت مستمر ذات اقدسش نسبت به تمدن و فرهنك ایران و پیشروان و قافله سالاران این میراث کهن است .

تشکیل کنگره بین‌المللی بزرگداشت ابوریحان بیرونی که بمناسبت هزارمین سالگرد ولادت این نابغهٔ جهان دانش ، در شهریورماه ۱۳۵۲ با شرکت عدهٔ زیادی از استادان و محققین ایران و سایر کشور های جهان در تهران برگزار شد ، مؤید این نظر میباشد ، در همین کنگره بود که آشنایان بمقام شامخ علمی وفلسفی ابوریحان بیرونی ، فرصت آنرا یافتند تا حاصل مطالعات و نتایج پژوهشهای پرثمر خود را بدنیای دانش عرضه

کنند و یکی دیگر از نوابغ اندیشه راکه فروغ دانش و بصیرت او در طول ده قرن ، روشنگر راه دانش پژوهان و اندیشمندان جهان بوده است ، بجهانیان معرفی نمایند .

ابوریحان انسانی استثنائی وممتاز بود، او سراسرزندگی نسبتاً طولانی خود را وقف آموختن ، تفکر ، پژوهش ، آزمایش و تالیف و تصنیف کرده و از اینراه خدماتی بزرك و بیمانند نسبت به پیشرفت دانشهای بشری انجام داد ، این مردبزرك در بیشتر علوم زمان خویش استاد مسلم ، و در رشته‌های گوناگون نظیر تاریخ ، جغرافیا ، پزشکی ، طبیعیات ، داروشناسی ، ادب وحکمت و فلسفه وغیره مبتکر افکار ونظرات نو ومقتدای دانشمندان همعصر خود بود . در ریاضیات ، فیزیك ، و هیئت و نجوم به نوآوریهای شگفت‌انگیزی توفیق یافت . این‌دانشمند کم نظیر ، هزار سال قبل و قرنها پیش از موجودیت (بیکن) و (دکارت) با ابراز شجاعت علمی درس عدم تسلیم و پیروی کورکورانه در برابر عقاید پیشینیان را ، باصحاب دانش‌آموخت و بآنها هشدار داد تا در تحقیقات و تتبعات خود بجای اعتماد به نظرات گذشتگان ، مشاهده و تجربه و استدلال علمی خود را اساس‌کار قرار دهند .

ابوریحان ، بآب و خاك مقدس ایران عشق میورزید ، و تجلیات این میهن دوستی را از لابلای آثار گرانقدرش بوضوح میتوان مشاهده نمود . وی درکتاب (آثارالباقیه) زادگاه خود (خوارزم) را شاخه‌ئی از باغ ایران خوانده است . علاقه و دلبستگی خاصی به‌آداب و سنن ملی‌ومیهنی خود داشت. بااینکه در تمامی مدت سال شبانه‌روز در کار تحقیق و تحریر و تالیف مستغرق بود معذالك بپاس بزرگداشت جشن نوروز و جشن

مهرگان در این دو هنگام قلم ازکف فرو مینهاد تا فارغ ازهر کاری آئین این دوجشن بزرك ایرانی را هماهنگ باسایرایرانیان بشایستگی هرچه تمامتر برگزار نماید .

ابوریحان یك ایرانی بود وتعلق او بسرزمین ایران قابل تردیدنیست،اما ازدیدگاه وسیع بشریت نباید این حقیقت ازنظر دوربماندکه او و دانشمندانی مانند او را نمیتوان بملت واحدی متعلق دانست ، زیرا اینان درحقیقت پرورش یافتگان قلمروعلم و دانش‌اند ، و پیداست که این قلمرو پهناور و بی‌حد و مرز ، بسراسر جامعهٔ انسانیت تعلق دارد .

پس بزرگداشت چنین مردانی ، در واقع بزرگداشت مقام دانش است و احترام بمقام دانش ، جز پاس حرمت‌انسانیت تعبیر وتوجیه دیگری ندارد .

دانشگاه اصفهان ، بنا بمراتب فوق و همزمان با فراهم آمدن مقــدمات برگزاری کنــگره تهــران ، از اوایل ســال ۱۳۵۲ بمنظور شناساندن ابوریحــان بیرونی و آشنا ساختن علاقمندان به ارزش آثار و افکار و عقاید این فرزند برومند بشریت با تنظیم برنامه های متوالی سخنرانیهائی ترتیب داد و نخستین‌کسی‌که این سلسله از سخنرانیها را در دانشگاه اصفهان آغازکرد ،آقای دکتر غلامعلی‌کریمی استادیار دانشکده‌ادبیات و علوم انسانی این دانشگاه بود . نامبرده درطی این‌سخنرانی بطرزی بسیار ساده و دلنشین ، نکاتی تازه و ناشناخته ، ازکار و زندگی ابوریحان را برای شنوندگان خود روشن ساخت .

در همانوقت ، این بحث پیش آمد که تاکنون کتابها و رسالات متعددی در باره ابوریحان بوسیلهٔ محققین و دانشمندان ایرانی و خارجی عرضه شده اما همهٔ آنها در سطحی است که

برای خواص اهل علم میتواند مفید فایده باشد وچه خوبست که در این زمینه کتاب یا رساله‌ئی که قابل استفادهٔ همگان باشد تالیف وازجانب دانشگاه‌اصفهان چاپ ومنتشر گردد. خوشبختانه آقای دکتر غلامعلی کریمی انجـام ایـن مهم را بعهـده گرفت و به تکمیل پژوهشهـای قبلی خـود همت گماشت و با تلاشی پی‌گیر درظرف زمانی نسبتاً فشرده وکوتاه بتدوین کتاب حاضر که بدو زبان فارسی و عربی است توفیق یافت .

مولف ارجمند ، در این کتاب ، زندگی وآثار ابوریحان را از جنبه‌های مختلف ادبی ، علمی، فلسفی وانسانی طی‌مباحثی مستند ، با بیانی ساده وشیوا بطوریکه برای همهٔ طبقات قابل درك باشد ، مورد بررسی قرار داده و در آخرین بخش‌آن (که عنوان کتاب هم مأخوذ ازآنست) به نیروی خیال ، استاد پیررا پس ازگذشت ده قرن بسخن‌گفتن واداشته و آوای ملکوتی او را بگوش جوانان ودانشجویان واستادان‌ایران ودیگرسرزمینهای اسلامی رسانیده است .

ضمن‌آرزوی مزید توفیق برای این همکار گرامی بمقتضای سالها مسئولیت وخدمت دانشگاهی وآشنا بودن بدردهای راستین دانشگاهها و دانشگاهیان ، (آوای ابوریحان) را بصورتی که مطالعه خواهند نمود ، ندائی درمانگر میدانم و بگوش جـان شنیدن آن را بهمهٔ استادان و دانشجـویان و دانش‌پژوهـان عزیز کشور توصیه میکنم .

دکتر قاسم معتمدی

رئیس دانشگاه اصفهان

مهر ماه ۱۳۵۲

قطره‌ام من وصف دریا چون کنم ؟ ✲

باغ را ریحان وگل با خار هست — گل کم‌است وخاربس بسیارهست
گر شمار خار بی پایان بود — قیمت باغ از گل و ریحان بود
خار را جزنیش وزخم و دردنیست — حاصلش جز رنج وآه سرد نیست
گل مشام جان معطر می کند — شادی جانها فزونتر می‌کند
خار با آن تیزی و تیغ زبان — عاجزاست‌ازوصف ریحان‌بیگمان
خارم و ورخود زبان از جان‌کنم — کی توانم وصف بوریحان کنم؟
قطره‌ام من وصف دریا چون‌کنم؟ — این هوس باید ز سر بیرون کنم .

اصفهان فروردین‌ماه ۱۳۵۲

✲ مقرر چنین بودکه در یکی از روزهای فروردینماه گذشته ، در برابر استادان و دانشمندان و دانشجویان ، درباره شخصیت شگفت ابوریحان سخن بگویم و این سخت دشوار بود ، که اندك مایه‌یی چون من ، هرچه درباره استاد بی‌همالی‌که « درهر فن بمثل مرد یك فن » بوده است ، میگفت ، سراسر نارسایی‌بود وناتمامی؛ درآن روز ، عذر نارسایی‌ها را ، با این ابیات ــ که ساعتی پیشتر ساخته‌بودم ــ آغاز سخن‌کردم .

اینك نیز ، پوزش خواهی لغزش‌ها و ناتمامی‌ها را طریقی به ازآنکه با همان ابیات آغاز سخن‌کنم ندیدم .

ابوریحان بیرونی

زادروز و زادگاه وی :

ابوریحـان ، محمدبن احمد بیرونی خـوارزمی ، یکی از بزرگتـرین دانشمندان ایرانی اواخر قرن چهارم و نیمه اول قرن پنجم هجری است ، وی در روز سوم ذی‌الحجـه سال ۳۶۲ هجری قمری برابر با سپتامبر ۹۷۳ میلادی در خانواده‌یی ایرانی چشم بجهان گشوده است (۱) .

در باره زادگاه ابوریحان و نسبت او به بیرونی و اینکه آیا بیرون نام زادگاه او است ، و اگر چنین است درکجا واقع بوده است ، اقوالی مختلف وجود دارد . در ضبط کلمه بیرون نیز میان تازی نویسان که آنرا همواره بفتح باء «اَلبَیْرونی» نوشته‌اند و فارسی زبانان که همیشه آنرا باکسر باء گفته‌اند و میگویند ، اختلاف هست .

شهرزوری درکتاب «نزهةالارواح و روضةالافراح فی‌تواریخ الحکماء» بیرون را شهری در سند میداند خوش آب و هوا و در آن غرائب و شگفتیها (۲) . ابن ابی‌اصیبعة نیز در «عیون‌الأنباء» با وی هم‌آواز می‌شود و بیـرون را شهری واقع در سند میخواند (۳) ، یاقوت حموی در معجم‌الأباء باآنکه خود زادگاه ابوریحان را یکی از روستاهای خوارزم می‌پندارد ، از قول یکی از دانشمندان نقل می‌کندکه ابوریحان را ازآنروی بیرونی گفته‌اند

۱ـ رك . Encyclopedie de l,Islam,T,1,P,1273

۲ـ «... و بیرون مدینة بالسند ... و بیرون هی التی منشأه و مولده بلدة طیبة فیها غرائب و عجائب ...» رك . مقدمه اووارد زاحائو بر الاثار الباقیة ص L۱۱۱

۳ـ : «هو الاستاذ ابوالریحان... منسوب الی بیرون وهی مدینة فی‌السند..» رك . عیون‌الانباء چاپ بیروت الجزء الثالث القسم‌الاول ص ۲۹

که روزگاری دراز بیرون از زادگاه خود خوارزم ، بسر برده است (۱) .
جلال‌الدین سیوطی نیز در «بغیة‌الوعاة» سبب نسبت ابوریحان را به بیرونی ، درازی زمانی که از خوارزم دور بوده است می‌داند (۲)

بررسی این اقوال

قول شهرزوری و أبن آبی أصیبعة که بیرون را نام شهری واقع در سند پنداشته‌اند بیگمان برخطاست ؛ چه ، چنین شهری بدین نام درسند وجودنداشته است و «آنکه در سند است نیرون با نون است نه بیرون با باء وآن رانیرون کوت و حیدرآبادگویند» (۳) .

اینکه درازی زمان دوری ابوریحان از خوارزم سبب نسبت او به‌بیرونی بوده باشد نیز درست نمی‌نماید چه ، گذشته از اینکه دور بودن از خوارزم وجهی منطقی برای اطلاق نسبت بیرونی نیست و هیچگونه دلیل و سند معتبری نیز درستی‌آن را تأیید نمیکند ، تاآنجاکه میدانیم نسبت بیرونی همواره با نام ابوریحان همراه بوده و اختصاص بدوره خاصی از زندگی وی نداشته است .

اماآنچه‌که سمعانی درکتاب مشهور خود الأنساب که تنها یك قرن پس از درگذشت ابوریحان تألیف یافته ، در باره کلمه بیرونی آورده است معنی‌درست این‌کلمه و زادگاه ابوریحان را روشن می‌سازد. سمعانی میگوید:

۱ـ «... و هـذه النسبة معناها البرالی لان بیرون بالفارسیة معناه براً ، و سألت بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم کان قلیلا ، و اهل خوارزم یسمون الغریب بهذا الاسم ، کأنه لما طالت غربته عنهم صار غریباً ، و ما أظنه یراد به الا أنه مـن أهل الرستاق یعنی‌أنه من برالبلد...» رك . معجم‌الادباء چاپ مصر ج۱۷ص۱۸۰

۲ـ «... لان مقامه بخوارزم وکان جیلا و وهم یسمون الغریب بهذا الاسم فلما طالت غربته عنهم صار غریباً ...» رك . بغیة‌الوعاة ، چاپ قاهرة ، ص ۲۰

۳ـ رك . «شرح حال نابغه شهیر ایران» ، علی‌اکبر دهخدا ص ۱

درآن روزگار ، در خوارزم ، هر که را در خارج شهر تولد می‌یافته و از خودشهر نبوده است بیرونی میخوانده‌اند وابوریحان باین نسبت مشهوراست(۱)

گفته سمعانی که با استنباط شخصی یاقوت نیز ، چنانکه اشاره کردیم ، همآهنگی دارد، روشن می‌سازدکه زادگاه ابوریحان یکی از روستاهای بیرون شهر گرگانج مرکز ولایت خوارزم بوده است

اما درباره سبب ضبط کلمه بیرونی بفتح باء ، درعربی بایدگفت که نظر پروفسور ادوارد زاخائو منطقی و پذیرفتنی بنظر میرسد :

وی میگوید چون یاء کلمه بیرون مجهول بوده است و این کلمه در روزگاران گذشته بهمان صورت کسره مشبعه تلفظ میشده است و از آنجا که تلفظ یاء مجهول فارسی ، در میان حروف عربی به یاء ساکن ما قبل مفتوح ازهمه شبیه‌تر است تازی نویسان آن را بآنصورت (بفتح باء) ضبط کرده‌اند(۲)

محیط پرورش ابوریحان

از دوران کودکی و تحصیلات ابتدائی ابوریحان آگاهی درستی در دست نداریم و برای آنکه محیط پرورش وی و دیگر دانشمندان نام‌آور آن

۱ـ قول سمعانی در مقدمه‌یی که ادوارد زاخائو بر الاثار الباقیة نوشته چنین آمده است : «البیرونی بفتح‌الباء الموحدة و سکون الیاء آخر الحروف و ضم الراء بعدهاالواو و فی‌آخرها نون هذه‌النسبة الی خارج خوارزم فان بها من‌یکون من خارج‌البلد ولایکون من‌نفسها یقال له فلان بیرونی‌ست و یقال بلغتهم انبیژکست والمشهور بهذه النسبةابوریحان المنجم .. » رك مقدمة الاثارالباقیة ص XV۱۱۱ . و ما از بخت بد برنسخه‌ئی که مورد استفاده زاخائو بوده است دست نیافتیم اما در نسخه چاپ حیدرآباد (سال ۱۹۶۳ ، مطبعه دائرةالمعارف العثمانیة) که در دسترس بود « البیرونی بکسرالباء ..» نوشته شده و درحاشیه کتاب نیز اشاره شده است که برخی از نسخه بدلها البیرونی را «بکسرباء» و برخی «بفتح باء» ضبط کرده‌اند. رك . الانساب چاپ حیدرآباد الجزء الثانی ص ۳۹۲

۲ـ رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ، علی‌اکبر دهخدا ص۳و۲

روزگار را بشناسیم جا دارد که باوضاع سیاسی و اجتماعی و فرهنگی ایران در قرن چهارم و نیمه اول قرن پنجم نظری سریع بیفکنیم .

میدانیم که قدرت یافتن غلامان ترك در بغداد و چیرگی آنان بر دستگاه خلافت که از زمان معتصم (۲۱۸-۲۲۱) آغاز شده بود (۱) از میانه قرن سوم هجری ببعد بیش از پیش فزونی میگیرد و کار بجائی میرسد که خلفا ، در دست امیران ترك بازیچه هائی نیستند . (۲) در نتیجه ، بغداد ؛ آن کانون درخشان فرهنك ودانش و هنر که در دوره نخستین روزگار عباسیان ، باهمت وزیران و کاتبان و دانشمندان و مترجمان ایرانی ، (۳) بآن درجه از جلال و شکوه معنوی و مادی رسیده بود، جایگاه تعصب وخامی وناامنی ونابسامانی میشود (٤) و قدرت مرکزی امپراطوری اسلام بسستی میگراید و ایالات شرقی و غربی آن علم استقلال برمی‌افرازند .

مردم ایران که از اواخر قرن اول هجری برای کسب استقلال از دست رفته میهن خویش کوشش و جانبازی آغاز کرده و در قرن‌های دوم و سوم ، مجاهدات خود را در این باره فزونی بخشیده بودند ، (۵) در این دوره رفته رفته استقلال کشور خویش را دوباره بدست می‌آورند و باحیاء زبان و ادب و فرهنك ملی خویش نائل میشوند .

تجزیه امپراطوری اسلام و تشکیل حکومتهای مختلف اگر چه موجب

۱ـ رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکتر ذبیح‌اله صفا ج۱ ص۱۷

۲ـ همان کتاب و همان صفحه

۳ـ برای آگاهی از نقش ایرانیان در تکوین تمدن اسلامی در دوره اول حکومت عباسیان رك . ضحی‌الاسلام ، احمد امین ، الجزءالاول ص ۱۷۱ - ۲۳۹

۴ـ رك . تاریخ‌ادبیات در ایران ، دکتر صفا ، ج۱ ص۱۹۸ ببعد و نیز رك . تاریخ الادب‌العربی ، احمدحسن‌الزیات ، ص ۲۱۳

۵ـ رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکترصفا ، ج۱ ص۲۹-۳۳

ضعف حکومت مرکزی اسلام میگردد اما خود در پیشرفت ادب و فرهنك و دانش و صنایع اسلامی تأثیری بزرك دارد زیرا هریك از حکومتها ، برقابت با بغداد ، میکوشد تا شاعران و گویندگان و دانشمندان بیشتری را در در بار خویش گرد آورد و بدین ترتیب هر پایتختی برای اهل دانش و هنر بصورت قبله‌یی و پناهگاهی در می آید (۱)

اگر صفاریان بواسطه گرفتاریهای جنگی و کوتاهی دوران فرمانروایی و محدودیت قلمروشان فرصت آن را نیافتند تا بادب و دانش و فرهنك ، چنانکه باید ، بپردازند (۲) ، سامانیان که روزگار نسبتاً درازی از این دوره را بر خراسان و سیستان و ماوراءالنهر و گرگان فرمانروایی داشتند می‌توانند باهمت وزیران دانشمند ودانش دوستی چون‌جیهانی (۳) وبلعمی (٤) بخارا و سمرقند را بصورت مراکز درخشان دانش و فرهنك درآورند . آنان با تشویق سخن‌سرایان بوستان شعر وادب فارسی را شکوفا وبارور می‌سازند

۱ـ رك . تاریخ ادبیات در ایران ؛ دکترصفا ، ج۱ ص۲۰۲

۲ـ همان‌کتاب ص ۳۳ - ۴۰

۳ـ جیهانی ، (ابوعبدالله احمدبن‌محمدبن‌نصر ، از رجال ادب و سیاست اواخر قرن چهارم ه. وی ی از سال ۳۶۵هق بوزارت منصوربن نوح سامانی انتخاب شد و در ۳۶۷ از وزارت معزول گردید و عتبی بجای او منصوب شد جیهانی‌کتابی در جغرافیا تألیف‌کرد بنام کتاب « المسالك والممالك» و «کتاب رسائل» نیز از اوست رك) . فرهنك فارسی معین جلد پنجم اعلام .

۴ـ بلعمی ، ابوالفضل‌محمدبن‌عبدالله بلعمی (متوفی۳۳۰ه) و پسرش ابوعلی محمدبن محمدبن‌عبدالله (متوفی ۳۶۲ه) از وزیران دانشمند روزگار سامانیان بوده‌اند و به گسترش دانش و فرهنك و زبان و ادب فارسی خدماتی بزرك کرده‌اند ابوعلی بفرمان منصوربن نوح سامانی به‌ترجمه و تألیف تاریخ بلعمی‌همت گماشته است این‌کتاب ازآنروی‌که مأخذ اصلیش تاریخ «الرسل‌والملوك» محمدبن جریر طبری بوده به ترجمه تاریخ طبری مشهور گشته‌است اماکار بلعمی در حقیقت اقتباس از تاریخ طبری است نه ترجمه کامل آن ، و مؤلف از منابع دیگر نیز استفاده‌کرده است .

و باگرامی داشت دانشمندان به‌گسترش و پیشرفت دانشهای بشری‌خدمتی بسزا می‌کنند(۱)

بیگمان راز پیروزی سامانیان ودیگر حکومتهای ایرانی این دوره (۲) در گسترش ادب و فرهنك در این نکته بوده است که‌آنان پایه‌های حکومت خویش را برمبنای احساسات ایران دوستی و زنده‌ساختن‌آداب و رسوم‌کهن ایرانی قرار میدهند (۳). چه ، بدینگونه ازنعمت محبت وهمدلی وهمداستانی مردم ایـران برخـوردار میشوند و این‌امر مایه قدرت و نفوذ و دوام حکومت آنان میگردد.

مردم ایران‌که هنوز خونخواریهای کارگزاران بنی‌امیه (٤) و فریبکاریها و نامردمیهای عباسیان را فراموش نکرده‌اند ، مردمـی که از دیرباز آرزوی رهائی از بند گران حکومت بیگانه را داشته‌اند ، در حقیقت همه آرزوهای ملی خویش را در حکومت سامانیان برآورده می‌بینند چه ، با بر روی کار آمدن آنان ، بجای حاکمان ستمگر بیگانه ، کسانی را بر مسند فرمانروایی می‌بینندکه به نژاد ایرانی‌خویش مباهات‌ها می‌کنندوبزرگداشت ایران واحیاء سنت‌ها وآداب ورسوم‌ایرانی را وجهه همت خویش قرار داده‌اند و جشن‌های

۱ـ رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکترصفا ، ج۱ ص۲۰۴ـ۲۰۷

۲ـ رك . همان‌کتاب ، ج۱ ص۲۰۳ـ۲۱۴

۳ـ همان‌کتاب ج۱ ص۲۰۶

۴ـ همان‌کتاب ص۱۲ـ۱۱

ایرانی سدهٔ (۱) و مهرگان (۲) را باشکوه تمام برگذار میکنند . بیهوده‌نیست اگر در این روزگار حماسه های ملی ایران از نو زنده میگردد و کاخ بلند شاهنامه چنان پی‌افکنده میشود که هرگز از باد وباران‌گزندی نخواهد یافت.

احترام دانشمندان و شرکت در مجالس بحث وگفتگوی آنان از جمله سنت‌های‌کهن ایرانی است که امرای سامانی ، همانند دیگر سنت‌ها ، بدان توجه بسیار میکنند (۳) آنان در هفته شبهای خاصی دانشمندان را بحضور می‌پذیرند و در مباحثاتشان شرکت میجویند و از این راه بقدر و منزلت آنان می‌افزایند وپیداست‌که اینگونه‌تشویق‌ها از طرف پادشاهان و رعایت این سنت که از یادگارهای انوشیروان است (٤) و برخی از خلفای عباسی نیز

۱ـ «سده (جشن سده در ۱۰ بهمن یعنی صد روز پس ازآغاز زمستان پنج ماهه ایران باستان گرفته میشد) جشنی که در ایران باستان و قرون اولای اسلام در روز دهم بهمن‌ماه گرفته میشد و در آن جشن آتش افروزی میکردند این جشن را زردشتیان هنوز هم برپا میدارند» رك . فرهنك فارسی معین

۲ـ مهرگان «... روز شانزدهم هرماه ـ که بمهرروز موسوم‌است ـ مخصوص بفرشته فروغ یعنی «مهر» است در روز مهر (شانزدهم) از ماه مهر ایرانیان جشن بسیار بزرگی برپا میداشتند . بقول بندهشن «مشیا» و «مشیانه» (آدم وحوای آریائیان) در چنین روزی تولد یافته‌اند . این جشن بزرك شش روز طول میکشید از روز شانزدهم مهرآغاز میگردید و به روز بیست ویکم ـ که رام روز باشد ، ختم میشد روزآغاز را « مهرگان عامه » و روز انجام را «مهرگان خاصه » میگفتند . در ایران در عهد بسیار قدیم فقط دو فصل داشتند اول تابستان (Hama) دوم زمستان (Zayana) . نوروز جشن آغاز تابستان است و مهرگان جشن آغاز زمستان...» رك . فرهنك فارسی معین و برای آگاهی از چگونگی برگذاری این جشن و جشن سده در دوره نخستین روزگار عباسیان رك . تاریخ الاسلام السیاسی والدینی والثقافی و الاجتماعی ، دکترحسن‌ابراهیم حسن ج۲ص

۳ـ رك . تاریخ‌ادبیات در ایران ، دکتر ذبیح‌اله صفا ج۱ ص۲۸۰

۴ـ رك . تاریخ علوم عقلی ، دکتر ذبیح‌اله صفا ج۱ ص۲۳

آنرا بتقلید از سامانیان ، اقتباس کرده‌اند (۱) تاچه پایه مایه تشویق دانشمندان و پیشرفت دانش میشده است .

از آنجا که پیوند سامانیان با مردم ایران ، چنانکه اشارت رفت ، پیوند ملی و میهنی بوده است آنان ، برخلاف ترکان غزنوی و سلجوقی که پیوندی میان خود و مردم ایران ، جز دین ، نمی‌توانستند یافت ، مردم را در معتقدات مذهبی و شیوه اندیشه خویش آزاد میگذارند و از اینروی در روزگار آنان آن سختگیری‌ها و تعصب ها که در عهد ترکان رواج می‌یابد دیده نمیشود : ابوعبدالله جیهانی وزیر سامانیان ظاهراً بر مذهب مانوی بوده است (۲) ، نصربن‌احمد و نوح‌بن‌منصور خود باسماعیلیان پیوسته‌اند (۳) و دقیقی شاعر آشکارا خود را زردشتی میخوانده است (٤) عیسوی و زردشتی و شیعی و سنی و ... همه باآزادی درکنار یکدیگر می‌زیسته‌اند و پیداست که اینهمه بلند نظری و آزاد اندیشی نیز تاچه پایه در پیشرفت دانش و فرهنك و تربیت دانشمندان تأثیر داشته است .

خاندان های ایرانی دیگری که همزمان با سامانیان ، هریك برناحیه‌یی از ایران فرمانروائی داشته‌اند (۵) نیز برطریق سامانیان گام برمیداشته‌اند وهر

۱ـ رك . ظهرالاسلام ، احمد امین ، ص ۲۲۹ ـ ۲۳۱ و نیز رك . تاریخ‌الاسلام السیاسی و الدینی والثقافی و الاجتماعی ، دکترحسن‌ابراهیم حسن ، ج ۳ ص ۵۱۸ ببعد و رك . مروج الذهب ، مسعودی ، چاپ مصر ، ج۴ ص۲۴۵

۲ـ رك . مانی ودین او ، سیدحسن تقی‌زاده ، حاشیه ص۱۶۳

۳ـ رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکترصفا ج۱ ص۲۴۷

۴ـ دقیقی چهارخصلت برگزیده بگیتی از همه خوبی و زشتی
لب یاقوت رنك و ناله چنك می خون رنك ودین زردهشتی

رك . تاریخ ادبیات درایران ، دکترصفا ج۱ ص۴۰۹

۵ـ رك. همان کتاب ، ج۱ ص۲۰۴ـ۲۱۴ ونیز ص۲۱۷ـ۲۱۹

یک گروهی از اهل دانش وهنر را در دربار خودنگاهداری و تشویق وحمایت می کرده‌اند و با صله بخشی‌های خودآنان را بگسترش دانش و ادب وفرهنگ وامیداشته‌اند ، (۱) ابوریحان ، دانشمند نامداری که بررسی احوال و آثار و جوانب مختلف شخصیتش موضوع این مقال است ، درچنین روزگار و چنین اوضاع و احوالی پرورش یافته است . روزگاری که ابتدا دانشمندانی نظیر محمدبن زکریای رازی وابونصر فارابی و علی‌بن‌عباس مجوسی اهوازی (۲)

۱ـ ازآن جمله است ابوالعباس مأمون خوارزمشاه که درباره دانش دوستی و تشویق‌و حمایت وی از اهل دانش ، در چهـار مقاله عروضی چنین آمده است: «ابوالعباس مأمون خوارزمشاه وزیری داشت نام او ابوالحسن احمـدبن محمد السهیلی ، مردی حکیم طبع و کریم نفس و فاضل ، و خوارزمشاه همچنین حکیم طبع و فاضل دوست بود و بسبب ایشان چندین حکیم و فاضل بر آن درگاه جمع شده بودند چون ابوعلی‌سینا و ابوسهل مسیحی و ابوالخیر خمار و ابوریحان بیرونی و ابونصر عراق . اما ابونصر برادرزاده خوارزمشاه بود و در علم ریاضی و انواع‌آن ثانی بطلمیوس بود و ابوالخیرخمار در طب ثالث بقراط و جالینوس بود و ابوریحان در نجوم بجای ابومعشر واحمدبن عبدالجلیل بود و ابوعلی‌سیناو ابوسهل مسیحی خلف ارسطاطالیس بودند در علم حکمت‌که شامل است همه علوم را . این طایفه در آن خدمت از دنیاوی بی‌نیازی داشتند و با یکدیگر انسی در محاورت و عیشی در مکاتبت میکردند..» رك . چهارمقاله ، باهتمام دکترمحمد معین ، چاپ تهران۱۳۴۱ ص ۱۱۸

۲ـ «بزرگترین طبیب اسلامی بعد از رازی **علی‌بن عباس مجوسی اهوازی** طبیب عضدالدوله است . وی شاگرد پزشك بزرك ایرانی ابوماهر موسی‌بن سیار قمی بوده است . وفات او در سال ۳۸۴ بوده و چون بردین زردشتی بود او را مجوسی گفته‌اند . ازکتاب مشهور اوکامل‌الصناعة فی‌الطب معروف به الطب الملکی وکناش عضدی نسخ بسیار در دست است و چندبار بطبع رسیده . این‌کتاب بیست مقاله دارد که در تمام ابواب علم طب بتفصیل نوشته شده و پیش از قانون کاملترین‌کتاب در فن طب شمرده میشد و بعد از تألیف کتاب قانون هم همواره جزو کتب مهم مورد مطالعه و استفاده اهل فن بوده است این‌کتاب بلاتینی ترجمه شده وآن ترجمه چندبار بطبع رسیده است» رك . تاریخ‌ادبیات در ایران ، دکترصفا ، ج۱ ص۳۴۶

و سپس نام‌آورانی چون ابن‌سینا و ابوسهل مسیحی (۱) و غیر آنان را بجهان دانش تقدیم داشته است اما چه می‌توان کرد که آن آزاداندیشی و بلندنظری را برمردم ایران ، «روزگار برنپسندید و فلك روا نداشت!» بدبختانه هم در این عهد است که با روی کار آمدن ترکان ، ترکانی که جز دین هیچ چیز آنان را با مردم ایران پیوند نمی‌داد ، سیاستی مذهبی ، که سخت گیری و تعصب از تبعات اجتناب ناپذیر آنست ، جانشین سیاست ملی همراه باآزاداندیشی سامانیان میگردد و رفته‌رفته دشمنی با علوم عقلی و کینه‌توزی با دانشمندان آغاز می‌شود وموجب آن میگردد که ازقرن‌پنجم ببعد دیگردرسراسر شرق دانشمند نام‌آوری که با دانشمندان بزرك این دوره پهلو تواند زد بوجود نیاید .

زندگی ابوریحان وآثار وی

ابوریحان بیگمان تحصیل دانش را از خردسالی در خوارزم آغاز کرده است . وی تا سن بیست و پنجسالگی در آن دیار باقی مانده و در این مدت نزد استادانی نظیر ابونصر منصوربن علی‌بن عراق (۱) ریاضی‌دان بزرك فراگرفتن دانش را دنبال کرده است . این ابونصر ، استاد ابوریحان ، از

۱ـ **ابوسهل مسیحی** طبیب مشهور معاصر ابن‌سینا است که در دربار ابوالعباس مأمون خوارزمشاه میزیسته وبنا بروایت چهارمقاله در سال ۴۰۳ هجری قمری هنگامیکه بهمراهی ابوعلی سینا ، برای رهائی از چنگال محمود غزنوی ، از خوارزم بگرگان میگریخته در بیابان خوارزم در گذشته است . از این دانشمند کتاب مشهور « المائة فی الصناعة الطبیة» که همه ابواب پزشکی را در برمیگیرد وهمچنین رسالاتی چند، هم درپزشکی برجای مانده است . ابوسهل در هندسه ونجوم وحکمت نیز دستی داشته و دراین زمینه ها نیز آثاری نوشته است . رك . تاریخ ادبیات درایران ، دکترصفا ، ج۱ ص۳۴۶

۲ـ ابونصر عراق (اضافه اسم پسر به اسم پدر) از بزرگترین ریاضی‌دانان ومنجمان روزگار خویش بوده و درآن علوم تألیفاتی داشته و نیز دوازده رساله بنام ابوریحان‌نوشته است . رك . تعلیقات چهارمقاله ص۴۱۹-۴۲۲

خاندان آل‌عراق ، پادشاهان قدیم خوارزم است که حکومتشان بر آن ناحیه از روزگاران پیش از اسلام آغاز گشته و تا سال ۳۸۵ هجری‌قمری که آخرین آنان بدست مأمون‌بن‌محمد سرسلسله مأمونیان خوارزم کشته شد ، بر خوارزم حکومت کرده‌اند . ابوریحان از این خاندان که بعلم و ادب توجهی داشته‌اند نیکویی‌ها دیده است (۱)

ابوریحان هم در خوارزم بنوشتن چند کتاب پرداخته و باب مکاتبه را در مسائل فلسفی باابوعلی‌سینا؛ نابغه‌جوان بخارا که هفت‌سال از وی کوچکتر بوده گشوده است (۲) .

بنظر میرسد که ابوریحان شخصاً بدیدار منصوربن نوح سامانی (۳۸۷-۳۸۹) نائل آمده باشد . چه ، از وی بعنوان نخستین مشوق خویش به نیکی یاد کرده است . (۳)

ابوریحان ظاهراً از سال ۳۸۸ھ یعنی هنگامیکه شمس‌المعالی قابوس‌بن وشمگیر از تبعید گاه بتخت سلطنت خویش باز میگشت به گرگان به خدمت وی میرود و مورد اکرام بسیار قرارمیگیرد؛(٤) شمس‌المعالی قابوس، چنانکه میدانیم پسر وشمگیر و برادرزاده مردآویج سرسلسله آل‌زیاراست. این‌خاندان ایرانی در آن روزگار بر ناحیه گرگان فرمانروایی داشته‌اند . مردآویج در میهن پرستی و گرامیداشت رسوم و آداب ملی مشهور است وی در سال ۳۲۳

۱ـ رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکترصفا ، ج۱ ص۲۰۷

۲ـ رك .

l,Article de D·J· Boilot dans l,Encyclopedie de l,Islam .T,1,P·1273–1275

۳ـ همان مصدر

۴ـ همان مصدر

هجـری میخواست پس از برپای داشتن جشن سده در اصفهـان ، ببغداد بتازد وخلیفه را ازمیان بردارد و کاری راکه سردار بزرك ایرانی یعقوب با فرارسیدن مرگش ناتمام گذارده بود بانجام برساند . اما ، بدبختانه بدست غلامان ترك خویش در حمام ، از پای در آمد و داستان آن مشهور است (۱)

شمس المعالی قابوس ، برادرزاده مردآویج و حامی ابوریحان خود از نویسندگان و شاعران بزرك بشمار است . وی بدو زبان فارسی و عربی شعر میسروده و کتاب کمال البلاغة نشانه دانش بسیار وی در ادب وحکمت است(۲) بیهوده نیست اگر خسروی سرخسی شاعر (۳) در دستگاه او راتبه داشته (٤) و امثال ابوالفرج علی بن حسین بن هندو ، ادیب و حکیم بزرك (۵) و ابوریحان

۱ـ رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکترصفا ، ج۱ ، ص ۲۱۱-۲۱۲

۲ـ رك . همان کتاب ج۱ ص۲۱۲

۳ـ ابوبکر محمدبن علی خسروی سرخسی از شاعران و دانشمندان قرن چهارم است. وی به دو زبان تازی و پارسی شعر میگفته و با علوم اوائل آشنائی داشته است . آگاهی وی از فلسفه موجب شده است که برخی از مضامین و مصطلحات فلسفی در شعرش راه یابد و از همین روی به « حکیم » ملقب گردد . خسروی ، شمس المعالی قابوس و صاحب بن عباد و ناصرالدوله ابوالحسن محمدبن ابراهیم سیمجور را مدح میگفته و ازقابوس وصاحب بن عَباد وظیفه سالیانه میگرفته است . رك . تاریخ ادبیات درایران ، دکترصفا ، ج۱ ص۴۲۳-۴۳۴

۴ـ رك . همان کتاب ج۱ ص۲۱۲

۵ـ ابوالفرج علی بن حسین بن هندو از حکیمان و ادیبان و شاعران مشهور نیمه دوم قرن چهارم و اوائل قرن پنجم هجری است وی در نیشابور پرورش یافته و در آنجا ، در خدمت ابوالحسن الوائلی بآموختن علوم اوائل پرداخته و پس ازآن ببغداد رفته و در سلك کاتبان عضدالدوله دیلمی درآمده است. ابن هندو سپس بگرگان بخدمت شمس المعالی قابوس رفته و چندی درخدمت وی بسر برده وپس از قابوس نیز مدتی درخدمت پسرش فلك المعالی منوچهر (۴۰۳-۴۲۰) مانده و سرانجـام در همان دیار در گذشته است از تألیفات وی میتوان کتابهای «الکلم الروحانیة من الحکم الیونانیة » و «المقالة المشوقة فی المدخل الی علم الفلك » و « مفتاح الطب » و دیوان شعر وی را نام برد . رك . معجـم الادباء ج ۱۳ ص۱۳۶-۱۴۶ و نیز رك . الاعلام ، الزرکلی ، و تاریخ ادبیات در ایران ، دکتر صفا ، ج ۱ ص۳۰۲-۳۰۳

بیرونی مورد اکرام و حمایت او قرار میگرفته‌اند

ابوریحان روزگار نسبتاً درازی را در دربار قابوس میگذراند و هم در آنجاست که نخستین اثر بزرك خود « الآثارالباقیة عن‌القرون الخالیة » را احتمالاً در سال ۳۹۰هـ (۱) بنام قابوس تألیف میکند . این‌کتاب ارزشمند که مطالب‌گوناگونی از قبیل گاه شماری و تقویم و مسائل مهم ریاضی ونجومی و تاریخی و ... را در بردارد ؛ نخستین‌بار در سال ۱۸۷۸ در لایپزیك بوسیله پروفسور ادوارد زاخائو بطبع رسیده است (۲)

ابوریحان باآنکه ایرانی است و زبان مادریش گویش‌ایرانی‌خوارزمی، زبان عربی راکه درآن روزگار زبان دانش وفرهنك دنیای اسلام بوده‌است، برای نوشته‌های خویش برمیگزیند . اما بعدها برخی از آثارش را بفارسی و یا بهردو زبان نیز تألیف میکند (۳)

وی پیش از سال ۳۹۹ هجری قمری بزادگاه خود خوارزم باز میگردد و مورد احترام واکرام خوارزمشاه ابوالحسن علی‌بن‌مأمون قرارمیگیرد وپس از درگذشت این‌پادشاه نیزمدت هفت سال در دربار برادرش ابوالعباس مأمون‌بن‌مأمون بااحترام بسرمی‌برد؛ بیرونی دراینمدت گذشته ازشخصیت ومقام علمی نقش‌های حساس سیاسی نیز ، چنانکه خواهیم دید ،بعهده داشته‌است.

پس از آنکه در سال ٤٠٧ خوارزمشاه مأمون‌بن مأمون بدست سپاهیان طغیان کرده خویش کشته میشود و کشورش بدست سلطان توانای غزنوی ، محمودبن سبکتکین می‌افتد ، ابوریحان را بفرمان محمود ، بهمراهی گروه

۱- l,Encyclopedie de l,Islam.T.1,p.1273-1275

۲ـ همان مصدر

۳ـ همان مصدر

بیشماری زندانی ، در بهار ۴۰۸ بغزنه می‌برند (۱) . در میان زندانیان جمعی از دانشمندان و ادیبان و از جمله ابونصر عراق استاد ابوریحان و ابوالخیر حسین‌بن‌باباالخمار (۲) نیز بوده‌اند (۳) ، ابوعلی‌سینا ظاهراً پیش از آن تاریخ بهمراهی ابوسهل عیسی‌بن یحیی المسیحی ، پزشك معروف ، خوارزم را بقصد گرگان ترك گفته بوده است . (٤)

ابوریحان ، از آن پس ، ناچار در دربار غزنه میماند و ظاهراً سمت منجم رسمی دربار می‌یابد (۵) و در لشکرکشی‌های محمود بشمال غربی هند وی را همراهی میکند .

ابوریحان در هند بتدریس دانشهای یونانی می‌پردازد (٦) و در برابر با آموختن زبان سانسکریت و گویشهای مختلف آن ، آگاهی‌های ارزشمند بسیاری درباره دانشها و معتقدات و آداب هندیان بدست می‌آورد و همه را در کتابی که درباره هند با عنوان « تحقیق‌ماللهند من مقولة مقبولة فی‌العقل او

۱ـ رك . L,EncycloPedie de l,Islam·T·1,P.1274

۲ـ ابوالخیر حسین بن‌خمار دانشمند بزرك ایرانی از پزشکان و حکیمان و مترجمان بنام قرن چهارم هجری است وی کتب فلسفی بسیاری را از سریانی بعربی ترجمه کرده و برمنطقیات أرسطو توضیحات و تعلیقاتی افزوده است . ابن‌ندیم در باره این دانشمند چنین مینگارد : «ابن‌الخمار و هو ابوالخیرالحسن‌بن سوار بن بابابن بهنام فی زماننا مـن افاضل المنطقیین ممن قرأ علی یحیی‌بن‌عدی ، فی نهایة الذکاء والفطنة و الاضلاع بعلوم أصحابه، و مولده فی شهر ربیع‌الاول سنة احدی و ثلاثین و ثلاثمائة و له من الکتب کتاب الهیولی ، مقالة . کتاب الوفاق بین رأی الفلاسفة والنصاری ، ثلاث مقالات. کتاب تفسیر ایساغوجی، مشروح . کتاب ایساغوجی ، مختصر . کتاب الصدیق والصداقة ، مقالة . کتاب‌سیرة‌الفیلسوف مقالة . کتاب الحوامل ، مقالة فی‌الطب ...» رك الفهرست ، تحقیق رضا تجدد ص ۳۲۳

۳ـ رك L,Encyclopedie de,Islam T·1,P · 1274

۴ـ رك . چهارمقاله ، مصحح دکترمعین ، ص۱۱۹

۵ـ رك L,EncycloPedie de l,Islam T·1,P.1274

۶ـ رك . ماللهند . چاپ حیدرآباد ص۱۰۶

مرذولة» تألیف می کند ، جمع می‌آورد؛ وی این اثر راکمی پس از درگذشت محمود یعنی در سال ٤٢١ بپایان میبرد. (١) ادوارد زاخائو این کتاب را نیز در سال ١٨٨٧ در لندن بطبع رسانده و سال بعد بانتشار ترجمه انگلیسی آن نیز هم در لندن ، مبادرت ورزیده است .

یکسال پیش از تألیف ماللهند ، ابوریحان کتاب پر اهمیت دیگری بنام « التفهیم لأوائل صناعة التنجیم » را که خلاصه‌ئی از علوم هندسه وحساب و هیئت و احکام نجوم را در برمیگیرد به دو زبان عربی و فارسی ، (٢) بنام ریحانه دخترحسین خوارزمی ، نگاشته است ؛ نسخه عربی این‌کتاب در سال ١٩٣٤ در لندن بوسیله R,Ramsy همراه با ترجمه انگلیسی آن بطبع رسیده است و نسخه فارسی آن را استاد فرزانه جلال‌الدین همایی تصحیح فرموده و در سال ١٣١٨ در تهران بچاپ رسانیده‌اند

پس از این دو کتاب ارزشمند ، ابوریحان چهارمین اثر بزرك خود «القانون‌المسعودی فی‌الهیئة والنجوم» را در روزگار مسعودغزنوی(٤٢١-٤٣٢) بپایان‌میبردوسپس‌درروزگارمودودبن‌مسعود(٤٣٢-٤٤١)به‌تألیف‌کتاب پراهمیت دیگری در معدن شناسی بنام «الجماهرفی‌معرفةالجواهر» همت میگمارد ، این کتاب را F.Frenkw درسال ١٩٣٦ میلادی درحیدرآباد بطبع رسانیده است.

١- رك . L,EncycloPedie de l,Islam.T,1,P. 1274

٢- دراین‌که یکی از این دوکتاب ترجمه دیگری است جای تردید نیست امابدرستی نمیدانیم که ابوریحان ابتدا کتاب التفهیم را بفارسی تألیف کرده است یا بعربی ؟ برخی شواهد و از جمله نوشتن‌کتاب برای ریحانه دخترحسین خوارزمی‌که دختری ایرانی است (هرچندکه ریحانه‌وپدرش‌رانیزامروز بدرستی‌نمی‌شناسیم) نشان میدهدکه التفهیم ابتدابفارسی تألیف شده و سپس مؤلف خودآن را بعربی گردانده است . رك . مقدمه استاد جلال‌الدین همایی برکتاب التفهیم

در کتاب ارزشمند دیگری که در زمینه پزشکی و داروشناسی بنـام «الصیدلة» یا «الصیدنة فی‌الطب» نگاشته است، ابوریحان اعلام میدارد که عمرش از ۸۰ سال درگذشته است (۱) . بااین ترتیب وی باید کمی دیرتر ازسال ٤٤٠ هجری قمری که معمولا بعنوال سال درگذشت وی ذکر شده است ، یعنی در سال ٤٤٢ ، احتمالا درغزنین، روی در نقاب خاك کشیده باشد (۲) .

بسیاری شماره آثار بیرونی ، که جز برهمت بلند وکار مداوم وی دلالت نمی‌تواند داشت براستی شگفت‌آور است ؛ ابوریحان در سال ٤٢٧ هجری قمری ، بدرخواست دوستی ، فهرستی بر آثار محمدبن زکریای رازی ، با عنوان « رسالة فی فهرست کتب محمدبن زکریا الرازی » می‌نویسد و در ذیل آن ، نیز بدرخواست همان دوست ، فهرست آثار خود را نیز تا آن تاریخ بدست میدهد (۳)

این رساله که نخستین‌بار درسال ۱۹۳٦ بوسیله پل‌کراوس (٤) درپاریس بطبع رسیده است نشان میدهد که ابوریحان تاآن تاریخ بررویهم ۱۰۳ اثر کامل و ۱۰ اثر پایان نیافته داشته است و همچنین معلوم میدارد کـه ابونصر عراق استاد بیرونی و ابوسهل مسیحی پزشك مشهور ، هر یك ۱۲ اثر (۵) و ابوعلی

۱ـ رك . L,Encyclopedie de l,Islam.T,1,P.1274

۲ـ همان مصدر

۳ـ از آنجاکه این فهرست قسمت اعظم آثار و تألیفات ابوریحان را در بردارد و کهن‌ترین سندی است که بیرونی خود نام و موضوع آثارش را درآن یادکرده است بنقل آن در بخش عربی این‌کتاب ، از روی متنی‌که ادوارد زاخائو در مقدمه‌یی که برالاثارالباقیة نوشته آورده است مبادرت گردید . رك . حاشیه ص۱۵ تا ۲۱ این‌کتاب

۴ـ P.Kraus

۵ـ رك . حاشیه ص۲۰ این‌کتاب

الحسن بن علی جیلی یك اثر بنام ابوریحان نوشته‌اند (۱) و این بهترین نشانه منزلت ممتازی است که استاد ابوریحان در نظر دانشمندان روزگار خویش داشته است .

اگر آثاری راکه پس از آن تاریخ نوشته است در نظر بگیریم وهمچنین آنچه راکه هنگام نوشتن فهرست مذکور فراموش کرده است و از جمله ۱۵ کتابی راکه حاجی خلیفه درکشف‌الظنون بوی نسبت داده‌است (۲) نیز بحساب آوریم مجموعه آثار استاد ابوریحان بررویهم به ۱۸۰ کتاب ورساله باحجمهای متفاوت و در موضوعات گوناگون میرسد .

گذشته از کتابهای چاپ شده‌یی که یاد کردیم چهاررساله درریاضی و نجوم از بیرونی در سال ۱۹٤۸ در حیدرآباد ، در یك جلد چاپ شده و باز درهمان سال و درهمان شهر کتابی تحت عنوان «رسائل ابی‌نصر إلی البیرونی» بطبع رسیده است که پانزده رساله در ریاضی از ابونصر را در بر دارد ؛ این مجموعه رسالاتی راکه ابونصر بنام بیرونی نوشته است نیز شامل است .

هم اکنون، از ابوریحان بیش از بیست نسخه خطی درکتابخانه های جهان موجوداست که یا اساساً بطبع نرسیده ویابطور کامل چاپ نشده است(۳) واز آنجمله است کتاب « تحدید نهایات الأماکن لتصحیح مسافات المساکن » و کتاب «استیعاب الوجوه الممکنة فی صنعة الاسطرلاب» و «ترجمة کتاب با تنجلی فی الخلاص من الارتباك » (٤)

۱ـ رك . حاشیه ص ۲۱ این کتاب

۲ـ رك . نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ، دکترنصر، ص ۱۴۹ .

۳ـ رك . L,Encyclopedie de l,Islam.T,1,P.1274

۴ـ رك . همان مصدر

شخصیت ابوریحان

باآگاهی‌هایی که از داستان زندگی ابوریحان در دست داریم و باآنچه که در باره او ، از دیرباز در کتابهـای مختلف نوشته‌اند و همچنین با آثار ارزشمندی که از وی برجای مانده است میتوانیم ابوریحان را ـ برای آنکه جوانب مختلف شخصیت وی را بهتر بشناسیم ـ ازچندنظر مورد بررسی قراردهیم.

از آنجاکه ابوریحان، دست کم در دوره‌یی از زندگی خود نقشی سیاسی بعهده داشته است ، ابتدا بشناختن ابوریحان سیاستمدار و روشن ساختن نقش سیاسی وی میپردازیم و در پایان این بحث میکوشیم تا سبب پرداختن وی را بکار سیاست نیز ، تاآنجاکه ممکن است روشن سازیم ؛ سپس ، باختصاراز ابوریحان ادیب و شاعر سخن خواهیم گفت و پس ازآن از ابوریحان عالم و فیلسوف و شخصیت علمی وی و نوآوری های شگفت انگیزی که در عالم دانش کرده است گفتگو میکنیم و درپایان، میکوشیم تا چهره معنوی ابوریحان انسان را در برابر دیده دل خوانندگان صاحبدل قرار دهیم .

۱ـ ابوریحان سیاستمدار

در فهرست آثار ابوریحان به کتابی با عنوان « المسامرة فـی أخبار خوارزم » (۱) برمیخوریم که بدبختانه بر جای نمانده است اما ابوالفضل بیهقی(۲) چند فصلی ازآن کتاب را خوشبختانه در پایان تاریخ مشهورخویش

۱ـ رك . معجم‌الادباء ج ۱۸ ص۱۸۵

۲ـ خـواجه ابوالفضل محمدبن‌حسین بیهقی از بزرگترین نویسندگان قرن پنجم هجـری و دبیر فاضل و مشهور دربار غزنویان است وی در سال ۳۸۵ در قریه حارث‌آباد بیهق تولد یافته و پس از کسب دانش در نیشابور ، بدیوان رسائل محمود غـزنوی ، که ریاست‌آن باکاتب مشهور خواجه ابونصر مشکان بوده ، راه یافته است . بیهقی از آن پس همچنان با سمت دبیری درخدمت پادشاهان غزنوی باقی مانده و در زمان عزالدوله عبدالرشید

بقیه پاورقی درصفحه بعد

آورده است (۱)

از همین مختصر چنین برمی‌آیدکه ابوریحان، در دستگاه خوارزمشاه، گذشته از شخصیت و مقـام علمی ، از لحاظ سیاسی نیز ، اگر چه عنوانی رسمی همچون وزیر وغیره نداشته، نقشی پراهمیت وحساس بعهده داشته‌است:

میدانیم که محمود غزنوی همواره در پی آن بوده است که خاندانهای حاکم ایرانی و از جمله خوارزمشاهیان را براندازد (۲) و سرزمین آنان را به پهنه‌گسترده قلمرو خویش بیفزاید .

ابوریحان‌که هفت سال در دربار ابوالعباس مأمون‌بن مأمون‌خوارزمشاه بوده و وقایع پایان کار وی و سلسله مأمونیان را بچشم دیده است ، با دقتی خاص‌مارا از آنچه درآن دیار رفته‌است آگاه میسازدوازخلال همین نوشته‌های

که در سال ۴۴۰ هجـری بسلطنت رسیده است ، بریاست دیوان رسائل منصوب شده امـا پس از چنـدی در اثر بدگوئی حاسدان معزول و محبوس گشته است وپس از رهائی از زندان گوشه‌نشینی گزیده و سرانجام در سال ۴۷۰ھ چشم ازجهان فروبسته است. مهمترین اثر بیهقی تاریخ مشهور او است بنام « تاریخ آل سبکتکین » که به سی‌جلد بالغ میشده و بدبختانه تنها قسمتی ازآن بنام «تاریخ مسعودی» باقی‌مانده است‌که به تاریخ بیهقی مشهور است . روش تاریخ نویسی بیهقی ودقتی که در نقل حوادث و استفاده از اسناد و مـدارك تاریخی و ذکر جزئیات امور وهمچنین اشاراتی‌که ، باقتضای‌کلام بحوادث روزگاران پیش ازغزنویان دارد ،کتاب وی را از ارزش‌علمی‌بسیاری‌برخوردار‌کرده وآنرا بصورت یکی از مهمترین مآخـذ تحقیق در باره مسائل تاریخی و ادبی و اجتماعی روزگار غزنویان و دوره هـای پیش از آنان درآورده است . گذشته از این ، تاریخ بیهقی از نظر ادبی نیز ارزشی‌کم مانند دارد چه نثر دلنشین وی از لحاظ شیوه نگارش و قدرت تعبیر از بهترین نمونه های نثرفارسی در روزگاران گذشته است . رك. تاریخ ادبیات درایران ، دکترصفا ، ج۲ ص۸۹۰-۸۹۲

۱ــ رك . تاریخ بیهقی،چاپ دانشکده ادبیات مشهد ص۹۰۶ ببعد

۲ــ رك . فرخی‌سیستانی ، دکترغلامحسین یوسفی ، ص۱۸۰ ببعد

او است که به نقش خطیر سیاسی وی پی می‌بریم .

بیرونی اندیشناکی خوارزمشاه را از محمود بدینگونه بیان میدارد:

« ... و ابوالعباس دل امیرمحمود در همه چیزها نگاهداشتی و از حد گذشته تواضع نمودی ..» (۱) سپس بادقت شرح میدهد که خوارزمشاه چگونه هنگام شرابخواری ، در حضور همگان بر پای میخاسته و همه را بر پای میداشته تا با یاد امیرمحمود باده بنوشند (۲) ؛ بیرونی سپس بعنوان نمونه‌یی دیگر از این بیمناکی نقل میکند که القادربالله خلیفه عباسی (۳۸۱-۴۲۲ه) برای خوارزمشاه بوسیله سالار حاجیان ، فرمان پادشاهی وخلعت ولوائی فرستاده بود با لقب «عین‌الدولة» و «زین‌الملة» . خوارزمشاه از بیم آنکه محمود از آن آگاه شود وبرنجد مرا به‌پیشباز رسول‌فرستادتاازنیمه راه خلعت وفرمان خلیفه را پوشیده از او بستانم تا هیچکس ازآن آگاه نشود (۳) ومی‌افزاید: «...آن

۱ـ رك . تاریخ بیهقی ، چاپ دانشگاه مشهد ، ص۹۰۷

۲ـ «.. چون بشراب نشستی‌آن روز با نامتراولیا وحشم و ندیمان و فرزندان‌امیران که بر درگاه او بودند از سامانیان و دیگران بخواندی و فرمودی تا رسولان را که از اطراف‌آمده بودند باحترام بخواندندی بنشاندندی ، **چون قدح سوم بدست گرفتی بر پای خاستی بر یاد امیرمحمود و پس‌بنشستی وهمه قوم بر پای می‌بودندی** و یکان یکان را میفرمودی و زمین بوسه می‌دادندی و می‌ایستادندی تا همه فارغ شدندی پس امیر اشارت‌کردی تا بنشستندی و خادمی بیامدی وصلت مغنیان براثر وی می‌آوردندی هر یکی را اسبی قیمتی و جامه‌یی وکیسه‌یی درو ده هزار درم.» رك . تاریخ بیهقی ، چاپ دانشگاه مشهد ص۹۰۷-۹۰۸

۳ـ نص داستان در تاریخ بیهقی چاپ مشهد ، ص۹۰۸ چنین است : «.. ونیز جانب امیرمحمود تا بدان جایگاه نگاه داشت که امیرالمومنین القادر بالله رحمةالله علیه وی را خلعت و عهد ولوا و لقب فرستاد عین‌الدولة و زین‌الملة بدست حسین سالار حاجیان ، و خوارزمشاه اندیشید که نباید امیرمحمود بیازارد وبحثی نهد وگوید چرا بی‌وساطت و شفاعت من او خلعت ستاند از خلیفت واین‌کرامت و مزیت یابد بهرحال از بهرمجاملت مرا پیشباز رسول فرستاد تا نیمه بیابان ...»

کرامت در سرّ از وی فراستدم و بخوارزم آوردم و بدو سپردم و فرمود تا آنها را پنهان کردند و تا لطف حال برجای بود آشکارا نکردند و پس از آن چون آنوقت که میبایست این خاندان برافتد آشکارا کردند تابود آنچه بود ورفت آنچه رفت» (۱)

از این داستان پیداست که ابوریحان تاچه پایه مورد اعتماد خوارزمشاه بوده است. چه، رازی بدین اهمیت را با وی درمیان گذاردن و او را به‌پیشباز رسول خلیفه فرستادن جـز نشانه کمال اعتماد شاه نمی‌تواند بود و نیز مدلل میدارد که ابوریحان ، گذشته از کار دانش، بامر سیاست نیز می‌پرداخته است

باز در تاریخ بیهقی ، بنقل از ابوریحـان ، میخوانیم (۲) که روزی محمود غزنوی بدنبال همان بهانه جویی‌ها ، باوزیر خویش احمدحسن میمندی میگوید که خوارزمشاه با ما راست نیست! و وزیر اجازه میخواهد تا یکرنگی خوارزمشاه را با سلطان بیازماید . وی طریقه آزمایش را نیز عرضه میدارد و سلطان پیشنهاد او را می‌پذیرد ، وزیر بخوارزمشاه پیام میفرستد که «اگر میخواهد که طمع جهانیان از ولایت وی بریده گردد چرا بنام سلطان خطبه نکنند؟» و می افزاید که این پیام را برسبیل خیراندیشی و اندرز میفرستد و

۱ـ رك ، تاریخ بیهقی ، ص۹۰۸

۲ـ «.. و وزیراحمدحسن را گفت : مینماید که این مرد با ما راست نیست که سخن براین جمله میگوید وزیر گفت من چیزی پیش ایشان نهم که ازآن مقرر گردد که این قوم با ما راستند یا نه ، وگفت که چه خواهد کرد ، و امیر را خوش آمد ؛ و رسول خوارزمشاه را در سر گفت که این‌چه اندیشه‌های بیهوده است که خداوند ترا میافتد و این چه خیالهاست که می‌بندد که در معنی فرستادن رسول نزدیك خانان سخن براین جمله میگوید و تهمتی بیهوده سوی خویش راه میدهد که سلطان ما ازآن‌سخت دوراست اگرمیخواهد که ازاینهمه قال و قیل برهد وطمع‌جهانیان ازولایت وی‌بریده گردد چرا بنام سلطان خطبه نکند تا از اینهمه بیاساید. وحقاکه این من از خویشتن‌میگویم برسبیل نصیحت ازجهت نفی‌تهمت باو، وسلطان ازاین که من میگویم آگاه نیست ومرا مثال نداده است» رك. تاریخ بیهقی ص ۹۱۰-۹۱۱

سلطان از آن آگاه نیست !

ابوریحان حکایت میکند که هنگامیکه این پیام بخوارزمشاه رسید « مرا بخواند و خالی کرد و آنچه وزیر أحمدحسن گفته بود در این باب بامن بگفت گفتم این حدیث را فراموش کن، «أعرض عن العواء و لاتسمعها ، فما کل خطاب محوج إلی جواب» ، وسخن وزیر بغنیمت گیر که گفته است « این بتبرع میگوید و بر راه نصیحت و خداوندش از این خبر ندارد » و این حدیث را پنهان دار و با کس مگوی که سخت بد بود . گفت این چیست که میگویی ؟ چنین سخن ، وی بی فرمان امیر نگفته باشد و با چون محمود مرد چنین بازی کی رود؟ و اندیشم که اگر بطوع خطبه نکنم الزام کند تا کرده آید.. » (۱) چنانکه میدانیم ابوریحان نیك میدانسته است که سرداران و سپاهیان خوارزمشاه سخن خطبه بنام محمود کردن را برنمی‌تابند و اگر بشنوند بر امیر خویش خواهند شورید و عاقبت هم چنان شد (۲)

این واقعه بصورتی روشنتر نشان میدهد که خوارزمشاه در امور مهم سیاسی همواره با ابوریحان خلوت و مشورت میکرده و در دشواریها از او چاره میخواسته است هرچند که در مورد خطبه بنام محمود کردن رأی صائب

۱ـ رك . تاریخ بیهقی چاپ دانشگاه مشهد ص۹۱۱

۲ـ درباره طغیان سرداران سپاه خوارزمشاه در تاریخ بیهقی چنین میخوانیم :
«... پس اعیان لشکر را گردکرد ومقدمان رعیت را و باز نمود که وی درباب خطبه چه خواهد کرد که اگر کرده نیاید بترسد برخویشتن و ایشان وآن نواحی . همگان خروش کردند وگفتند بهیچ حال رضا ندهیم ، و بیرون آمدند و علمها بگشادند و سلاحها برهنه کردند و دشنام زشت دادند او را ، وبسیار جهد و مدارا بایست کرد تا بیارامیدند ، وسبب آرام آن بود که گفتند ما شمایان را می‌آزمودیم دراین باب تا نیت و دلهای شما ما رامعلوم گردد ..» رك . تاریخ بیهقی ، چاپ دانشگاه مشهد ص ۹۱۲ ـ ۹۱۳

وی را نادیده گرفته است (۱)

بالاخره در وقایعی که منجر به از میان رفتن خوارزمشاه و برافتادن حکومت آن خاندان میگردد ابوریحان را می‌بینیم که همچنان راز دار و مشاور خوارزمشاه است (۲) ؛ وی از سویی سپاهیان رنجیده خوارزمشاه را که بهیچ روی نمی‌خواسته‌اند خطبه‌بنام محمود خوانده شود، واز اینروی برخوارزمشاه طغیان کرده‌اند، دلجویی میکند (۳) و ازسوی دیگر ، آنگاه که دشمنی محمود مسلم میگردد ، میکوشد تا میان خوارزمشاه و خانان ترکستان پیمانی بوجود آورد تابتوانند در برابر محمود پایداری کنند (٤)

۱ـ ابوریحان خود در این باره بی‌پرده خوارزمشاه را سرزنش میکند :
«خوارزمشاه گفت دیدی که چه رفت ؟ اینها که باشند که چنین دست‌درازی کنند بر خداوند ؟ گفتم خداوند را گفتم صواب نیست در این باب شروع کردن ، اکنون چون کرده آمد تمام باید کرد تاآب بنشود..» رك . تاریخ بیهقی ، چاپ دانشگاه مشهد ص ۹۱۳

۲ـ رك . تاریخ بیهقی ص۹۱۳ ، ۹۱۴

۳ـ در این باره ابوریحان نقل میکند که خوارزمشاه گفت « بر گرد این قوم برآی تاچه توانی کردن برگشتم وبسخن‌سیم و زرگردنهای محتشمترانشان نرم کردم تا رضا دادند و روی در خاك آستانه مالیدند و بگریستند وبگفتند که خطا کردند» رك. تاریخ‌بیهقی ، ص ۹۱۴-۹۱۳

۴ـ ابوریحان در این باره چنین حکایت می‌کند : «خوارزمشاه مرا بخواند و خالی کرد وگفت این کار قرار نخواهد گرفت .گفتم همچنین است . گفت پس روی چیست ؟ گفتم حالی امیرمحمود از دست بشد و ترسم که‌کار بشمشیر افتد ...گفتم یك چیز دیگراست مهمتر از همه ، اگر فرمان باشد بگویم ، گفت بگوی .گفتم خانان ترکستان از خداوند آزرده‌اند و با امیرمحمود دوست ، و بایك خصم دشوار برتوان‌آمد، چون هر دو دست یکی کنندکار درازگردد ، خانان را بدست بایدآورد که امروز بر در اوزکند بجنك مشغولند و جهد باید کرد تا بتوسط خداوند میان خان و ایلك صلحی بیفتد ، که ایشان از این منت دارند و صلح کنند و نیك سود دارد و چون صلح کردند هرگز خلاف نکنند و چون باهتمام خداوند میان خان و ایلك صلح افتد ایشان از خداوند منت دارند... » رك . تاریخ بیهقی ص ۹۱۳-۹۱۵

راست است که اینهمه تدبیرها سرانجام بی‌نتیجه میماند و خوارزمشاه جان بر سر این کار می‌بازد و سرزمینش بدست محمود غزنوی می‌افتد اما این پیش‌آمدها ، نشان دهنده این حقیقت است که ابوریحان در سیاست خوارزم و کشورداری خوارزمشاه نقشی‌خطیر بعهده داشته ومؤثرترین وفعالترین‌مخالف سیاسی محمود غزنوی در آن دستگاه بوده است .

بیهوده نیست اگر محمود غزنوی ، پس از فتح خوارزم ، ابوریحان را دستگیر میکند و همراه دیگر زندانیان واسیران بغزنین میفرستد(۱) و در آنجا ، بنابروایت یاقوت ، ابتدا استادش عبدالصمد الاول‌بن عبدالصمدالحکیم را بتهمت کفر و قرمطی بودن ، از میان برمیدارد و سپس آهنك کشتن وی را میکند! یاقوت نقل میکندکه تنها پایمردی وشفاعت دیگران وبیان اینکه‌بیرونی منجمی بزرك است و سلطان را بکار تواند آمد ، مایه رهایی وی از چنگال مرك میگردد (۲) .

اگر بپذیریم‌که میان افسانه‌هایی‌که درباره زندگانی و شخصیت‌بزرگان پرداخته می‌آید ، و حقیقت زندگی و شخصیت آنان ، همواره تناسب و رابطه‌یی موجود است ، روایت‌های‌افسانه‌آمیز نظامی عروضی در مورد رفتار محمود غزنوی با ابوریحان نیز نشانه‌کینه‌توزی سلطان خودکامه غزنوی با این دانشمند بیمانند تواند بود :

۱ـ رك . Encyclopedie de l,Islam,T.1,P.1274

۲ـ روایت یاقوت چنین است : « وحدثنی بعض أهل الفضل أن السبب فی مصیره الی غزنة أن السلطان محموداً لمااستولی علی خوارزم قبض علیه (ای علی ابی‌ریحان) و علی استاذه عبدالصمد الاول ابن‌عبدالصمد الحکیم و اتهمه بالقرمطة والکفر فأذاقه الحمام و هم أن یلحق بهأباالریحان‌فساعده فسحة الاجل بسبب خلصه من‌القتل وقیل له : انه امام وقته فی علم‌النجوم و ان‌الملوك‌لایستغنون عن‌مثله ...» رك . معجم‌الادباء ج ۱۷ ص۱۸۶

در چهارمقاله آمده است که محمود پس از آنکه از پاسخهای درستی که بیرونی به پرسشهای وی میدهد بر او خشم میگیرد و فرمان میدهد تا وی را از بام قصر فرو افکنند(۱) . شاید بیم از همین کینه جویی‌ها ابوریحان را بر آن داشته است تا پادشاهان را اینگونه اندرز دهد :

« مـرتبه و خطر پادشاهـان از آن بزرگتر است که مجازات و مکافات

۱ــ در چهـار مقاله چنین‌آمده است : « آورده‌اند که یمین‌الدوله سلطان محمـودبن ناصرالدین بشهر غزنین بر بالای‌کوشکی در چهار دری نشسته بود بباغ هزار درخت ،روی به ابوریحان‌کرد وگفت :

من از این چهار در ازکدام در بیرون خواهم رفت ؟ حکم‌کن و اختیار آن بر پاره کاغذنویس و در زیرنهالی من نه ، و این هرچهار در راه گذر داشت. ابوریحان اسطرلاب خواست و ارتفاع بگرفت وطالع درست‌کرد وساعتی اندیشه نمود و برپاره‌ای‌کاغذ بنوشت، و در زیر نهالی نهاد ، محمودگفت : حکم‌کردی؟ گفت : کردم . محمود بفرمود تاکننده و تیشه وبیل‌آوردند ، بردیواری‌که بجانب مشرق‌است دری پنجمین بکندند و ازآن دربیرون رفت ، وگفت‌آن‌کاغذ پاره بیاوردند ، بوریحان بروی نوشته بودکه «ازاین چهار در هیچ بیرون نشود ، بردیوار مشرق دری‌کنند و ازآن در بیرون شود ! **محمود چون بخواند طیره گشت وگفت او را بمیان سرای فرو اندازند** ، چنان کردند ، مگربا بام میانگین دامی بسته بود بوریحان برآن دام‌آمد ، و دام بدرید ، وآهسته بزمین فرود آمد چنانکه بر وی افکار نشد . محمودگفت : او را برآرید ! برآوردندگفت : یا بوریحان! از این حال باری ندانسته بودی ، گفت :

ای خداوند ، دانسته بودم . گفت : دلیل کو ؟ غلام را آواز داد و تقویم از غلام بستد و تحویل خویش از میان تقویم بیرون‌کرد ، در احکام‌آن روز نوشته بود که مرا از جای بلند بیندازند ، ولیکن بسلامت بزمین‌آیم و تندرست برخیزم . این سخن نیز موافق رأی محمود نیامد ، طیره‌گشت‌گفت : او را بقلعه برید و بازدارید ، او را بقلعه غزنین‌باز داشتند وشش ماه درآن حبس بماند» رك . چهارمقاله ، باهتمام دکترمعین ص ۹۱ــ۹۳، و نیز برای‌آگاهی از دیگر افسانه‌های چهارمقاله در مورد رفتار محمود با ابوریحان رك . همان‌کتاب ص ۹۳ ببعد .

بانتقام کنند» (۱)

شاید این پرسش پیش آید کـه دانشمندی همچون ابوریحـان که همه زندگانی خود را براستی وقف دانش کرده است ، مردی که درخواست شمس‌المعالی قابوس‌بن‌وشمگیر را ـ که میخواسته است تمامی امور مملکت خویش را بوی واگذارد (۲) ـ از سر بی‌نیازی و وارستگی نپذیرفته است ، از چه روی ، در خوارزم ، تا بدین درجه ، درکار سیاست مداخله‌کرده است؟

نخستین سببی که برای پرداختن ابوریحان بکار سیاست خوارزم بنظر میرسد حقشناسی وی در برابر نیکوییها و مهربانی‌های خوارزمشاه است :

چنانکه میدانیم ابوالحسن‌علی‌بن‌مأمون خوارزمشاه وپس ازوی برادرش ابوالعباس ، و وزیر آنان ابوالحسین‌سهلی (یا سهیلی) ، مردمی دانش پرور بوده‌اند و در دستگاد خویش دانشمندان بلند پایه‌یی چون ابوعلی‌سینا وابوسهل مسیحی و ابونصر عراق و ابوریحان را نگاهداری و حمایت میکرده‌اند (۳) ؛ ابوریحان از چگونگی رفتار ابوالعباس مأمون‌بن‌مأمون خوارزمشاه با خویش نقل میکند که :

«روزی خوارزمشاه سوار شده شراب میخورد، نزدیك حجره من رسید

۱ـ رك. ترجمه تتمه صوان الحکمة ، ضمیمه سال پنجم‌مجله مهر، تهران ، ۱۳۱۸، ذیل : الحکیم ابوریحان ، و نیز رك. مقدمه زاخائو بر «الاثارالباقیة» ص L۱۱

۲ـ در این باره ، در معجم‌الادباء چنین‌آمده است : «... و اما نباهة قدره و جلالة خطره عندالملوك فقد بلغنی من حظوظه لدیهم أن شمس‌المعالی قابوس‌بن وشمگیر أراد أن یستخلصه لصحبته و یرتبطه فی داره علی أن تکون له الامرة (الولایة) المطاعة فی جمیع ما یحویه ملکه و یشتمل علیه ملکه فأبی علیه و لم یطاوعه و لما سمحت قرونته بمثل ذلك أسکنه فی داره و أنزله معه فی قصره ...» رك . معجم‌الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۲

۳ـ رك . تاریخ‌ادبیات در ایران ، دکتر ذبیح‌اله صفا ، ج۱ ص۲۰۷ـ۲۰۸ و نیز رك . چهارمقاله ، باهتمام دکترمعین ، ص ۱۱۸

فرمود تا مرا بخواندند. دیرتر رسیدم بدو، اسب براند تا در حجره نوبت من و خواست که می فرود آید زمین بوس کردم و سوگندگران دادم تا فرود نیامد وگفت:

العلم من أشرف الولایات   یأتیه كلّ الوری ولایاتی

پس گفت: لولا الرسوم الدنیاویة لما استدعیتك، فالعلم یعلو و لایُعلی.» (۱)

این‌داستان، بروشنی، نشان میدهد که خوارزمشاه تا چه پایه دانشمندان را گرامی میداشته و نسبت به ابوریحان تا چه میزان مهربانی و محبت داشته است.

با این ترتیب، از انسانی چون ابوریحان بسیار طبیعی است که بآیین جوانمردان گام بردارد و در روز تنك از یاری حامی بزرگوار ودانش دوست خویش سر بازنزند و درپی چاره کار وی باشد.

از این گذشته، این انگیزه منطقی نیز می‌تواند کوشش‌های سیاسی ابوریحان را در خوارزم سبب شده باشد که حکیم و دانشمندی همچون وی طبیعتاً نمی‌توانسته است با حکومت محمود غزنوی و سیاست مذهبی او که

۱ـ رك. تاریخ بیهقی، چاپ دانشگاه مشهد ص ۹۰۹؛ یاقوت حموی نیز قول ابوریحان را بدینگونه نقل کرده است: «.. و دخل خوارزمشاه یوماً و هو یشرب علی ظهرالدابة فأمر باستدعائه (أی باستدعاء أبی‌الریحان) من‌الحجرة فأبطأ قلیلا، فتصورالامر علی غیر صورته و ثنی‌العنان نحوه و رام النزول فسبقه ابوالریحان الی البروز و ناشده‌الله الا یفعل فتمثل خوارزمشاه:

العلم من أشرف الولایات   یأتیه كل الوری ولایاتی

ثم قال: لولاالرسوم الدنیاویة لما استدعیتك فالعلم یعلو و لایعلی و كأنه سمع هذا فی‌أخبارالمعتضد..» رك. معجم‌الادباء ج ۱۷ ص ۱۸۳

ناچار با سختگیری و تعصب و کینه‌توزی با دانشمندان و دشمنی باعلوم عقلی همراه بوده است (۱) ، سر ستیز و دشمنی نداشته باشد .

ابوریحان ، بچشم خویش میدیده است که چگونه محمود در پی آنست که فیلسوف بزرك ، بوعلـی‌سینا را بچنك آورد و ای بسا که وی را بتهمت بد دینی بردار کند (۲) و نیز بیگمان می‌توانسته است شهادت دانشمندانی چون عبدالصمدالاول (۳) و ابن‌فورك (٤) و ابونصر عراق (۵) و ابوعبداله فقیه

۱ــ رك . فرخی سیستانی ، دکتر غلامحسین یوسفی ، ص ۱۷۰ ببعد

۲ــ رك . جشن‌نامه ابن‌سینا ج۱ ص۱۷ و نیز رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکترصفا ، ج۱ ص ۳۰۴

۳ــ رك . معجم‌الادباء ج۱۷ ص۱۸۶

۴ــ ابوبکر محمدبن‌حسن‌بن فورك اصفهانی، ملقب به‌استاد ازبزرگترین ادیبان و فقیهان و متکلمان و محدثان قرن چهارم است . وی در عراق بتحصیل دانش پرداخته و سپس چندی در ری اقامت گزیده و از آنجا ، بخواهش اهل نیشابور بآن دیار رفته و درآن شهر مدرسه‌یی برای‌خویش بناکرده و بتدریس دانش مشغول شده است . این دانشمند نزدیك، بصد کتاب در اصول فقه و دین و معانی قرآن تألیف کرده و شاگردان بسیاری را در اصول وکلام تربیت‌کرده است . ابن‌فورك درپایان عمر ، بدعوت اهل غزنه بآن شهر سفرکرده و درآنجا باکرامیة بمناظره ومجادله پرداخته و دربازگشت، بنابروایت ابن‌تغری ، بفرمان محمود غزنوی مسموم‌گشته و درگذشته است (۴۰۶هـ) . رك . النجوم الزاهرة ج ۴ ص۲۴۰ و نیز رك . وفیات الاعیان ج۳ ص۴۰۲

۵ــ درباره چگونگی کشته شدن ابونصر عراق ، ریاضی‌دان مشهور و استادابوریحان، بدست محمود ، تاج‌الدین السبکی بنقل از صاحب الکافی حکایت میکندکه محمودغزنوی، پس ازکشته شدن خوارزمشاه ، هنگامیکه بفتح خوارزم میرفته است با همراهان وسپاهیانش در روستائی ، نزدیك گرگانج ، بخانه ابونصرعراق فرودآمده و وی که دستگاهی و ثروتی داشته با بلند نظری از میهمانان ناخوانده‌اش پذیرائی کرده است . با اینهمه سلطان بی‌گذشت غزنوی فرمان داده است تا میـزبان دانشمند و بزرگوارش را با دیگر متهمان به « سوءالاعتقاد » بردارکنند (۴۰۸هجری) . رك . طبقات الشافعیة الکبری ج۴ ص۳۰۶

معصومی (۱) را ، که همه از دست بخون آغشته محمود شربت مرگ نوشیدند، از پیش بروشنی ببیند ؛ از اینروی تا آنجا که از دستش بر می‌آمده کوشیده است تا شاید خوارزم را از بلای تعصب قومی که بفرموده فردوسی بزرگ ،

زیان کسان از پی سود خویش　　　بجویند و دین اندر آرند پیش

مصون نگاه دارد. راست است که ابوریحان ، پس‌ازفتح خوارزم، سرانجام از چنگال قهر محمود جان بدربرده وسالیان درازی در دربار غزنویان زیسته و طی آن بمطالعه و تألیف کتب مشغول بوده است ، اما ، همانگونه که استاد دکترصفا درکتاب «تاریخ علوم عقلی درتمدن اسلامی» توضیح داده‌اند ، شك نیست که بیرونی در روزگار سراسر تعصب محمود ازآزادی کافی برای بیان اندیشه‌ها و عقاید خویش برخوردار نبوده است (۲)

۲ ـ ابوریحان ادیب

باآنکه ابوریحان ؛ بمعنی درست کلمه ، «مردعلم» بوده وبیشتر آثارش را در زمینه های ریاضی و نجوم و هیئت و معدن شناسی و داروشناسی... و غیره نوشته است، معهذا با شعر وادب نیزچندان بیگانه نبوده وهمانند بسیاری از عالمان واندیشمندان روزگاران گذشته ازآنچه که «علوم‌ادبی» نامیده میشده بهره کافی داشته است .

۱ـ ابوعبداله محمد (یا أحمد) بن احمدالفقیه المعصومی از مشهورترین و بقولی برترین شاگردان ابن‌سینا است محبت وعنایت ابوعلی نسبت باین شاگرد خود تا بدانجا بوده که «رسالةالعشق» خود را بنام او نوشته و نیز مشهور است که درباره وی گفته است : « هو منی بمنزلة ارسطو من افلاطن » . این دانشمند ، چنانکه نوشته‌اند از جمله کسانی است که بفرمان محمودغزنوی شربت مرگ نوشیده‌اند. رك . فرخی‌سیستانی ، دکترغلامحسین یوسفی ص ۳۱۱ـ۳۱۲ و نیز رك . تاریخ علوم عقلی ، دکتر ذبیح‌اله صفا ج۱ ص۲۹۱

۲ـ رك . تاریخ علوم عقلی ، ج۱ ص ۲۸۲

بنظر میرسد که آشنائی ابوریحان بازبانهای متعدد فارسی و عربی و سانسکریت و عبری و سریانی (۱) وی را از شمی لغوی و ذوقی ادبی برخوردار کرده و موجب آمده است که در ترجمه‌ها و تألیفاتش ، از لحاظ شیوه تعبیر اسلوبی استوار و از لحاظ انتخاب کلمات دقتی استادانه داشته باشد .

شیوه نگارش بیرونی در دو زبان عربی و فارسی دقیق و استوار و در عین حال ساده و بی پیرایه است و این نکته بویژه در خور گفتن است که اسلوب ساده و بی‌پیرایه و روشن او در نثر عربی ، با شیوه معمول ادیبان روزگارش ، که غالباً به پیروی از پسند ناساز زمان ، گرفتار آرایش‌های لفظی و سجع بافی و صنعت پردازی بوده‌اند ، بکلی متفاوت است بگونه‌یی که انسان - بقول «گاستون ویه» (۲) - از اینکه ابوریحان روشن و بی‌پیرایه نویس همدوره عتبی (۳) نویسنده متکلف و صنعت پرداز مشهور بوده است در شگفت میشود (٤)

۱ـ رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ، دهخدا ص ۱۹

۲ـ Caston wiet , Professeur Honoraire au collège do France

۳ـ ابونصر محمدبن عبدالجبار عتبی متوفی بسال ۴۲۷ هجری از ادیبان و تاریخ نویسان مشهور نیمه دوم قرن چهارم و اوائل قرن پنجم هجری است . وی در جوانی، از زادگاهش ، ری بخراسان رفته و چندی درخدمت ناصرالدین سبکتکین و ابوعلی سیمجور بسر برده و ازآن پس نیز در دستگاه غزنویان باقی مانده است . عتبی کتاب مشهور خود «التاریخ‌الیمینی» را در شرح سلطنت سبکتکین و سلطان محمود ، بنام یمین‌الدوله محمود ، به نثر مصنوع عربی تألیف کرده است ، این کتاب که آگاهی‌های سودمندی را دربردارد ، درآغاز قرن هفتم بوسیله‌ابوالشرف ناصح‌بن ظفرجر فادقانی (گلپایگانی) به نثر مصنوع فارسی ترجمه شده است .

رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکترصفا ، ج۱ ص۶۴۱

۴ـ Introduction à la Littérature Arabe , Paris 1966 , P.182

گذشته از این ، ابوریحان در زمینه‌های ادبی آثار و تألیفاتی دارد که وی را در شمار ادیبان نیز قرار داده است و بیهوده نیست که یاقوت حموی شرح حال وی را در معجم‌الادباء آورده است . یاقوت خود در این باره میگوید : ازآنروی ذکر ابوریحان را درمعجم‌الادبا بمیان آوردم که وی مردی زبانشناس و ادیبی اریب است (۱) . یاقوت سپس برخی از تألیفات ادبی بیرونی راکه خود دیده است نام می‌برد و از آن جمله است کتاب شرح شعر ابی‌تمام و کتاب مختارالأشعار والآثار . (۲)

نوشتن شرح بر شعر شاعر دشوارگوی پیچیده خیالی چون ابوتمام‌نشانه آگاهی‌بسیار ابوریحان از دقائق شعر عربی است همانگونه‌که تألیف گزیده‌یی از شعر و دیگر آثار ادبی نیز کمال ذوق و علاقه وی را بشعر وادب عربی‌نشان میدهد .

ابوریحان گاه ، بمناسبت هایی که پیش می‌آمده و برسبیل تفنن ، خود نیز بعربی شعر میسروده است . از جمله سروده های وی ابیاتی است که در پاسخ شاعری که وی را مدح گفته و از سر تملق ببزرگی نیاگانش اشارت کرده است ، سروده . بیرونی در این ابیات سخت بر شاعر متملق تاخته و نازیدن به نیاگان را بباد ریشخند گرفته و در این راه از بکار بردن کلمات و معانی زشت نیز بعمدا ، خودداری نکرده است :

---

۱ و ۲ ـ «... و انما ذکرته ههنا لان الرجل کان ادیباً اریباً لغویا له تصانیف فی ذلك رأیت أنامنها : کتاب شرح شعر ابی‌تمام رأیته بخطه لم‌یتمه ، کتاب‌التعلل با حالةالوهم فی معانی نظم اولی الفضل ، کتاب تاریخ ایام‌السلطان محمود وأخبار أبیه ، کتاب‌المسامرة فی أخبار خوارزم ، کتاب مختار الاشعار و الاثار ، و اما سائرکتبه فی علم النجوم و الهیئة والمنطق والحکمة فانها تفوق الحصر و رأیت فهرستها فی وقف الجامع بمرو فی‌نحو الستین ورقة بخط مکتنز ...» رك . معجم‌الادبا ج۱۷ ص۱۸۵

يا شاعراً جاءنی يخری علی الأدب وافی ليمدحنی و الذم من ادبی
وجدته ضارطاً فی لحيتی سفهاً كلاّ فلحيته عثنونها ذنبی
و ذاكراً فی قوافی شعره حسبی و لست والله حقا عارفاً نسبی
إذ لست أعرف جدی حق معرفة وكيف أعرف جدی إذ جهلت أبی
إنی ابولهب ، شيخ بلا أدب نعم و والدتی حمالة الحطب
و المدح و الذم عندی يا أباحسن سيان مثل استواء الجد واللعب
فاعفنی عنها و لاتشتغل بهما بالله لاتوقعن مفساك فی التعب (۱)

بنظر بيرونی بزرگی راستين جز از راه كوشش بدست نمی‌آيد :

و من حام حول المجد غير مجاهد ثوی طاعماً للمكرمات و كاسيا
و بات قريرالعين فی ظل راحة و لكنه عن حلة المجد عاريا (۲)

نبايد پنداشت كه بيرونی همواره همان طالب علم نرم خوی و آرام است . چه ، وی در هنگام سختی چابكتر از همگان بسوی نبرد و مرگ می‌شتابد ! :

فلا يغررك منی لين مسٍ تراه فی دروس و اقتباس
فانی أسرع الثقلين طراً إلی خوض الردی فی وقت باس (۳)

درباره روابط خويش با پادشاهان و رفتاری كه با وی داشته‌اند ميگويد:

مضی اكثر الأيام فی ظل نعمة علی رتب فيها علوت كراسيا
فآل عراق قد غذونی بدرهم و منصور منهم قد تولی غراسيا
وشمس المعالی كان يرتاد خدمتی علی نفرة منی و قد كان قاسيا

۱ــ رك . معجم‌الادباء ج۱۷ ص۱۸۹
۲ــ همان كتاب
۳ــ همان كتاب

و أولاد مامون و منهم عليّهم تبدّى بصنع صار للحال آسيا
و آخرهم. مأمون رفّه حالتى و نوّه باسمى ثم رأّس راسيا
و لم ينقبض محمود عنى بنعمة فاغنىوأقنى مغضياً عن مكاسيا
عفا عن جهالاتى و أبدى تكرّما و طرّى بجاه رونقى و لباسيا
عفاءً على دنياى بعد فراقهم و واحزنى إن لم أزر قبل آسيا
ولمامضوا واعتضت منهم عصابة دعوابالتناسى فاغتنمت التناسيا
وخلّفت فى غزنين لحماً كمضغة على وضم للطير للعلم ناسيا
فأبدلت أقواماً و ليسوا كمثلهم معاذالهى أن يكونوا سواسيا
بجهد شأوت الجالبين أئمة فما اقتبسوافى العلم مثل اقتباسيا
فما بركوا للبحث عند معالم ولا احتبسوا فى عقدة كاحتباسيا
فسائل بمقدارى هنوداً بمشرق وبالغرب من قدقاس قدرعماسيا
فلم يثنهم عن شكر جهدى نفاسة بل اعترفوا طرا و عافواانتكاسيا
أبوالفتح فى دنياى مالك ربقتى فهات بذكراه الحميدة كاسيا
فلا زال للدنيا و للدين عامراً ولا زال فيها للغواة مواسيا (۱)

بنظر میرسد که داوری یاقوت حموی که در باره ارزش شعر ابوریحان گفته است ، : «اگر شعر وی درشمار اشعار درجه اول نیست ازچنان‌عالمی، خوب و پسندیده است » (۲) ، چندان دور از حقیقت و انصاف نبوده است.

از جمله آثار ادبی ابوریحان داستانهائی است که ازفارسی بعربی‌ترجمه کرده است. وی‌داستان شادبهر وعین‌الحیوة را باعنوان « قسیم‌السرور وعین‌الحیوة »

۱ـ رك . معجم‌الادباء ج۱۷ ص۱۸۶

۲ـ «... وكان يقول شعراً ان لم‌يكن فى‌الطبقة العليا فانه من مثله حسن ..»
رك . معجم‌الادباء ج۱۷ ص ۱۸۶

و داستان سرخ بت وخنك بت راكه مربوط به دوبت در بامیان بلخ بوده است با عنوان « حدیث صنمی البـامیان » و همچنین چند داستان دیگر را بعـربی برگردانده است . دو داستان شادبهر و عین‌الحیوة و سرخ بت و خنك بت را بنابروایت لباب‌الالباب عنصری شاعر نیز بنظم فارسی درآورده است (۱)

از نوشته‌های فارسی ابوریحان، بدبختانه جز کتاب ارزنده «التفهیم..» چیزی برجای نمانده است اما همین یك اثر توانایی و استادی ابوریحان را در زبان فارسی و بویژه دریافتن برابرهایی روشن و دلپذیر برای ترجمه مصطلحات علمی عربی نشان میدهد . برخی از واژه‌ها و ترکیباتی‌که بیرونی برای ترجمه اصطلاحات علمی عربی برگزیده است چنان روشن و درخور و دلپذیر است‌که فارسی زبان بمحض شنیدن ،آنها را در می‌یابد و می‌پذیرد و ای بسا که با خود پیمان می‌بندد که آنها را از آن پس همواره بکاربرد.برای نمونه می‌توان واژه‌ها و ترکیبات بسیارپهلو بجای کثیرالأضلاع ، بیمارناك بجای علیل‌المزاج ، اندام بریده بجای مقطوع‌الأعضاء ؛ بر سو یا زبرسو بجای سمت فوقانی و بایست‌ها بجای شروط و امور لازم و ضروری را ذکر کرد (۲) جا دارد که بحث ابوریحان ادیب را با نقل چند جمله از مقدمه‌یی که نیکمرد فرزانه استاد جلال‌الدین همایی برکتاب التفهیم نوشته‌اند بپایان بریم :

« ... ابوریحان در دو زبان پارسی و تازی استاد و از همه علما و دانشمندان عصر خویش در انشاء این هر دو زبان زبردست‌تر و فصیح‌تر و بلیغ‌تر بود . احاطه وی بنکات و دقایق زبان فارسی و عربی بحدی است که

۱ــ رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکترصفا ، ج۱ ص۵۶

۲ــ رك . مقدمه استاد جلال‌الدین همایی برکتاب التفهیم

اگر جزاین هیچ فضیلت دیگرنداشت شایسته بودکه او را در ردیف بزرگترین ادبای فارسی و عربی و در عداد برگزیده‌ترین مفاخر ملی خویش شمار کنیم چه جای اینهمه فضل و فضیلت‌که در وجود یگانه وی جمع بود ... » (۱)

۳ـ ابوریحان عالم

ابوریحان بیگمان عمیق‌ترین و مبدع‌ترین دانشمندان اسلامی در قرون وسطی است (۲) . وی در علوم مختلف حساب و هندسه و نجوم و طبیعی و و فیزیك و جغرافیا و تاریخ متبحر بوده و بعنوان شاهد بیطرف آداب و رسوم و معتقدات اقوام و ملل امتیازی خاص دارد و بخاطر همین شایستگی‌ها است که او را از دیرباز و شاید از روزگار حیاتش «استاد» خوانده‌اند (۳)

کتاب التفهیم وی از زمان تألیف تا روزگاران اخیر همواره ازمراجع مهم واساسی‌علوم حساب وهندسه وهیئت ونجوم بوده‌است وغالب دانشمندانی که پس از وی در این زمینه ها کتابی تألیف کرده‌اند از آن تقلید و اقتباس نموده‌اند (٤)

نظامی عروضی مقاله نجوم کتاب مشهور خود ، چهارمقاله، را با نام ابوریحان‌آغاز نموده و شرایط منجمی را ازکتاب التفهیم نقل‌کرده است(۵)

۱ـ رك . همان مصدر ص کو

۲ـ کارل بروکلمان ، خاور شناس مشهور بیرونی را یکی از بزرگترین دانشمندان سراسر دنیای اسلام توصیف‌کرده است . رك . تاریخ الشعوب الاسلامیة ، ج۲ ص ۱۲۱

۳ـ حکیم لبیبی ، شاگرد ابوریحان از وی با عنـوان « الاستاذ الرئیس » نام برده است . رك . مقدمه پرفسور زاخائو بر الاثارالباقیه صLXX

۴ـ رك . مقدمه استاد جلال‌الدین همایی برکتاب التفهیم ص (ما) ببعد

۵ـ «ابوریحان بیرونی درکتاب التفهیم فی صناعة التنجیم باب اول بگوید که مرد نام منجمی را سزاوار نشود تا در چهار علم او را غزارتی نباشد : یکی هندسه دوم حساب ، سوم هیأت ، چهارم احکام ..» رك ، چهارمقاله ، باهتمام دکترمحمد معین ، ص۸۷

کتاب قانون مسعودی وی نیز در نجوم و ریاضی از شهرت و اعتباری بیمانند برخوردارست . یاقوت میگوید که این کتاب بر همه کتابهایی که در نجوم و حساب وجود داشته خط بطلان کشیده است (۱)

پرفسور هانری کُـرْبَن (۲) معتقد است که قانون مسعودی ابوریحان در هیئت و نجوم همپایه قانون ابن‌سینا است در پزشکی ، و اگر این کتاب نیز همانند قانون ابن‌سینا به‌لاتین ترجمه شده بوده بیگمان، درمغرب‌زمین، بهمان اندازه ارزش‌واعتبار بدست می‌آورد:(۳) آلدومیلی(٤) نیز کتاب قانون‌مسعودی را دائرةالمعارف ارزنده و راستینی میخوانند که آگاهی‌های کاملاً تازه‌یی را در بر دارد (۵)

شماره نوشته‌های ابوریحان در هیئت و نجوم بسیار است تا بدانجا که برخی از آنها هنوزمورد مطالعه دقیق قرار نگرفته‌است اما درآغاز قرن حاضر چندتن از دانشمندان اروپایی مانند نالینو (٦) و شوی (۷) و ویدمان (۸)درباره کتب نجومی وی تحقیقاتی دقیق کرده‌اند (۹)

۱ـ «... وكتابه المترجم بالقانون المسعودى يعفى (يغطى) على اثر كل كتاب صنف فى‌التنجيم أو الحساب ...» رك . معجم‌الادباء ج۱۷ ص۱۸۵

۲ـ Henri Corbin , Directeur d,ètude â l,Ecole des Hautes - Etudes (sorbonne)

۳ـ Histoire de la Philosophie islamique ·P. 209

۴ـ A · Miéli

۵ـ La Science Arabe et son role dans l,evolution Scientifique mondiale ·P.98

۶ـ Nallino

۷ـ Schoy

۸ـ Wiedmann

۹ـ رك . نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ، دکترنصر ، ص۱۸۰

آراء دقیق و نظریات علمی ابوریحان ، دراین آثار ، بویژه اگر از یاد نبریم که وی ده قرن پیش از این میزیسته است براستی مایه شگفتی است و بر شخصیت علمی نادر و نبوغ بیمانند وی گواهی میدهد :

باآنکه ابوریحان ظاهراً در شمار کسانی بوده است که بمرکزیت زمین عقیده داشته‌اند ، از نظریه مخالف آن ـ که خورشید را مرکز ، و زمین را سیاره‌یی میداند که بدور آن درگردش است ـ نیز آگاه بوده و رد این نظریه را بسیار دشوار نامیده است . (۱)

اگر چه استاد دکتر نصر در کتاب « نظر متفکران اسلامی در باره طبیعت» نوشته‌اند که ابوریحان ظاهراً تا پایان عمر در انتخاب هر یك از این دو نظریه در تردید بوده است (۲) اما این امکان نیز وجود دارد که ابوریحان از بیم متعصبان عقیده راستین خود را در این باره با صراحت بیان نکرده باشد . شاید نقل‌عین نوشته ابوریحان عقیده واقعی وی را دراین باره روشن‌تر سازد . ابوریحان درکتاب «الاستیعاب» می‌نویسد ؛

« از ابوسعید سنجری اسطرلابی دیدم که از شمالی و جنوبی مرکب نبود وآن را زورقی نامیدی آن عمل مرا زیاده پسند افتاد ، وی رابسیار تحسین کردم چه آن را براصلی قرار داده بود قائم بذات ، بنیان آن عمل و مدار آن صنعت برعقیدت مردمی است که ارض را متحرك دانسته و حرکت شبانه روزی را بفلك منسوب ندانسته‌اند . قسم بجان خود که آن عقیدت شبهه‌ایست که تحلیلش درنهایت دشواری‌است وقولی‌است که رفع و

۱ـ رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ، علامه دهخدا ، ص۱۲

۲ـ رك . نظر متفکران اسلامی .. ، ص۱۸۵

وابطالش در کمال صعوبت است » (۱)

ویژگی بزرگی که شخصیت ابوریحان را کم نظیر و ممتاز میسازد دقت نظر شگفت وی در بررسیهای علمی است :

بیرونی در تحقیقات نجومی و طبیعی و جغرافیایی خود ، بجای پذیرفتن عقاید پیشینیان ، مبنای کار را برمشاهده گذارده و از این طریق به نتایج شگفت آوری دست یافته است . مثلاً در کتاب « تحقیق ماللهند ... » می‌بینیم که وی با استدلال علمی مبتنی برمشاهده ، رسوبی بودن سنگهای وادی هند را اثبات کرده است (۲) و یا دریافته است که در پهنه زمین دگرگونیهای بزرگی ازقبیل تبدیل دریا بخشگی ویا بالعکس رخ داده است که شاید برخی ازآنها. پیش از پیدایش انسان روی داده باشد (۳)

۱ـ رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ، علامه دهخدا ص ۱۲ ؛ شادروان دهخدا نص نوشته ابوریحان را نیز از کتاب استیعاب بدینگونه نقل کرده است : «.. و قد رأیت لابی‌السعید السجزی اسطرلاباً من نوع واحد بسیط غیر مرکب من شمالی و جنوبی سماه الزورقی فاستحسنته جداً لاختراعه ایاه علی أصل قائم بذاته مستخرج مما یعتقده بعض‌الناس من أن الحرکة المرئیة من‌الارض دون‌الفلك و لعمری هو شبهة عسرة التحلیل صعبة المحق لیس للمعولین علی الخطوط المساحیة من نقضها شیء ...»

۲ـ «... و ارض‌الهند من تلك البراری یحیط بها من‌جنوبها بحرهم المذکور و من سائر الجهات تلك الجبال الشوامخ ، و الیهـا مصاب میاهها بل لو تفکرت عند المشاهدة فیها و فی احجارها المد ملکة الموجودة الی حیث یبلغ الحفر عظیمة بالقرب من الجبال و شدة جریان میاه الانهار و اصغر عندالتباعد و فتور الجری و رمالا عندالرکود و الاقتراب من‌المغایض والبحر **لم تکد تصور أرضهم الابحراً فی‌القدیم‌قدانکبس بحمولات السیول ..»** رك . تحقیق ماللهند ، چاپ حیدرآباد ص۱۵۷ ؛ و نیز رك . نظر متفکران اسلامی ، دکتر نصر ص۱۷۰

۳ـ درکتاب تحدید نهایات الاماکن چنین میگوید : « و علی مثله ینقل البحر الی البر والبر الی البحـر فی أزمنة ان کانت قبل‌کون الناس فی العالم فغیر معلومة و ان کانت بعده فغیر محفوظة لان الاخبار تنقطع اذا طال‌علیها الامد وخاصة فی‌الاشیاء الکائنة جزواً بعد جزو » رك . نظر متفکران اسلامی در باره طبیعت ، دکتر نصر ، ص ۱۹۹

بیرونی همچنین ماهیت«فسیل» یاسنگواره را که تا دوره رنسانس در اروپا ناشناخته بود باقیمانده حیوانات دریائی شناخته است (۱)

با همین دقت نظر علمی است که ابوریحان، در درستی بعضی از اصول طبیعیات ارسطو تردید میکند ، پرسش دوم او از ابن‌سینا نمونه آشکاری از این دقت نظر بیرونی در مشاهدات علمی است . ابوریحان می‌پرسد :

« اگر مقرر است درنزد ماکه وجود خلأ درخارج و داخل عالم محال است پس‌چراشیشه ممصوصه راکه بشدت مکیده شود سرازیر روی‌آب‌گذاریم آب را متصاعداً بطرف بالا میکشد؟» (۲)

ابوریحان در بررسی‌های علمی خود تنها بمشاهده بسنده نمی‌کند و بتجربه و اندازه‌گیری نیز می‌پردازد و بعبارت دیگر دانش ریاضی خود را در بررسی طبیعت وآزمایشهای فیزیکی بکارمیگیرد؛ وی مثلاً برای اندازه‌گیری مدار زمین و فاصله میان شهرها از دانش ریاضی خویش بهره می‌جوید و بدینگونه در حقیقت مؤسس علم مساحت (Geodesie) میگردد . (۳) برای اندازه‌گیری مدار زمین ، ابوریحان طریقه‌یی خاص اختراع کرده است که به رفتن بقله کوهی مشرف بر دریا و یا مشرف بر دشتی مسطح و رصد کردن غروب آفتاب و محاسبه زاویه انحطاط و اجرا یك سلسله محاسبات ریاضی

۱ـ استاد دکتر نصر ، آنچه را که بیرونی در این باره در کتاب تحدید نهایات الاماکن نوشته است، از روی نسخه خطی سلطان فاتح اسلامبول‌شماره ۳۳۸۶ نقل‌کرده‌اند. رك . نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ص ۲۰۰

۲ـ رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ، علامه دهخدا ، ص۵۷

۳ـ رك . نظر متفکران اسلامی در باره طبیعت ، دکتر نصر ، ص۱۷۴

خلاصه میگردد (۱)

بیرونی طریقه مذکور را برای اندازه‌گیری مدار زمین، در گرگان بمرحله آزمایش در می‌آورد اما از آنجاکه وسائل کافی دراختیار نداردکارش بناکامی می‌انجامد. با اینهمه هرگز دستخوش ناامیدی نمی‌گردد و از پیگیری اندیشه خویش باز نمی‌ایستد وسرانجام، ده سال بعد، در هند فرصتی می‌یابد و طریقه مخترع خویش را باز دیگر به‌آزمایش میگذارد و این بار، چنانکه خود در کتاب «تحدید نهایات الأماکن» میگوید بر نتیجه دلخواه دست می‌یابد (۲)

دقت کار بیرونی در این اندازه‌گیری تا بدانجاست که اگر زمین بشکل بیضی نمی‌بود و بصورت کره‌یی کامل می‌بود، اندازه‌یی که وی برای مدار زمین بدست آورده است با اندازه‌گیری‌های جدید کاملاً برابر بود (۳)

۱ـ نلینو خاورشناس ایتالیائی این طریقه ابوریحان را از کتاب «فی الاسطرلاب» وی (نسخه خطی کتابخانه برلین شماره ۵۷۹۴) بدینگونه نقل میکند: «... و هوأن تصعد جبلا مشرفاً علی بحر أو برية ملساء و ترصد غروب الشمس فتجد فيه ما ذكرناه من الانحطاط ثم تعرف مقدار عمود ذلك الجبل و تضربه فی الجيب المستوى لتمام الانحطاط الموجود وتقسم المجتمع على الجيب المنكوس لذلك الانحطاط نفسه ثم تضرب ضعف ماخرج من القسمة فی اثنين و عشرين أبداً و تقسم المبلغ على سبعة فيخرج مقدار أحاطة الارض بالمقدار الذی به قدرت عمود الجبل و لم يقع لنا بهذا الانحطاط و كميته فی المواضع العالية تجربة و جرأنا على ذكر هذا الطريق ماحكاه ابوالعباس النيريزی عن ارسطولس أن اطوال أعمدة الجبال خمسة أميال و نصف بالمقدار الذی به نصف قطر الارض ثلاثة آلاف و مائتاميل بالتقريب فان الحساب يقضی لهذه المقدمة أن يوجد الانحطاط فی الجبل الذی عموده هذا القدر ثلث درجات بالتقريب و الى التجربة يلتجأ فی مثل هذه الاشياء و على الامتحان فيها يعول و ما التوفيق الا من عندالله العزيز الحكيم.» رك. علم الفلك تاريخه عندالعرب فی القرون الوسطى، ص ۲۹۰ – ۲۹۱

۲ـ رك. نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت، دکتر نصر، ص ۱۷۶

۳ـ رك. همان کتاب ص ۱۷۷

از نمونه‌های استفاده بیرونی از اندازه‌گیری ، روشی است که وی برای بدست آوردن وزن مخصوص اجسام بکار برده است :

ابوریحان جسمی را در هوا و سپس در آب وزن کرده و تفاوت میان این دو وزن را برابر با وزن آب هم‌حجم آن چیز یافته است و با استفاده از این روش وزن مخصوص نه فلز رانسبت به طلا و نه‌گوهر را نسبت به یاقوت، در کتاب الجماهر فی معرفة الجواهر ، تعیین کرده است بگونه‌یی که این اندازه‌ها تنها در اعشار سوم با ارزش‌هایی که اینك مورد قبول است تفاوت دارد . (۱)

بیرونی خاصیت فیزیکی ظروف مرتبطه را بخوبی دریافته (۲) و در الآثارالباقیة درباره آنچه که در روزگار ما چاه آرتزین خوانده میشود اینگونه

۱ـ رك . نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ، دکترنصر ص ۱۷۸ . و نیز رك .

J·J· Clement-Mullet , «Pesenteur Spécifique de diverses Sudstances minerales , Procédé Pour l,obtenir d,apres Abou L – Raihân Al– Birouny » Journal Asiatique (5) vol·11 , 1858, P·384

و نیز رك .

AIdo Mieli , La Science arabe et son role dans l,evolution Scientifique mondiale , P·99

۲ـ ابوریحان در الاثار الباقیه ، هنگام شرح ابزاری بنام «سارقة الماء» از خاصیت ظروف مرتبطه اینگونه سخن گفته است : «.. فانك اذا ملاتها ماءاً و وضعت کلا طرفیها فی آنیتین سطح مافیها من الماء سطح واحد فان الذی فیها من الماء یقف ولو دهراً لاینصب الی‌احدی الانیتین لانها لیست بأولی من الاخری ولا یمکن أن یتکافأ الانصباب الی الانیتین کلیهما لان الالة تخلو حینئذ والخلا اما غیر موجود ،کما علیه بعض‌الفلاسفة ، واما موجود ممسك للاجسام ،کما علیه بعضهم فاذا کان ممتنع‌الوجود لم‌یوجد و اذا کان ممسکا للاجسام أمسك الماء و لم یترکه یسیل الا بعد أن یبادله جسم‌آخر ثم اذا صیر أحد طرفیها فی‌موضع أسفل قلیلا سال الیه ما فی‌الاینة...» رك . الاثارالباقیة ص ۲۶۲-۲۶۳

سخن گفته است :

«آب چاه‌ها گاه از اطراف چاه تراوش میکند ودرآنصورت بسوی بالا نمیرود و منابع آنها آبهای نزدیك چـاه است و سطح آبی که در چاه جمع میشود موازی سطح آب منبع آن است اما گاه آب از ته چاه فوران میکند و درآنحال ممکن است تا سطح زمین نیز جستن کند و برآن جاری گردد و این بیشتر در زمین‌های نزدیك کوه‌ها یافت میشود و میان چاه و منبع آن ، دریاچه و یا رودخانه ژرف قرار ندارد. هرگاه منبع آب برتر از سطح زمین باشدآب چاه ، اگر محصور شود ، ببالا فـوران میکند و هـرگاه منبع پایین‌تر باشد ببالا نمی‌جهد وگاه میشود که منبع آب ، درکوه ، و هزاران ذرع برتر از زمین باشد و در آنصورت آب چاه می‌تواند مثلاً به قلعه‌ها و بالای مناره‌ها برسد » (۱)

ابوریحان نور را جسم میداند و بر ارسطو و پیرو وی ، ابن‌سینا ، که آن را از لوازم و ذاتیات جسم شفاف می‌پندارند خرده میگیرد و پیداست که نظریه وی در این باره به حقیقت علمی نزدیکتر است (۲)

بیرونی باآن ذهن علمی و نقاد خود پیداست که هزگز تسلیم باورهـای

۱ـ «... فان من میاه الابار مایجتمع بالرشح من‌الجوانب فذلك لایصعد ویکون مأخذها من‌المیاه القریبة الیها ، و سطوح مایجتمع منها موازیة لتلك المیاه التی هی مادتها و منها مایفور فی القعر فذاك هوالمرجو الممکن أن یفور الی الارض و یجری علی وجهها و اکثر مایوجد هذا فی الارضین القریبة من جبال بحیث لایتوسطها بحیرات و لا أنها رمیاه عمیقة فاذا کان مأخذه من خزانة أعلی من سطح‌الارض صعدالماء بالفوران اذا حصر ، و ان کانت خزانته أسفل لم‌یتم ارتفاعه الیها ولم ینجح و ربماکانت الخزانة أعلی بألوف أذرع فی‌جبال فیمکن أن یصعد الی القلاع و رؤوس المنارات مثلا ...» رك . الاثارالباقیة ص ۲۶۳، ونیز رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ، دهخدا ص۱۵

۲ـ رك . تاریخ علوم عقلی ، دکترصفا ج۱ ص۲۸۶

عامیانه نمی‌شود و هیچ چیزی را بی آنکه خود مورد بررسی و تجربه و تحلیل علمی قرار دهد نمی‌پذیرد ؛ وی مثلاً در مورد اعتقادی عامیانه که میگوید : «... در ششم ماه (کانون‌الآخر) ساعتی است که در آن همه‌آبهای شور زمین شیرین میگردد..»(۱)، پس از تحلیل علمی سبب شوری‌آب، با قاطعیت نتیجه میگیرد که شیرین شدن آبهای شور در ساعتی معین بهیچ روی درست نیست و آزمایش‌های پیاپی نادرستی‌آن را روشن میسازد . (۲) وی همچنین در کتاب الجماهر فی معرفة الجواهر درباره عقیده‌یی عامیانه در مورد چگونگی شرائط بوجودآمدن مروارید و اصلاح مرواریدهای فاسد چنین میگوید: « ... و این باب مورد نظر ، بگونه‌یی که بما رسیده است ؛ به پندار کیمیا گران میماند و جزآزمایش وتجربه هیچ شاهد و دلیلی درستی‌آنرا نشان نمیدهد . (۳)

ابوریحان در پزشکی و داروشناسی نیز رنج‌ها برده و نتیجه مطالعات خود را درکتاب الصیدلة فی‌الطب‌گردآورده است . وی در این کتاب نام و ماهیت داروها و آراء و نظریات پزشکان قدیم را در باره آنها شرح داده

۱ـ «.. ان فی‌السادس (من شهر کانون الاخر) ساعة تعذب فیها جمیع میاه الارض المالحة..» رك . الاثارالباقیة ص ۲۵۰

۲ـ « ... و الاعراض الموجودة فی‌المیاه انما هی علی حسب‌الاماکن من‌الارض التی تنحصر فیها ان کانت راکدة والتی تجری علیها ان کانت جاریة و هی لازمة لها غیر متغیرة الا علی مراتب الاستحالات من التدرج باالوسائط ، فلا وجه لما ذکروه من کون المیاه عذبة فی تلك الساعة والتجربة المتوالیة فی أناة الزمان ستظهر للمجرب کذب ذلك ... » رك . الاثارالباقیة ص ۲۵۰ ، و نیز رك . نظر متفکران اسلامی .. ، دکتر نصر، ص۱۷۲

۳ـ «.. و هذا الباب المقصود فیما بلغناه شبیه بما علیه أصحـاب الکیمیاء لاشاهد علیه سوی الامتحان ولا دلیل یودی الیه غیرالتجربة ..» رك . الجماهر فی معرفة الجواهر چاپ حیدرآباد ص ۱۳۵

است . (۱)

بیرونی به بررسی‌های تاریخی و مطالعه در ادیان و معتقدات و آداب و رسوم اقوام مختلف و مقایسه آنها با یکدیگر نیز علاقه بسیار داشته است چنانکه در «تحقیق ماللهند..» عقاید هندوان را با معتقدات یهودیان ومسیحیان و مسلمانان مقایسه کرده (۲) و در «الآثارالباقیة» آداب و رسوم ملل مختلف را با یکدیگر سنجیده و بدینگونه در شمار نخستین دانشمندانی در آمده است که بمقایسه معتقدات مذهبی و آداب و رسوم اقوام و ملل مختلف دست یازیده‌اند .

پژوهش‌هایی که بیرونی در باره ادیان مانوی و زردشتی و یهودی و مسیحی و برهمایی نموده و مطالبی که بویژه از کتب برهمایی نقل کرده است به نوشته‌های وی در تاریخ ادیان ارزشی فوق‌العاده بخشیده است . پرفسور زاخائو کتاب «تحقیق‌ماللهند..» بیرونی را، در مقدمه‌یی که بر آن نوشته‌است، رساله‌یی محققانه یا دانشنامه‌یی در باستانشناسی ، بمفهوم‌روزگار ما ، دانسته است (۳) . نام ثقیل و طولانی این کتاب : «تحقیق ماللهند من مقوله ، مقبولة فی‌العقل أو مرذولة » ، همانگونه که پرفسور زاخائو میگوید ، (٤) خود نشانه بی‌طرفی و حقیقت‌جویی و فکر دقیق نویسنده است . بیرونی در این کتاب آنچه

۱ـ ابن‌ابی‌أصیبعة در باره این کتاب می‌نویسد : « ... کتاب الصیدلة فی‌الطب استقصی فیه معرفة ماهیات الادویة و معرفة أسمائها و اختلاف آراء المتقدمین و ما تکلم کل واحد من الاطباء و غیرهم فیه و قد رتبه علی حروف المعجم» رك . عیون‌الانباء چاپ بیروت ج۳، القسم‌الاول ص۲۹

۲ـ رك . تحقیق‌ماللهند . ص ۲۷ ببعد

۳ـ رك . ترجمه فارسی مقدمه زاخائو در کتاب «شرح‌حال نابغه شهیر ایران، دهخدا ص ۶۹

۴ـ رك . همان کتاب

را که درباره دانشها و معتقدات و آداب و رسوم هندیان دیده و شنیده و یا خوانده است ، همه را ، خواه مقبول و خواه مرذول ، با بی طرفی تمام (۱) برای ما حکایت میکند ومسائل را ، با ذوق ریاضی وفلسفی خویش، بگونه‌یی مورد بررسی قرار میدهد که با روح انتقادی عصر ما سازگاری کامل دارد و اعجاب و اعتماد ما را برمی‌انگیزد .

از روزگاران قدیم و قرن‌ها پیش از بیرونی جهانگردان دیگری به سرزمین هند سفر کرده وهریك گزارش‌های ارزنده‌یی درباره آن دیار نوشته‌اند. هون تسانك (۲) روحانی چینی که چهارصد سال پیش ازبیرونی بهند سفر کرده ازآن جمله است. این‌روحانی پس از بازگشت، کتابی از دیده‌ها وشنیده های خویش درباره هند و مردم آن سرزمین فراهم‌آورده است ، (۳)

آگاهی‌هایی که این سیاحان در نوشته‌های خویش بدست داده‌اند برای شناخت تاریخ هند اهمیت بسیار دارد اما ارزش کار بیرونی باعتقاد استادان اروپایی ، با هیچیك از نوشته‌های مذکور در خور قیاس نیست (٤) ؛ پرفسور زاخائو از بوهلر (۵) که یکی از بزرگترین استادان و صاحبنظران اروپایی در زمینه هندشناسی است چنین نقل میکند :

۱ـ بیرونی در مالل‌هند ، به بیطرفی خود دربیان حقایق بدینگونه اشارت میکند :
« و لیس الکتاب کتاب حجاج وجدل حتی استعمل فیه بایراد حجج‌الخصوم و مناقضة‌الزائغ منهم عن‌الحق ، و انما هو کتاب حکایة فأورد کلام الهند علی وجهه وأضیف الیه ماللیونانیین من مثله لتعریف المقاربة بینهم ...» رك . ماللهند ، چاپ حیدرآباد ص۵

۲ـ Hwenthsang

۳ـ رك . ترجمه فارسی مقدمه زاخائو برماللهند درشرح حال نابغه شهیر ایران ، دهخدا ، ص ۶۸

۴ـ رك . همان مصدر

۵ـ Buhler

«یاادداشتهایی که از یونانیها و زائران چینی بما رسیده در مقابل کتاب بیرونی درست همانند کتابهای کودکان یا مسودات مردم عامی و خرافی است که بعالمی پر از عجائب افتاده و از مشهودات خود دچار شگفتی و بهت شده و نتوانسته باشند از حقایق و امور واقعی جز مقداری ناچیز درك کنند» (۱)

زاخائو درباره حقی که ابوریحان برمردم هند دارد چنین میگوید :

«... اگر مسلمانان حق دارند باو افتخار کنند ، هندیان نیز باید وجود او را سعادتی بشناسند که تصویری از مدنیت اجداد آنان با بیطرفی بدست داده است» (۲)

خلاصه گفتار آنکه، ابوریحان براستی مرد دانش بوده و سراسرزندگانی خود را وقف مطالعه و پژوهش و تألیف و ترجمه کرده است . روح علمی و علاقه وی بگسترش دانش بگونه‌یی بوده است که گوئی در برابر دانش ، برای خویش وظیفه و مسئولیتی احساس میکرده است . مسئولیتی کـه وی را بر آن میداشته است تا ، مثلا ، اگر کتابی علمی بااسلوبی پیچیده و دشوار ونامفهوم تألف یافته است آنرا بزبانی ساده و روشن و مفهوم در آورد (۳) و یا اگـر کتاب ارزنده دیگری ناتمام باقی مانده و یا خطاهایی در آن راه یافته است بتهذیب واتمام آن همت گمارد (٤) بیگمان همین احساس مسئولیت در برابر

۱ـ رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ، دهخد ص۸۶ـ۹۶

۲ـ رك . همان کتاب ، ص۷۰

۳ـ ـ در فهرستی که ابوریحان بر مؤلفات رازی نوشته است چنین میخوانیم :
«و ـ و هـذبت زیج الارکند و جعلته بألفاظی اذ کانت الترجمـة الموجودة منه غیر مفهومة و الفاظ الهند فیها لحالها متروکة» رك . بخش عربی این کتاب ، ج ص۱۵

۴ـ بیرونی در این باره می‌نویسد :
«د ـ و عملت کتاباً سمیته بتکمیل زیج حبش و تهذیب أعماله من الزلل .. » رك . بخش عربی این کتاب ، ح ص۱۵

حقیقت و دانش وی را بر آن داشته است تا مردانه بحمایت از دانشمندی که بخاطر اظهار عقیده‌یی درست مورد بهتان قرار گرفته است برخیزد و بنوشتن کتابی در آن‌باره بپردازد (۱)

از درخشانترین ویژگی های این دانشمند بی‌همال ، خستگی ناپذیری وی بوده است و عدم تسلیمش در برابر آراء و عقاید گذشتگان . وی قرن‌ها پیش از «بیکن» و «دکارت» بجویندگان دانش آموخته است تا در پژوهش‌های علمی خویش ، اساس کار را ، بجای کورکورانه پذیرفتن عقاید پیشینیان ، برمشاهده و آزمایش بگذارند .

ابوریحان خود بابکار بستن این روش و با دقت نظر ونبوغی که خداوند بوی ارزانی داشته‌است در زمینه‌های گوناگون علمی به‌پیروزی‌ها و نوآوریهای شگفت انگیزی دست یافته و بدینگونه بصورت یکی از درخشانترین چهره‌های عالم دانش در آمده است . بیهوده نیست اگر وی را از بزرگترین دانشمندان سراسر دنیای اسلام بشمار آورده‌اند (۲)

۴ـ ابوریحان فیلسوف

آیا ابوریحان براستی‌فیلسوف بوده است؟ یافتن پاسخ درست این پرسش نیازمند اندکی تأمل و دقت است چه ، از سوئی ابوریحان با فیلسوف نامدار روزگاو خویش ، ابوعلی‌سینا ، پرسشهایی را در میان میگذارد که متضمن اعتراضاتی سخت بر آراء ارسطو است . و از سوی دیگر ، ابوالحسن علی‌بن

۱ـ « و عمل ابوطلحة الطبیب فی ذلك (زیج الخوارزمی) شیئاً یوجب مناقضته ، فعملت ابطال البهتان بایراد البرهان علی أعمال الخوارزمی فی‌زیجه ..» رك . بخش‌عربی این کتاب ح‌ص۱۵

۲ـ رك . تاریخ‌الشعوب الاسلامیة ، کارل بروکلمان ج۲ ص ۱۲۱

زید بیهقی صاحب تتمه صوان‌الحکمة اعتراضات وی‌را بر ابن‌سینا وارسطو، پای از گلیم خویش فراتر نهادن، می‌داند و اساساً دخالت او را در امور فلسفی ناروا میشمارد؛ (۱).

محمدبن‌محمود شهرزوری نیز گفته بیهقی را در کتاب خود «نزهة‌الارواح و روضة‌الافراح فی تواریخ الحکماء»، بی‌کم و کاست، تکرار میکند (۲)

گذشته از این، ابوریحان، برخلاف ابن‌سینا، شاگردانی در میدان فلسفه تربیت نکرده است تا از طریق آنان ازآراء و مکتب فلسفی وی آگاهی یابیم. از مؤلفات فلسفی او نیز نوشته مستقل و با اهمیتی که نشان دهنده آراء وی در فلسفه باشد برجای نمانده است. با این ترتیب باید دید که آیا سخن بیهقی بر پایه‌یی درست بوده است؟ و دانشمندی چون ابوریحان حتی صلاحیت آن را نیز نداشته است که در مسائل فلسفی دخالت کند؟

افکندن نگاهی سریع بر کتاب مشهور تحقیق ماللهند. مدلل میدارد که ابوریحان گذشته‌ازآراءفیلسوفان مسلمان با عقاید فلاسفه یونان وهند وهمچنین باآراء فلسفی مانویان نیز آشنایی کافی داشته است.

وی فی‌المثل، درباب دوم این کتاب عقاید هندیان را درباب ذات خداوند و اختلافات عامه و خاصه را در آن باره بیان داشته است (۳) ویا در باب سوم از موجودات عقلی و حسی سخن بمیان آورده و ابتدا نظریات فلاسفه قدیم یونان را ذکر کرده و سپس آراءآنان را با نظریات فلاسفه هند، درباب وحدت موجودات مقایسه کرده و پس از آن بشرح رأی صوفیه درباره

۱ـ «.. و له مناظرات مع أبی علی و لم یکن الخوض فی بحار المعقولات من شأنه وکل میسر لما خلق له ....» رك. تتمة صوان الحکمة، چاپ لاهور ص۶۲ـ۶۳

۲ـ رك. مقدمه زاخائو برالاثارالباقیة ص L۱۱۱

۳ـ رك. تحقیق ماللهند، چاپ حیدرآباد ص ۲۰ـ۲۳

وجود حقیقی پرداخته‌است و آنگاه بحث درباره نفس و روح را بمیان‌کشیده و ازتسمیه آن به‌الهه در یونان قدیم سخن‌گفته و اقوالی ازجالینوس و افلاطون نقل‌کرده است (۱) . در باب سی وسوم نیز بمسأله آفرینش گیتی و فناء عالم پرداخته و نظریات محمدبن زکریای رازی و برخی دیگر از فلاسفه مسلمان و همچنین فلاسفه هندو را درباره معنی زمان شرح داده و اشاره‌کرده است که ابومعشر نظریه خود را درباره طوفان از فلاسفه هندگرفته است (۲)

بااینهمه آیا میتوان‌گفت که ابوریحان، دانشمندی‌که مباحثی‌از این دست رابا تسلط مورد بررسی قرارداده است ، صلاحیت‌سخن‌گفتن از مسائل فلسفی را نداشته است ؟! باید دانست که ماللهند.. سرشار از اینگونه مباحث فلسفی محضی است‌که آگاهی ابوریحان را از آراء فلاسفه ـ چه فلاسفه قدیم و چه فیلسوفان معاصرش ـ مدلل میدارد و آنچه ذکر کردیم تنها برسبیل نمونه بود و اندکی بود از بسیار .

ابوریحان ، درفهرست‌کتب محمدبن زکریا الرازی از مطالعات فلسفی خویش سخن گفته و یادآور شده است که بیش از چهل سال در انتظار یافتن «سفرالأسرار» رازی بسربرده است (۳)

با آنکه از آثار فلسفی ابوریحان چیزی برجای نمانده است اما در

۱ـ رك . تحقیق ماللهند ص ۲۴ـ۳۳

۲ـ رك . همان‌کتاب ص ۲۷۰-۲۷۹

۳ـ در مقدمه فهرستی‌که برکتب رازی نوشته است میگوید :

«... و ذلك انی طالعت کتابه (أی کتاب الرازی) فی‌العلم الالهی و هو یبادی فیه بالدلالة علی‌کتب مانی و خاصة‌کتابه الموسوم «بسفر الاسرار» فغرتنی السمة‌کما یغرالمبیض و المصفر فی الکیمیاء غبری فحرصنی الحداثة بل خفاء الحقیقة علی طلب تلك الاسرار من معارفی فی البلدان والاقطار و بقیت فی تباریح الشوق نیفاً و أربعین سنة .. » رك . مقدمة زاخائو برالاثارالباقیة ص XXX۱X

فهرست کتب و مولفات او میخوانیم که وی کتاب «الشامل» را که در باب موجـودات محسوسه و معقوله بـوده است از سانسکریت بعـربی ترجمه کرده است (۱) واین نشان میدهدکه بیرونی گذشته از آشنایی با فلسفه یونان از فلسفه هند نیز آگاهی بسیار داشته است. بیرونی همچنین کتابهای فلسفی «فی التوسط بین ارسطوطالیس و جالینوس فی المحرك الاول» و «ریاضة الفکر و العقل» و مقالات «فی البحث عن الآثار العلویة» و «فی صفات اسباب السخونات الموجودة فی العالم ...» را تألیف کرده است (۲)

با در نظر گرفتن این آثار، روشن است که سخن بیهقی و شهرزوری وکسانی که برطریق آنان رفته و دخالت ابوریحان را در مسائل فلسفی ناروا خـوانده‌اند بر اساسی درست استوار نبـوده است و شك نیست که ابوریحان گذشته از منزلت بیمانندی که در دنیای علم دارد درمیدان فلسفه نیز دستی داشته است تا بدانجاکه وی را درعداد فیلسوفان نیز میتوان بشمارآورد. بی‌مناسبت نیست که قول خاورشناس و دانشمند مشهور فرانسوی، پرفسور هانری کربن را در این باره بیاوریم آنجاکه میگوید:

«مکاتبات ابوریحان با ابن‌سینا آشکارا نشان میدهدکه بیرونی گذشته از آنکه ریاضی‌دان و منجـم و جغرافی‌دان و زبانشناس و مـوسس علم مساحت است، در شمار فیلسوفان نیز قرار دارد» (۳)

اینك که ابوریحان را در صف فیلسوفان روزگار خویش قرار دادیم حق اینستکه از عقاید و آراء فلسفی وی نیز سخنی بمیان آوریم و بکوشیم تا مشرب فلسفی وی را، تاآنجاکه ممکن است، مشخص سازیم. اما، گذشته

۱ــ رك. بخش عربی این کتاب ص ۱۹

۲ــ رك. نظر متفکران اسلامی ...، دکتر نصر ص۱۴۸

۳ــ رك. Histoiré de la philosoPhie islamique P.209

از اینکه نگارنده در میدان فلسفه سخت پیاده است و یارای وارد گشتن در اینگونه مباحث را ندارد ، بنظر میرسد که اساساً مکتب فلسفی خاصی را به ابوریحان نسبت نمی‌توان داد ، چه همانگونه‌که اشارت رفت تألیفات مهم و مستقلی در زمینه فلسفه از وی برجای نمانده است . با اینهمه ، آنقدر هست که از خلال آثارش درمی‌یابیم که وی برخی از نظریات فلسفی محمد زکریای رازی و نوشته‌های هرمسی وی را می‌پسندیده است هر چند که در پاره‌ای از مسائل ، بویژه در مباحث دینی، باوی همداستان نبوده است (۱) و نیز میدانیم که وی با فلسفه مشائیان موافق نبوده و در آن روزگار شدیدترین حملات را بطبیعیات مشائی کرده است (۲)

نکته درخور توجه در باره آراء فلسفی ابوریحان اینستکه وی ؛ درفلسفه نیز ، همانند ریاضیات ، در پی یافتن حقایقی مسلم است و هرگز در برابر عقایدرائج روزگار خویش ،که توسط کندی (۳) و فارابی (۴) و امثال آنان

۱ـ رك . نظر متفکران اسلامی در باره طبیعت ، دکترنصر ، ص۲۱۳

۲ـ رك . همان کتاب

۳ـ الکندی : ابویوسف یعقوب‌بن اسحق‌بن‌الصباح ، متوفی بسال ۲۶۰ هجری ، از فرزندان ملوك کنده و بزرگترین فیلسوفان روزگار خویش است . وی در بصره پرورش یافته و سپس برای‌آموختن دانش ببغداد رفته و درآنجا ، پس از چندی درطب و فلسفه و موسیقی و هندسه و نجوم شهرت یافته است . الکندی بیش از سیصد کتاب را تالیف یا ترجمه و یا شرح‌کرده و بواسطه مرتبه بلندش در دانش ، در دستگاه خلفای عباسی،منزلتی یافته است اما المتوکل ، بسعایت بدگویان یکبار بروی خشم‌گرفته و او را گوشمالی داده وکتابهایش را ضبط‌کرده وسپس ازگناه وی درگذشته وآنها را بوی پس داده است ازجمله مولفات مشهور او است . «رسالة فی‌التنجیم» و « اختیارات الایام» و « تحاویل‌السنین » و «الهیات ارسطو» و «رسالة فی‌الموسیقی» و «الادویة المرکبة» که بلاتین ترجمه وچاپ شده است ، و «المد والجزر» و «ذات الشعبتین» و خمس رسائل (پنج رساله) که نخستین آنها « ماهیةالعقل » است و به لاتین ترجمه شده است . رك . الاعلام ، زرکلی ، چاپ مصر ص ۱۱۹۷ و نیز رك . طبقات الاطباء ج۱ ص۲۰۶

۴ـ ابونصر محمدبن‌محمدالفارابی (۲۶۰ـ۳۳۹ه) مشهور به معلم ثانی بزرگترین

بقیه در صفحه بعد

تدوین یافته بوده است ، سرتسلیم فرود نمی‌آورد :

بیرونی با شجاعتی در خور ستایش در درستی برخی از آراء معلم اول ارسطو تردید میکند و در این راه از دشمنی‌ها و انکارهای کسانی‌که انتقاد و خرده‌گیری از بزرگان را برنمی‌تابند، نمی‌هراسد وای‌بساکه همین‌بی‌پروایی، بیهقی و شهرزوری و دیگران را واداشته است تا بر وی بتازند و دخالت وی را در مسائل فلسفی ، چنانکه گفتیم ، ناروا بشمارند

ایرادات بیرونی به برخی از آراء و نظریات ارسطو ، در پرسشهای هیجده‌گانه‌یی که وی با فیسلوف بزرك روزگار خویش ، ابن‌سینا در میان نهاده ، بیان شده است (۱)

ابن‌سینا پرسشهای مذکور را بشرح پاسخ گفته و از نظریات ارسطو دفاع‌کرده است (۲) اما این پاسخ‌ها ، بجای‌آنکه بیرونی را قانع سازد،وی را برآن داشته است تابی‌پروا برسخنان بوعلی خرده بگیرد واز نو برپاسخهای او اعتراضاتی بنویسد. (۳)

فیلسوف دنیای اسلام است وی درفاراب ، درکنار رود سیحون متولد شده ، وبرای‌آموختن دانش ببغداد رفته و سپس بمصر و شام سفر کرده و در دمشق بخـدمت سیف‌الدوله همدانی درآمده است . فارابی بیشتر زبانهای شرقی مشهورآن روزگار را بخوبی تکلم میکرده و و نزدیك به صد کتاب تالیف کرده است که از آنجمله است : «الفصوص» و « احصاءالعلوم والتعریف باغراضها» و « مبادی آراء أهل المدینة الفاضلة» و « المدخل فی الموسیقی » و «الاداب الملوکیة» و «السیاسة المدنیة» و « جوامع‌السیاسة » و «النوامیس» و «الخطابة» و «دیوان الادب» و «ماینبغی أن یتقدم الفلسفة » ... مشهور است که فارابی « قانون » آلت معروف موسیقی را ساخته است . رك . الاعلام ، زرکلی ص ۹۶۸

۱ـ رك . تاریخ ادبیات در ایران ، دکتر ذبیح‌اله صفا ، ج۱ ص۳۴۰ـ۳۴۳

۲ـ رك . تاریخ علوم عقلی ، دکتر ذبیح‌اله‌صفا ، ج۱ ص۲۳۱ و ۲۸۵

۳ـ شادروان ، علامه دهخدا ترجمه فارسی پرسشهای هیجده‌گانه بیرونی وپاسخهای ابن‌سینا و اعتراضات ابوریحان بر پاسخهای مذکور را از نامه دانشوران نقل‌کرده است . رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ، ص۲۹ـ۶۴

اگر ابوریحان در درستی برخی از نظریات ارسطو تردید میکرده است نباید پنداشت که وی منزلت بیمانند معلم اول را نمی‌شناخته و یا او را چنانکه باید ، گرامی نمی‌داشته است ؛ حقیقت اینستکه بیرونی برای ارسطو احترامی درخـور مقـام والایش قائل بـوده است اما این معنی را هـرگز مانع از آن نمی‌دانسته است که اگر برخی ازنظریات وی را درست نپندارد ؛ عقیده‌خویش را در آن باره بـی‌پروا بیـان دارد . وی درباره کسانی که ارسطو را مصون‌از هرگونه لغزشی می‌پنداشته‌اند چنین گفته است :

« عیب این اشخاص اغراق در احترام به آراء ارسطو است و آنان فکر می‌کنند که امکان ندارد اشتباهی در نظریات او رخ داده باشدگرچه آنها می‌دانند که او فقط تاحدی که از استعداد و عهده او برمی‌آمـد به تدوین نظریات خود پرداخت و هیچگاه ادعا نکرد که خـداوند او را از خطا محفوظ داشته و از اشتباه مصون بوده است .» (۱)

باید دانست که اعتراض به آراء ارسطو و انتقاد از فلسفه مشائی تنهـا ویژه ابوریحـان نبوده است چـه ، از سویی حکیمان و عارفان اشراقی ، از آنروی‌که دامنه تنك استدلال‌ها و قیاس‌های منطقی را برای ظهور و دریافت حقیقت کافی نمی‌دانسته‌اند (۲) بمخالفت با مشائیـان برخـاسته‌اند و از سوی دیگر متکلمانی چـون ابوالحسن اشعری و بـویژه امام فخر رازی و غزالی که یکی دو قـرن پس از بیرونی میزیسته‌اند ، از دو نظر کلام و تصوف ، بسختی برفلسفه استدلالی تاختـه و بدینگونه زمینه را بـرای گسترش تصوف و حکمت

۱ـ استاد دکترنصر این گفته ابوریحان را از ـ

S.H. Barani, « al- Biruni's Scientific Actrievements, »

Lec . Cit , ص۴۱

بفارسی ترجمه کرده‌اند . رك . نظر متفکران اسلامی .. ص ۲۱۴

۲ـ رك . همان کتاب ص ۲۱۳

اشراقی فراهم ساخته‌اند . (۱) گذشته از این دو دسته ، گروه اندکی از دانشمندان نیز ، فارغ از کلام و تصوف ، از راه برهان عقلی بر ارسطو خرده گرفته و برخی از آراء وی را نادرست شمرده‌اند (۲) . شاید تفاوت بیرونی با دیگر مخالفان فلسفه مشائی در این باشد که وی ، همانگونه که آقای دکتر نصر نوشته‌اند ، همه این راه‌ها را برای انتقاد از ارسطو پیموده و « از کتب آسمانی و براهین عقلی و مشاهده طبیعت مدد گرفته است .» (۳)

ابوریحان با تصوف اسلامی وافکار و معتقدات صوفیان نیز بخوبی آشنا بوده ، هرچند که اصل کلمه «صوفی» را بغلط یونانی پنداشته است (٤)

بهترین نشانه آشنایی ابوریحان با افکار و عقاید صوفیه اقدام وی به ترجمه کتاب «پاتنجل» است چه ، این کتاب ، که موضوع آن « رها ساختن جان از بند تن » (۵) است، همانگونه که «ریتر» (٦) خاورشناس مشهور آلمانی میگوید عقاید و افکاری را دربر دارد که غالباً با اندیشه‌ها و معتقدات صوفیه

۱ـ رك . نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ، دکتر نصر ص۲۱۴

۲ـ رك . همان کتاب

۳ـ رك . همان کتاب

۴ـ در «تحقیق ماللهند..» ص۲۴ـ۲۵ درباره اصل کلمه صوفی چنین آمده است :

«... و هذا رأی السوفیة و هم الحکماء فان « سوف » بالیونانیة الحکمـة و بها سمی الفیلسوف «پیلاسوپا» أی محب الحکمة ولما ذهب فی الاسلام قوم الی قریب من رأیهم سمـوا باسمهم ولم یعرف اللقب بعضهم فنسبهم للتوکل الی « الصفة » و أنهم أصحابها فی عصر النبی صلی الله علیه وسلم ثم صحف بعـد ذلك فصیر من صوف التیوس ، و عدل ابوالفتح البستی عن ذلك أحسن عدول فی قوله :

تنازع الناس فی الصوفی واختلفوا	قدما و ظنوه مشتقاً من الصوف
و لست أنحل هـذا الاسم غیـر فتی	صافی فصوفی حتی لقب الصوفی

۵ـ تخلیص النفس من رباط البدن

Prof . Helmût Ritter -۶

شباهت بسیار دارد (۱) . ریتر می‌افزاید که ابوریحان در ترجمه این کتاب مصطلحات صوفیه مسلمان را برای بیان مفاهیم تصوف هندی بکار گرفته و همین امر خطاهایی چند را در ترجمه سبب شده است . (۲)

پیداست کـه پرداختن به ترجمه کتابی در تصوف هندی و بکار گرفتن مصطلحات صوفیه برای بیان مفاهیم آن جزبرتوجه وعلاقه ابوریحان به‌تصوف وآگاهی وی از اندیشه‌ها و معتقدات عارفان دلالت نمی‌تواند داشت. گذشته از این ، از لابلای صفحات کتاب «تحقیق‌ماللهند..» نیز آشنائی ابوریحان را با افکار و معتقدات صوفیان آشکارا می‌توان دید چه ، وی در این‌کتاب‌بارها عقاید صوفیه مسلمان را با معتقدات هندوان مقایسه میکند (۳) و در این باره خود در مقدمه‌کتاب میگوید :

۱ــ رك . جشن‌نامه ابن‌سینا ، ج۲ ص۱۳۴-۱۴۸

۲ــ رك . همان مصدر

۳ــ مثلا در صفحه ۲۴ عقیده صوفیه را درباره وجود حقیقی و درصفحه ۴۴ رأی‌آنان را درباره تناسخ و حلول وظهورکلی بیان میکند و درصفحه ۵۲ ــ۵۳ همچنانکه در صفحه ۵۷ ، معتقـدات آنان را با عقائد هندوان درباره کیفیت رهائی از دنیا و راه وصول بحق مقایسه میکند و نیز در صفحات ۶۲ و ۶۶ و ۶۷ میان آنچه که در کتاب پاتنجل آمده و معتقدات صوفیه مقایسه می‌کند وقول ابوبکر شبلی و بایزیدبسطامی را بدینگونه نقل‌میکند: «صوفیه در اشتغال بحق برطریق پاتنجل‌گام برداشته وگفته‌اند : مادمت تشیر فلست بموحد حتی یستولی الحق علی‌اشارتك بافنائها عنك فلایبقی مشیر ولا اشارة ؛ و می‌افزایدکه‌درکلام آنان سخنانی هست‌که براعتقاد به اتحاد دلالت دارد همچون پاسخ یکی ازآنان که درباره حق از وی پرسش شده بود : و کیف لاأتحقق من هو «أنا» بالانیة و «لاأنا» بالاینیة ، ان عدت فبالعودة فرقت وان أهملت فبالا همال خففت و بالاتحاد ألفت ؛ و چون سخن ابوبکر شبلی : اخلع الکل تصل الینا بالکلیة فتکون ولا تکون اخبارك عنا وفعلك فعلنا ؛ وهمچون پاسخ بایزیدبسطامی هنگامیکه از وی پرسیدندکه چگونه بمرتبتی‌که رسیده‌یی دست یافتی؟: انی انسلخت من نفسی‌کما تنسلخ الحیة من جلدها ثم نظرت الی ذاتی فاذا انا هو ...» و کتاب تحقیق ماللهند سرشار از اینگونه اشارات و مقایسه‌ها است .

« با سخن آنان سخن دیگران را نمی‌آورم مگر آنکه از آن صوفیه و یا یکی از فرقه‌های مسیحی باشد چه ، اینان همه در امر حلول و اتحاد بیکدیگر نزدیك‌اند » (۱)

با اینهمه شك نیست که ابوریحان خودصوفی نبوده است هرچند که همانند بسیاری از مسلمانان ، برای آنان احترام و فضیلت بسیار قائل بوده است (۲) و شاید بتوان گفت که آشنایی با شیوه تفکر انسانی آنان که سختگیری و تعصب را خامی می‌شمارند و راه‌های رسیدن بپروردگار را بشماره نفوس بندگان خدای میدانند(۳)بوی، آن آزاداندیشی وسعه صدری را ارزانی داشته است که می‌تواند از دولت آن ، فارغ از هرگونه تعصب ، با پیروان ادیان گونه‌گون و حکیمان ملل مختلف آمیزش کند و از دانش‌ها و معتقدات آنان بهره‌ها برگیرد .

۵ـ ابوریحان انسان :

از داستان زندگی و دانشها و آثار بیشمار ابوریحان کم و بیش سخن گفته‌آمد . اینك جا دارد که بکوشیم تا از خلال آگاهی‌هایی که از زندگانی و آثار وی داریم ، تاآنجاکه ممکن است، چهره معنوی ابوریحان را نیزببینیم. ببینیم انسانی که در پس اینهمه دانش و این انبوه مؤلفات وآثار نهفته است کیست ؟ چگونه می‌اندیشد ؟ بر کدام آیین و مذهب است ؟ با دیگران چگونه رفتار میکند؟ به چه چیز عشق میورزد و راز پیروزیش در چیست ؟ آیا با ما ، با جوانان ایران ، بادانشجویان و استادان ایران و دیگر سرزمین‌های اسلامی

۱ـ «... ولاأذکر مع کلامهم کلام غیرهم الا أن یکون **للصوفیة أو لاحد أصناف النصاری** لتقارب الامر بین جمیعهم فی‌الحلول والاتحاد...» رك تحقیق‌ماللهند ص ۵ و ۶

۲ـ رك . نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ، دکترنصر ، ص۱۵۴-۱۵۵

۳ـ الطرق الی‌الله بعدد انفاس الخلائق

سخنی برای گفتن ندارد؟

ـ مسلمانی ابوریحان:

ابوریحان بیگمان بوجود پروردگار یگانه و رسالت پیامبر اسلام ایمان راسخ داشته است و این اعتقاد استوار وی را در همه مؤلفاتش بروشنی می‌توان دید. اما دانستن اینکه وی برمذهب تشیع بوده است یا برطریق اهل تسنن، نیازمند اندکی تأمل است چه، وی از سویی، در خطبه‌یی که در آغاز کتاب الآثار الباقیة آورده است، آل پیامبر را، همانند شیعیان، امامان و راهنمایان بر حق خوانده و وجود امام عادل را لازم شمرده است (۱) و یا مثلا از روزعاشورا وشهادت‌حضرت‌سیدالشهداء(ع)همچون‌راویان‌شیعی سخن گفته است (۲)؛ و از سوی دیگر، لحن سخنش در بسیاری از موارد به شیوه گفتار اهل سنت و جماعت میماند. شاید همین امر «آلدومیلی» خاورشناس مشهور را معتقد ساخته است که وی در جوانی بر مذهب تشیع بوده و سپس بمذهب اهل سنت و جماعت گرویده است (۳)

۱ـ در خطبه الاثار الباقیه میگوید:

«الحمدلله المتعالی عن الاضداد و الاشباه والصلوة علی محمد المصطفی خیر الخلق و علی آله أئمة الهدی و الحق و من لطائف تدبیرالله تعالی فی مصالح بریته و جلائل نعمه علی کافة خلیقته تقدیره النافذ أن لایخلی فی عالمه زماناً عن امام عادل یجعله لخلقه أماناً لیفزعوا الیه فی‌النوائب والحوادث من‌السوعات و الکوارث..» رك. الاثار الباقیة، چاپ زاخائو، ص۳

۲ـ «.. وکانوا یعظمون هذا الیوم (یوم عاشوراء) الی أن اتفق‌فیه قتل الحسین‌بن‌علی ابی‌طالب رضی‌الله عنهم و فعل‌به وبهم مالم یفعل فی‌جمیع الامم باشرارالخلق من‌القتل‌بالعطش والسیف والاحراق و صلب الرؤوس واجراء الخیول علی‌الاجساد فتشاء موابه ... وأماالشیعة فانهم ینوحون و یبکون أسفاً لقتل سیدالشهداء فیه و یظهرون ذلك بمدینة السلام و أمثالها من‌المدن والبلاد و یزورون فیه التربة المسعودة بکربلاء...» رك. الاثار الباقیة، ص۳۲۹

۳ـ رك. La Science Arabe,Leiden,P.98

آنچه که در این باره درست‌تر بنظر میرسد اینستکه ابوریحان ، بلند اندیشه‌تر و برتر از آن بوده است که نسبت به فرقه‌یی مذهبی در برابر مذهبی دیگر ؛ چه تسنن باشد و چه تشیع ، تعصب بورزد . وی دانشمند مسلمان آزاد اندیشی بوده است که پیروان هر دو مذهب را بیك چشم می‌نگریسته و همه مسلمانان را ، بی‌آنکه تفاوتی میانشان قائل باشد ، دوست میداشته است . با این ترتیب اگر آل‌رسول (ص) را گرامی داشته و آنان را ، همانند شیعیان، به «ائمة‌الهدی والحق» وصف کرده است جای شگفتی نیست همانگونه که احترام وی نسبت به علماء سنی نیز نمیتواند مایه شگفتی گردد .

شاید بهترین نشانه بی‌تعصبی ابوریحان در امر مذهب نکته‌یی باشد که وی در کتاب « الجماهر فی معرفة الجواهر» ، هنگام سخن گفتن از دو سنك «خماهن» و «کرك» ، ذکر کرده است :

بیرونی می‌نویسد که شیعیان نگین انگشتری‌های خود را از کرك (سنك سپید) اختیار میکردند و سنیان ، برخلاف آنان ، از خماهن (سنك سیاه) ! آنگاه بالحنی که هر دو فرقه را یکسان بباد طنز میگیرد می‌افزاید که وی این هر دو نگین را در دو انگشتری بدست میکرده است تا هر دو گروه را فریب دهد ! (۱)

نباید فراموش کرد که دین‌داری و ایمان بیرونی دیگر است و دین‌داری خامان و قشریان متعصب دیگر ؛ اگر متعصبان بنام دین ، باعلوم عقلی دشمنی

۱ـ نص سخن ابوریحان در کتاب الجماهر فی معرفة الجواهر ، چاپ حیدر آباد ص۲۱۵ ، در «ذکرالخماهن والکرك» چنین است :

«هذان‌حجران‌لایکادیکون‌لهما‌قیمة‌الا کقیمة الخرزلولا مناکدة‌الشیعة نواصبهم فی‌التختم بأ بیضها و نواصبهم بأسودها للتمایز کتمایز‌الجیل‌عن‌جنبتی‌اسبیذر وذبذکر‌العلم الاسود والعلم الابیض‌مکان‌العقیدة والمذهب ـ وقدکنت‌أجمع‌بین‌هذین‌الفصین‌فی‌زوج خاتم‌کیاداً‌للفریقین...»

ورزیده‌اند ، ابوریحان فراگرفتن دانش و پژوهش در همه زمینه‌های مختلف علمی را وظیفه هر مسلمانی میدانسته است (۱) وی با استناد به آیه شریفه «..ویتفکرون فی‌خلق‌السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك..» (۲) معتقد بوده است که خدای در قرآن به بندگان خویش فرمان داده است که در آفرینش آسمانها و زمین بیندیشند تا دریابند که پروردگار آنان گیتی را بیهوده نیافریده است (۳) و پیداست که اندیشیدن در آنچه که خدای آفریده است را جز بفراگرفتن دانش و جستجوی حقیقت تعبیر نمیتوان کرد.

از همینجاست که بیرونی با کسانیکه ، با توسل بتعالیم دینی ، دانایی را ویژه پروردگار می‌دانند و آن را عذری موجه برای نادانی خود می‌پندارند و در پی‌فراگرفتن دانش نمی‌روند بمبارزه برخاسته است. وی درالآثارالباقیة ازستیزه جویی‌هایی که اینگونه دین‌داران باوی داشته‌اند اینگونه یادکرده‌است:

«... و بسیاری از کسان که نادانی خود را در طبیعیات بدانش خداوند حوالت می کنند با من به ستیزه برخاستند..» (٤)

در حقیقت برای ابوریحان ، میان علوم دینی و غیر دینی تفاوتی موجود نیست زیرا همه دانشها پدیده‌های گوناگون طبیعت را بررسی می کنند و ناچار بشناخت نیرویی منتهی میگردند که خداوند آن را برای اداره جهان هستی

۱ـ رك . نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ، دکترنصر ، ص۲۲۳

۲ـ آیه ۱۹۱ از سوره‌آل‌عمران و صورت‌کامل‌آن چنین است :
الذین یذکرون‌الله قیامـاً و قعوداً و علی جنـوبهم و یتفکرون فی خـلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب‌النار .

۳ـ رك . نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ، دکترنصر ، حاشیه ص۱۵۴

۴ـ «...وکثیر من‌الناس ممن یعیر علم‌الله ماجهلوه من علم الطبیعیات نازعونی ...»
رك . الاثارالباقیة ص ۲۶۲

قرار داده است . (۱) و از اینرو است که بنظر وی آموختن دانش وظیفه هر فرد مسلمان است .

ابوریحان با بررسی عمیق دیگرادیان باین نتیجه میرسد که حقیقتی واحد در همه دین‌ها وجود دارد و این حقیقت درهر دینی بگونه‌یی متجلی شده‌است وی این اعتقاد را نیز بر پایه تعلیمات اسلام و اصل عمومیت وحی میان همه افراد بشر میشمارد (۲) . با این ترتیب مسلمانی ابوریحان هرگز او را بدشمنی با پیروان دیگر آئین‌ها برنمی‌انگیزد و از اینرو است که وی بقول پروفسور زاخائو باآنکه مسلمان است با فلاسفه هندوی کافر بعطوفت رفتار می کند و باآنان بامهربانی به بحث و گفتگو می‌پردازد و آراء و عقایدشان را قبول یا رد می کند .

بیطرفی وی درنوشته‌هایش تا بدانجاست که خواننده ممکن است بسیاری ازآثار او را بخواند و اثری از اینکه نویسنده مسلمان است نبیند (۳)

ـ میهن دوستی ابوریحان:

ابوریحان بمیهن خویش،ایران عشق‌میورزیده وآداب و رسوم نیاکانش را سخت‌گرامی می‌داشته است .

یاقوت حموی در شرح احوال وی می‌نویسد که با همه بلندی مرتبت آنی ازآموختن دانش و تألیف و تصنیف کتب باز نمی‌ایستاده و **در همهٔ سال تنها در دو روز نوروز و مهرگان ، برپای داشتن این دو جشن را ، قلم از**

۱ـ رك . نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ، دکترنصر ، ص۲۲۳

۲ـ رك . همان کتاب ، ص۱۵۳ : آقای دکتر نصر در حاشیه همان صفحه عبارت زیر را نیز از « تحقیق ماللهند.. » چاپ لایپزیك ص۱۴۷ ، برای تأیید این نظر ذکر کرده‌اند : «... ولزم من قوله أن أهل الارض کلهم والهندی فی‌لزوم التکلیف شرع واحد»

۳ـ رك . شرح حال نابغه شهیر ایران ؛ علامه دهخدا ، ص۶۹ـ۷۰

کف فرو می‌نهاده است . (۱)

پیداست که این رفتار ـ آنهم از دانشی مردی که پرداختن به دانش را بر همه کار مقـدم میداشته ـ دلبستگی عمیق وی را به آداب و رسوم ملی ایران بروشنی نشان میدهد و بدین ترتیب جای شگفتی نیست اگـر ابوریحـان خود زادگاه خویش خوارزم را شاخه‌یی از باغ ایران بنامد (۲) .

دیگر از نشانه‌هـای انکار ناپذیر ایـران دوستی ابوریحان دفاعی است که وی از ایرانیان در برابر اهانت‌های ابومحمد عبدالله‌بن مسلم‌بن‌قتیبة الجبلی کرده است :

این ابومحمد عبدالله‌بن مسلم که نواده قتیبة‌بن‌مسلم ، سردار خون آشام بنی‌امیه در خراسان است ، چنانکه میدانیم ، کتابی در تفضیل عرب بر عجم نوشته و در آن علاوه بر آنکه قوم عرب را داناترین مـردمان در شناخت ستارگان و مطالع و مساقط آنها شمرده ، ایرانیان را بکفر و دشمنی بااسلام متهم ساخته و بدترین و پست‌ترین صفات را بآنان نسبت داده است .

ابوریحان که ازخون آشامی‌ها و نامردمی‌های قتیبة‌بن‌مسلم ، جد نویسنده در خراسان و بویژه خوارزم ، بخوبی آگاه بوده در رد مزاعم وی نوشته‌است که سخن ابومحمد عبدالله‌بن‌مسلم بردشمنی و کینه دیرینی که با ایرانیان داشته

۳ـ «. . و کان ـ رحمه‌الله ـ مع‌الفسحة فی‌التعمیر وجلالة الحال فی عامة الامـور مکبا علی تحصیل العلوم منصبا علی تصنیف‌الکتب یفتح أبوابها و یحیط بشواکلها و أقرابها ولا یکاد **یفارق یده القلم و عینه‌النظر و قلبه الفکر الا فی یومی النیروز و المهرجان من‌السنة لاعداد ماتمس الیه الحاجة من‌المعاش من‌بلغة الطعام و علقة الریاش...** » رک . معجم‌الادباء ج ۱۷ ص۱۸۱ ؛ شهرزوری نیز قول یاقوت را عیناً ذکر کرده است . رک . مقدمه زاخائو برالاثارالباقیة ص L۱۱۱

۲ـ « ... و أما اهل خوارزم **و ان کانوا غصناً من دوحة الفرس** و نبعة من سرحتهم فقدکانوا مقتدین بأهل السغد فی اول السنة ...» رک . الاثارالباقیة ص۴۷

است دلالت دارد. چه، وی به برتری نهادن تازیان برآنان نیز بسنده نکرده است تا بدانجاکه ایرانیان را فرومایه‌ترین مردمان خوانده و آنان را بیش از آنچه‌که خداوند درسوره التوبة درباره اعراب گفته است (۱)، به‌کفرودشمنی با اسلام متهم ساخته و زشتی‌هایی را بایشان نسبت داده است که اگر اندکی در آن می‌اندیشید، و حقوقی را که برتازیان دارند بیاد می‌آورد، بیگمان خود سخنانی را که از روی گزافه‌گویی و تعصب درباره دو گروه گفته است تکذیب میکرد! (۲)

۱ـ اشاره است به‌آیه ۹۷ از سورة التوبة:

«الاعراب أشدكفراًونفاقاً وأجدر الايعلموا حدود ماانزل‌الله علی‌رسوله والله‌علیم‌حکیم»

۲ـ نص دفاع ابوریحان چنین است:

«... و ان کان ابومحمد عبدالله‌بن‌مسلم بن‌قتیبة الجبلی یهول و یطول فی جمیع کتبه وخاصة فی‌کتابه فی‌تفضیل العرب علی‌العجم و زعم أن‌العرب أعلم الامم بالکواکب ومطالعها و مساقطها ولا أدری أجهل أم تجاهل ما علیه الزراعون و الاکرة فی‌کل موضع و بقعة من علم ابتداء الاعمال و غیرها و معرفة الاوقات علی مثل ذلك فان من‌كان السماء سقفه ولم‌یکنه غیرها و دام علیه طلوع الکواکب و غروبها علی نظام واحد علق مبادی أسبابه و معرفة الاوقات بها بل‌کان للعرب مالم‌یکن لغیرهم و هو تخلید ما عرفوه أو حدسوه، حقاً کان أو باطلا حمداًکان أو ذماً، بالاشعار و الارحوزة والاسجاع و کانوا یتوارثونها فتبقی عندهم أو بعدهم ولو تأملتها من‌کتب الانواء و خاصة‌کتابه الذی وسمه بعلم مناظرالنجوم و مما أوردنا بعضه فی آخر الکتاب لعلمت أنهم لم یختصوا من ذلك بأکثر مما اختص به فلاحوکل بقعة **و لکن الرجل مفرط فیما یخوض فیه و غیرخال عن‌الاخلاق الجبلیة فی الاستبداد بالرأی وکلامه فی هذا الکتاب المذکور یدل علی احن و ترات بینه وبین الفرس اذلم یرض بتفضیل العرب علیهم حتی جعلهم أرذل‌الامم و أخسها و انذلهـا و وصفهم بالکفر و معاندة الاسلام بأکثر مما وصف‌الله به الاعـراب فی سورة التوبة و نسب الیهـم من القبائح ما لوتفکر قلیلا و تذکـر أوائل من فضل علیهم لکذب نفسه فی أکثر ما قاله فی الفریقین تفرطاً و تعدیا ..»** رك. الاثارالباقیة ص۲۳۸ـ۲۳۹

حقیقت دوستی ابوریحان :

ابوریحان عاشق راستین حقیقت است و برای رسیدن بآن هردشواری و رنجی را با بردباری تحمل میکند و خود را از هرمیل و رغبت یا خوی و خصلتی که مانع رسیدن وی بحقیقت باشد دور نگهمیدارد .

ایمان بپروردگار و دیانت اسلام را ، چنانکه دیدیم از سختگیری و تعصب جدا میکند وپیروان همه‌آیین‌ها را درخور احترام می‌شمارد و بدینگونه فرصت آن را می‌یابد که از اندیشه‌ها و دانش‌های آنان آگاه و بهره‌مند گردد

از منصب و جاه و مقام چشم می‌پوشد تا بدانجا که درخواست شمس‌المعالی قابوس راکه میخواسته است فرمانروایی قلمرو خویش را بوی واگذارد ، از سر وارستگی و بی‌نیازی ، نمی‌پذیرد (۱)

به‌مال‌وثروت دنیاوقعی‌نمی‌نهدوازتن‌پروری‌وراحت‌طلبی‌سخت‌بیزاراست :

اگر برای آموختن دانش و رسیدن بحقیقت لازم بداند که در بزرگی زبانی بیگانه را بیاموزد درآموختن آن تردید بخود راه نمیدهد و اگرآموختن علوم یونان به‌هندیان مستلزم تحمل دشواری ترجمه‌کتابهای اقلیدس‌والمجسطی باشد (۲) از بدوش کشیدن باری‌که در راه انتشار حقیقت و دانش بعهده‌گرفته است تن نمیزند و بالاخره هرگاه نوشتن‌کتابی ارزنده ایجاب‌کند ، همانگونه که یاقوت و دیگران نوشته‌اند ، در همه سال جز در دو روز نوروز ومهرگان قلم ازکف فرو نمیگذارد (۲)

۱ـ رك . معجم‌الادباء ج۱۷ ص۱۸۲

۲ـ ابوریحان خود در این باره میگوید :

«... و اکثرکتبهم «شلوکات» **وأنا منها فی‌بلایا فیما أمثله للهند من ترجمة کتاب اقلیدس و المجسطی و أمیله** فی صنعة الاسطرلاب علیهم حرصاً منی علی نشرالعلم..» رك . تحقیق‌ماللهند . ص۱۰۶

۳ـ رك . معجم‌الادباء ج۱۷ ص۱۸۱

با این ترتیب آیا می‌توان پنداشت که هیچ انسانی باندازه ابوریحان که از جاه ومال و راحت طلبی و لذت‌جوئی ، چشم پوشیده وخود را از هرگونه تعصبی که دیدن حقیقت را بروی دشوار سازد دورنگاهداشته است ـ به «حقیقت» عشق ورزیده و در راه آن گذشت و ایثار کرده باشد ؟

آوای ابوریحان :

ابوریحان با ما ، با جوانان ایران ، با دانشجویان و با استادان ایرانی و دیگر سرزمین‌های اسلامی سخنانی برای گفتن دارد !

گویی اینك آوای او ، از پس قرون و اعصار ، بآرامی بگوش ما فرامیرسد !

از آهنك سخنش پیداست که ابوریحان چندان از ما خوشنود نیست !

وی با لحنی سرزنش آمیز میگوید :

سرزمین بلند آوازه ایران جایگاه مردان با همتی بوده است که عاشقانه بآموختن دانش می‌پرداخته‌اند ؛ همه دانشهای روزگار خویش را فرامیگرفته‌اند و با نیروی همت و اندیشه به‌گسترش و پیشرفت دانشهای بشری خدمتها میکرده‌اند ! و اینك نوبت شما است !

شما نیز باید از پیشینیان خویش سرمشق بگیرید و بنوبه خود نام این سرزمین دانش‌پرور و کهنسال را زنده نگاهدارید !

ابوریحان سپس راز پیروزی خود را برای ما باز میگوید :

راز پیروزی من در آن بود که از همه کار روی برتافتم و جز بآموختن دانش نپرداختم و در همه عمر آنی از مطالعه و تحقیق غفلت نکردم . شما نیز اگر براستی اهل دانش‌اید چنین کنید!

من همانگونه که یاقوت حموی برایتان نقل کرده است ، درخواست شمس‌المعالی قابوس‌بن‌وشمگیر راکه میخواست فرمانروایی ملك خویش را بمن سپارد نپذیرفتم (۱) زیرا حکمرانی را با مطالعه و تحقیق سازگار

۱ـ رك . معجم‌الادباء ج۱۷ ص۱۸۲

ندیدم !

من همانگونه که سیوطی و یاقوت و دیگران بگوشتان رسانده‌اند هنگامیکه مسعود غزنوی ، بعنوان جایزه کتاب قانون مسعودی ، یك بار فیل سکه نقره برایم فرستاد از پذیرفتن آن پوزش خواستم (۱) زیرا آنهمه ثروت را شایسته صرافان و سوداگران دیدم نه درخور اهل دانش!

من هرگز همچون کودکان، از ستایش این و آن شاد و از نکوهششان دلتنك نگشتم و نیز بزرگی پدرانم را برای خود مایه مباهات ندانستم‌چه، از این صفات هیچیك را در خور مرد دانش نیافتم!

مگر نشنیده‌اید بشاعری که مرا ستوده و از بزرگی اجدادم سخن گفته بود چه پاسخ گفتم ؟

بوی گفتم : ایکه در شعرت از نیاگان من نام برده‌یی خدای داناست که من خود اجدادم را چنانکه باید نمی‌شناسم !

چگونه جدم را بشناسم و حال آنکه پدرم را نیز بدرستی نمی‌شناسم!

ای شاعر ! بیهوده رنج مبر که ستایش و نکوهش در نظر من یکسان است ! (۲)

شما نیز اگر براستی دوستدار و جویای دانش‌اید ، و در پی آیند که در این راه پیروز و سربلند باشید ، عنوان های عاریتی را بر کار مقدس دانش برتری منهید و همچون صرافان و سوداگران در پی جمع مال مباشید !

و بهوش باشید تا فریب ستایشهای دروغین مردمان را نخورید و

۱ـ در بغیة‌الوعاة جلال‌الدین السیوطی ، چاپ قاهره ص ۲۰ چنین آمده است :

«... و لما صنف القانون المسعودی أجازه السلطان بحمل فیل فضة فرده بعدالاستغناء عنه...» و یاقوت این داستان را در معجم‌الادباء ج۱۷ ص۱۸۱ اینگونه نقل کرده است

«.. وبلغنی أنه لما صنف‌القانون المسعودی أجازه السلطان بحمل فیل من نقده‌الفضی فرده الی الخزانة بعذر الاستغناء عنه..»

۲ـ اشاره باین اثبات ابوریحان است :

و ذاکراً فی قوافی شعره حسبی	ولست والله حقاً عارفاً نسبی
اذ لست أعرف جدی حق معرفة	وکیف أعرف جدی اذجهلت أبی
انی ابولهب شیخ بلا أدب	نعم و والدی حمالة الحطب
والمدح و الذم عندی یا اباحسن	سیان مثل استواء الجدو اللعب

از نگوهش‌های آنان نیز دلتنك نگردید که این هر دو ، بیگمان ، آفت دانش‌اند !

زینهار ، زینهار تا دل به تن‌آسایی و راحت طلبی نسپارید که دانش را دشمنی آشتی ناپذیرتر از تن‌آسایی نیست :

مگر در معجم‌الادباء نخوانده‌اید که من آنی قلم از کف فرو نمی‌نهادم و جز در روزهای نوروز و مهرگان از مطالعه و تحقیق و تألیف باز نمی‌ایستادم ؟ (۱)

مگر نشنیده‌اید که من زبان وادب سانسکریت را در بزرگی آموختم ؟

مگر در تحقیق‌ماللهند برایتان حکایت نکرده‌ام که چگونه دانشهای یونان و بویژه دو کتاب اقلیدس و مجسطی را بزبان سانسکریت بهندیان می‌آموختم؟ (۲)

آیا با تن آسایی و راحت طلبی بر آنهمه پیروزی دست میتوانستم یافت ؟!

وای برشما که جامه اهل دانش دربردارید اما جزگهگاه بکار دانش نمی‌پردازید وآنگاه هم‌که کاری میکنید تنها بامید پاداش است !

گویی آنچه را که در کتاب « تحدید نهایات الاماکن... » نوشته‌ام نخوانده‌اید! من درآن کتاب نوشته‌ام :

« الفضیلة الذاتیة للشیء غیرالمنفعة العارضة لاجله » (۳)

منظورم اینستکه ارزش دانش را با میزان سود و زیان آن نسنجید و دانش را تنها بخاطر دانش دوست بدارید .

نمیدانم فقیه ابوالحسن علی‌بن‌عیسی و لوالجی از دیداری که در آخرین لحظه‌های زندگیم با من داشت برایتان سخن گفته است یا نه ؟

در بستر بیماری مرك بودم که ولوالجی به بیمار پرسیم آمد از او خواستم تاحساب جدات فاسده را برایم شرح دهد تا بیاموزم درشگفت شد که اینك با این بیماری چه جای علم‌آموختن است؟ گفتم ، بگمان تو اگر این مسأله را بدانم وبمیرم بهتر از آن نیست که نادانسته و جاهل درگذرم؟ پذیرفت و مسأله را شرح داد و آموختم و از در که بیرون رفت جان

۱ـ رك . معجم‌الادباء ج۱۷ ص۱۸۱

۲ـ رك . تحقیق‌ماللهند.. ص۱۰۶

۳ـ رك . نظر متفکران اسلامی درباره طبیعت ، دکترنصر ، حاشیه ص ۱۵۴

سپردم ! (۱)

این است راز پیروزی من ! من استاد ابوریحان از آن شدم که دانش را تنها برای دانش دوست داشتم و در راه آن از مقام ومنصب وثروت و آسایش گذشتم !

من نیك میدانم که آدمی بمقتضای طبیعت خویش مال و جاه و تن آسایی ولذت‌جویی را دوست میدارد اما این‌حقیقت را نیزمیدانم‌که،مرد دانش و انسان متعالی ، وآنکه میخواهد بکوی حقیقت راه یابد باید پای از سرای طبیعت بیرون نهد . اگر سخن مرا قبول ندارید گفته خواجه شاعران‌گیتی حافظ را بپذیریدکه براستی بهتر از آن سخن نمی‌توان‌گفت:

تو کز سرای طبیعت نمیروی بیرون
کجا بکوی حقیقت گذر توانی کرد ؟

۱ـ یاقوت این حکایت را بدینگونه نقل میکند :

« حدث القاضی کثیربن یعقوب البغدادی النحوی فی‌الستور عن‌الفقیه ابی‌الحسن‌علی ابن‌عیسی الولوالجی قال دخلت علی أبی‌ریحان و هو یجود بنفسه قدحشرج نفسه (تردد فی ضیق) و ضاق به صدره فقال لی فی تلك الحال : کیف قلت لی یوماً حساب الجدات الفاسدة ؟ فقلت له اشفاقاً علیه : أفی هذه الحالة ؟ قال لی یاهذا أودع الدنیا و أنا عالم بهذه المسالة ألا یکون خیراً من أن أخلیها و أنا جاهل بها ؟ فأعدت ذلك علیه و حفظ و علمنی ما وعد ، و خرجت من عنده و انا فی‌الطریق فسمعت الصراخ..» رك . معجم‌الادباء ج ۱۷ ص۱۸۲ و نیز رك . بغیة‌الوعاة ، سیوطی ، چاپ قاهره ص ۲۰



المراجع

الف ـ المراجع العربية :

١ـ ابن ابی أصیبعة : عيون الأنباء فی طبقات الأطباء ، طبعة دار الفكر ، بيروت عام ١٩٥٧

٢ـ ابن تغری بردی : النجوم الزاهرة فی ملوك مصر والقاهرة طبعة القاهره ، عام ١٣٥٢ هـ .

٣ـ ابن خلكان : و فيات الأعيان و أنباء ابناء الزمان طبعة مصر عام ١٩٤٨

٤ـ ابن النديم : الفهرست تحقيق رضا تجدد طبعة طهران ١٩٧١

٥ـ احمد أمين : ظهر الاسلام ، طبعة القاهرة عام ١٣٧١ هـ .

٦ـ « « : ضحى الاسلام ، « « « ١٩٥٦ هـ .

٧ـ بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية الدكتور نبيه امين فارس و منير البعلبكى ، بيروت ١٩٥٣

٨ـ البيرونی ، ابوالريحان : الاثار الباقية ، طبعة لايبزيج ، ١٩٢٣

٩ـ البيرونی ، ابوالريحان : الجماهر فی معرفة الجواهر ، طبعة حيدرآباد عام ١٣٥٥ هـ .

١٠ـ البيرونی ، ابوالريحان : تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فی العقل أو مرذولة ، طبعة حيدرآباد ، عام ١٩٥٨

١١ـ البيرونی ، ابوالريحان : رسالة فی فهرست كتب محمدبن زكرياء الرازی

المراجع

١٢ـ البيرونى ، ابو الريحان : رسائل البيرونى ، طبعة حيدر آباد ، عام ١٩٤٨

١٣ـ البيهقى ، ابو الحسن على بن زيد : تتمة صوان الحكمة ، طبعة لاهور

١٤ـ البيهقى ، ابو الفضل : تاريخ البيهقى ، ترجمه الى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت ، القاهرة ، عام ١٩٥٦

١٥ـ تاج الدين السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، طبعة مصر ، ١٣٢٤ هـ

١٦ـ الدكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى و الثقافى والاجتماعى طبعة مصر ، ١٩٦٢ م

١٧ـ الزركلى ، خير الدين الأعلام طبعة مصر

١٨ـ الزيات ، احمد حسن : تاريخ الأدب العربى ، الطبعة الخامسة والعشرون ، القاهرة

١٩ـ السمعانى : الأنساب ، طبعة حيدر آباد عام ١٩٣٦م

٢٠ـ السيوطى ، جلال الدين : بغية الوعاة ، طبعة القاهره ، عام ١٤٢٦هـ .

٢١ـ المسعودى : مروج الذهب ، طبعة مصر

٢٢ـ نالينو : علم الفلك ، تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى ، طبعة روما سنه ١٩١١

٢٣ـ ياقوت الحموى : معجم الادباء تحقيق الدكتور احمد رفاعى بك طبعة مصر

المراجع

ب ـ المراجع الفارسية :

١ـ بيرونى ابوريحان : التفهيم لاوائل صناعة التنجيم، مصحح استاد جلال الدين همائى ، تهران ١٣١٨

٢ـ بيهقى ، ابوالفضل : تاريخ بيهقى ، چاپ دانشكده ادبيات دانشگاه مشهد

٣ـ تقى‌زاده سيدحسن : مانى و دين او

٤ـ دهخدا ، على‌اكبر : شرح حال نابغه شهير ايران

٥ـ صفا ، دكتر ذبيح‌اله : تاريخ ادبيات درايران، ج١ چاپ ششم، تهران ١٣٤٧ ، ج٢ چاپ اول تهران ١٣٣٦

٦ـ « « « : تاريخ علوم عقلى در تمدن اسلامى ، ج ١ چاپ دوم تهران ١٣٣٦

٧ـ منتجب‌الدين منشى‌يزدى : درة الأخبار و لمعة الأنوار (ترجمه تتمة صوان الحكمة) ضميمه سال پنجم مجله‌مهر تهران ١٣١٨

٨ـ : جشن‌نامه ابن‌سينا ج ٢ ، تهران ١٣٣٤

٩ـ معين ، دكترمحمد : فرهنك فارسى معين

١٠ـ نصر ، دكترسيدحسين : نظرمتفكران‌اسلامى‌درباره‌طبيعت‌تهران١٣٤٢

١١ـ نظامى عروضى سمرقندى : چهار مقاله ، باهتمام دكتر محمد معين تهران ١٣٤١

١٢ـ يوسفى ، دكترغلامحسين : فرخى سيستانى ، چاپ مشهد ، ١٣٤١

ج - المراجع الاجنبيه

1- Histoire de la litterature arabe,
J . M . Abd - El - Jalil
Maisonneuve .Paris 1960
2- Encyclopédie de l'Islam
3- Histoire de la philosophie islamique
Henri Corbin,
Paris 1964
4- Introduction à la litterature arabe
Gaston Wiet
Paris 1966
5- Langue et littérature arabe
Charles Pellat,
Collection u., Arman Colin , paris 1970
6- La litterature arabe
André Miquel
Que sais-je? No 1355
7- La science arabe et son rôle dans
l'évobtion scientifique mondiale
Aldo Mieli
Leiden 1936

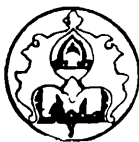
غلطنامه بخش فارسی

صفحه	سطر	نادرست	درست
۸۱	۲۲	نسخه بدلها	نسخه‌ها
۸۲	۶	بازیچه‌هایی نیستند	بازیچه‌هایی بیش نیستند
۸۳	۱۶	وی ی از سال	وی از سال
۸۵	۲۳	ص	ص ۴۲۲ بیعد
۸۸	۴	عهد است با روی ...	..عهد است‌که با روی...
۹۵	۱۶	کتاک	کتاب
۱۰۳	۳	فروافکند	فروافکنند
۱۰۷	۵	راست‌که ابوریحان	راست است که ابوریحان
۱۱۵	۱۴	ابوسعید سنجری	ابوسعید سجزی
۱۱۷	۱۶	اجرا یك سلسله	اجراء یك سلسله
۱۱۹	۹	طروف مرتبطه	ظروف مرتبطه
۱۲۴	۱۶	بتهذیب اتمام ..	بتهذیب و اتمام ..
۱۲۶	۶	ایوریحان	ابوریحان
۱۲۸	۲۳	Histoiré	Histoire
۱۳۱	۲۱	Actrievements	Achievements
۱۳۹	۱۴	نامردی‌های قتیبة	نامردمی‌های ...

***

الفهرست

الفهرست



L. Université d, Ispahan.
Publication No 136

LA VOIX D' ABOU RAïHĀN

Etude, en arabe et Persan, de Dr. Gh. A. KARIMI

Directeur de La Section d' Arabe

à L' Université d' Ispahan

Publiée à L' occasion du Millénaire

d' Abou Raïhan Al - Birouni

Octobre 1973

بها ۱۰۰ ریال

چاپ دانشگاه اصفهان



L. Université d, Ispahan.
Publication No 136

LA VOIX D' ABOU RAïHĀN

Etude, en arabe et Persan, de Dr. Gh. A. KARIMI

Directeur de La Section d' Arabe

à L' Université d' Ispahan

Publiée à L' occasion du Millénaire

d' Abou Raïhan Al - Birouni

Octobre 1973

بها ۲۰۰ ریال

چاپ دانشگاه اصفهان